

أعلام العرب

١٣

# الطبري

بقلم  
الدكتور أحمد محمد باخوني

مركز البحوث والأشغال  
الموسسة العربية للدراسات  
بمبنى المكتبة العامة والدراسات



أعلام العرب

١٣

# الطبري

بقلم

الدكتور أحمد محمد الحوفي

مكتبة الشافعية والإرث والقوى  
المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر





# بسم الرحمن الرحيم

## مقدمة

أما بعد :

فقد يكون من المقال المكرر المعاد أننا في نهضتنا العربية وفي وثبتنا الاسلامية بحاجة الى ابتعث ماضيها المشرق الزاهر ، وبحاجة الى احياء تراثنا الفكرى الزاخر ، والتأسى بما كان لنا فى ميادين الفكر والحضارة والبطولة من آثار سباقة ، وأعلام خفاقة ، وأعمال مجيدة مشهودة .

ولكن هذا القول — على تكراره — لا يصح أن تنصرف عنه الأقلام ، أو تصدف عنه الألسنة ، ولا يصح أن تملأ النفوس ، أو تستثقله الأسماع ، لأنه حق ، وما كان ترديد الحق ليسيسم أو يستكره ، ولأنه تقوية للعزائم المتوثبة ، وتغذية للآمال الطماحة ، ووصل طبيعى بين ماض متألق ، وحاضر متوثب ، ومستقبل عظيم مأمول ، وليس فى هذا ما يدعو الى ضجر أو ملال .

والحق أن نهضتنا تقتضينا أن نرعاها بعدة وسائل ، من أهمها أن تؤسس صرحها على دعائم وطيدة من ماضيها ، لأن

هذا أدعى الى قوتها وثباتها واطرادها ، والا كان صرحها مشيدا على كتيب مهيل من الرمال ، لا يلبث أن ينهار ، أو كالفقاعات لا تلبث أن تنتفخ وتتألق حتى تؤذن بالانطفاء والزوال .

ولا شك أن هذه الخواطر جالت من قبل في نفوس كثير من العلماء والأدباء ، فاجتهدوا في احياء تراثنا العظيم ، وترددت في تفكير القادة والقائمين بتشجيع المعرفة بوزارة الثقافة والارشاد ، فدعوا الى الكتابة عن رواد الفكر الاسلامي ورجالات الاسلام في سلسلة الأعلام .

وهذا الكتاب الذي أساهم به في هذه السلسلة يتناول شخصية من أبرز هذه الشخصيات ، وأعظمها أثرا في عصره وفيما بعده .

فقد خلف الطبرى من المؤلفات ثروة ضخمة استمدها معاصروه ولاحقوه ، وما زالت كنوزها حلاء للباحثين الى اليوم ..

وكان الطبرى يتحلى بكثير من الخلال العالية ، والأخلاق الرفيعة في علاقاته وصلاته ، وشغفه بالعلم ، وصبره على البحث والانتاج والتثقيف ، جعلت منه عالما عظيما في رجل عظيم .

وقد تناولت في دراسته هذه النواحي ، وما يتصل بها من قريب .

ولم يكن بد من الامام السريع بعصره العلمى ، وبخاصة

في الأقاليم التي رحل إليها ، واستقى من علمها وعلمائها .  
ثم تحدثت عن نسبه ، وموطنه الأصيل ، ومعالم حياته .  
وعرضت لرحلاته ، وأساتذته ، وثقافته ، وتلاميذه .  
ورسمت صورة لشخصيته من صفاته الجسمية والخلقية  
والعقلية ، بالقدر الذي استطعت أن أعثر على ألوانه في  
المصادر التي أرخت له .

وعرّفت بمؤلفاته كلها ، ما بقي منها وما ضاع .  
وأملت بطرف من عقيدته وآرائه العامة .  
ثم درست الطبرى المفسر ، وموضوعات كتابه في  
التفسير ، ومصادره ، ومنهجه ، ومزاياه ، والمآخذ عليه .  
ودرت الطبرى المؤرخ ، وموضوعات كتابه في  
التاريخ ، والينابيع التي استقى منها ، والطريقة التي انتهجها ،  
وما يتسم به كتابه من مميزات وعيوب .  
وختمت البحث بدراسة للطبرى الفقيه ، وضربت  
أمثلة من مذهبه الذي استقل به .

وقد آثرت في دراسة الطبرى مفسرا ومؤرخا وفقهيا  
أن أرسم الصور العامة لمنهجه ، وأن أكتفى بأمثلة من كتبه ،  
لأن استيعاب آرائه أو التوسع في ضرب الأمثلة ، يخرج  
بالبحث عن التعريف بالرجل وآثاره الى تلخيص كتبه وإيجاز  
آرائه .

أما المصادر التي رجعت إليها فهي مؤلفات الطبرى ،  
وما كتب عنه .

وقد تبينت من مؤلفاته أن بعض ما اتهم به باطل أملاه  
الحقد ، أو التسرع في الحكم ، أو عدم التثبت .  
وانى اذ أقدم هذه الدراسة أرجو أن تكون جديرة  
باحياء ذكرى عالم كبير ينبغي أن نشيد به ، كفاء ما غرس  
في حقل المعرفة من شجرات مثمرات ، لا يتخلف اثمارها على  
دوران الفصول ، ولا يعتريها نقصان من كثرة القاطنين على  
تتابع الأجيال والأعصار .

أحمد محمد الحوفى

القاهرة فى { شعبان سنة ١٣٨٢  
يناير سنة ١٩٦٣ }

# الفصل الأول

## عصره العاصي

عودة الى الماضي

الى الماضي البعيد

عودة تتخطى اليها أحد عشر قرنا من عمر الثقافة العربية الاسلامية ، لنرى على أشرطة الزمن التي سجلها مايعيننا من الجو الفكرى الذى عاش فيه الطبرى وتأثر به ، الجو العام فى العالم الاسلامى ، والجو الخاص فى الأقاليم التى ارتحل الطبرى اليها ، وأقام بها ، وارتوى من ينابيعها .

سنرى فى هذه العودة أن الفترة بين شروق حياة الطبرى وغروبها أعظم الفترات ثراء بالعلم والعلماء ، اذ عاش فى القرن الثالث خمسا وسبعين سنة ، وأدرك من القرن الرابع عقده الأول .

فاذا نظرنا الى العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه وجدناها قد سست سوقها . وبستت فروعها ، حيث استقرت دعائم المذاهب الأربعة وكثرت مؤلفاتها ، ووضعت الكتب الصحاح الستة فى الحديث (١) .

---

(١) ألف البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ الجامع الصحيح ،  
وآلف مسلم المتوفى سنة ٢٦١ صحيح مسلم ، وآلف ابن  
ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ سننه ، وآلف ابن داود المتوفى =

واهتمت القراءات الى غاياتها ، وجعلت روايات التفسير بالماثور تشرق وتغرب ، وجعل التفسير بالرأى يزاحمها وينافسها .

أما العلوم اللغوية من نحو وصرف وعروض وأدب وبلاغة فقد كانت تسارع الى النضج والاستقرار على مذاهب وآراء ، ومؤلفاتها تتوالى وتتنافس . وفي هذه الفترة وضعت كتب كثيرة فى السيرة والمغازى والفتوح .

وكان المسلمون قد ترجموا كثيرا من كتب اليونان والفرس والهند ، واستفادوا منها ، وناقشوا بعضها ، وأضافوا اليها كثيرا من ثمرات تفكيرهم وابتكارهم . واذا كانت الدولة قد اعترها الوهن السياسى ، فضعف والخلفاء العباسيون حتى انتسخ ظلهم ، وتمزقت مملكتهم الكبرى الى ممالك وولايات وامارات ، فان النهضة العلمية والأدبية لم تتعثر ، ولم تتوقف ، بل استمرت تشق طرقها متأثرة بدوافعها الأولى ، والدولة قوية جادة فى تنشيط العلم وتشجيع رجاله ، ومتأثرة بدوافع جديدة ، من تقدير الحكام للعلم والعلماء ، ومن شغف العلماء والأدباء بالدرس

---

سنة ٢٧٥ سننه ، وألف الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ جامعاً  
وألف النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ سننه . وهذه هى الكتب الستة  
التي تعد أصبح كتب الحديث ، ويلحق بها مسند أحمد بن حنبل  
المتوفى سنة ٢٤١ .

والتحصيل ، وتنافس العواصم والحواضر في الانتاج  
والابتكار وقيادة الحركة الفكرية والأدبية (١) ولم يختص  
اقلهم من الدولة الاسلامية بهذه التيارات الفكرية ، بل ان  
هذه التيارات جرت في العالم الاسلامي كله من الرى الى  
الأندلس ، فزخرت العواصم والحواضر بهذه التيارات .  
وقد طوّف الطبرى في طبرستان والعراق والشام ومصر ،  
واستقى من ينابيع الثقافة في كثير من المدن ، كما سيتبين من  
رحلاته .

فكيف كانت الحياة العلمية في هذه الأقاليم ؟  
وبم اشتهرت المدن التي درس فيها ؟  
ومن العلماء الأعلام الذين عاصروهم أو نهل من ثقافتهم ؟

---

(١) عاش الطبرى من ٢٢٤ الى ٣١٠ وفي هذه الفترة تولى  
الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧) والوائق (٢٢٧ - ٢٣٢) ويعتبر  
عهد الوائق نهاية العصر الذهبي للدولة العباسية . ثم تولى  
بعدهم في عصر نفوذ الأتراك : المنوكل (٢٣٢ - ٢٤٧) والمننصر  
(٢٤٧ - ٢٤٨) والمستعين (٢٤٨ - ٢٥٢) والمعتز (٢٥٢ - ٢٥٥)  
والمهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦) والمعتد (٢٥٦ - ٢٧٩) والمعتضد  
(٢٧٩ - ٢٨٩) والمكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥) والمقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠)  
وكانت الدولة الطولونية قد قامت بمصر والشام في عهد المعتز  
بالله ودامت من ٢٤٥ الى ٢٩٢ هـ .  
والدولة السامانية قامت في عهد المعتضد بالله وعاشت من  
٢٦١ الى ٣٨٩ هـ .

والدولة الحمدانية قامت بحلب والموصل (٣١٧ - ٣٩٤) .  
أما الاخشيديّة بمصر والشام فقامت بعد موت الطبرى  
(٣٢٣ - ٣٥٨ هـ) .

## في فارس

حفلت فارس بمراكزها الثقافية في هذه الحقبة ، فكان في الجنوب سيراف وفيروزآباد وأرزنجان واصطخر وشيراز ، وكان في الشمال — بلاد الجبل — أصبهان وهمدان ودينور وقومس والرى .

وقد تخرج في هذه المدن كثير من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين واللغويين والنحاة والأدباء والفلاسفة ، درس الطبري على بعضهم كما سنيين في رحلاته .

وبحسب هذا الإقليم أن تخرج فيه ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ وقد اشتهر بالأدب والفلسفة والمنطق والهندسة ، وتخرج فيه ابن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ وقد كان معتزليا متبحرا في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية (١)

ومن علماء الإقليم ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ كان اماما في اللغة وله كتاب المجمل ، وكتاب حلية الفقهاء ، وكتاب الصاحبى .

ومنهم أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ مؤلف كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه .

---

(١) كان ابن العميد وزيرا لركن الدولة البويهى وكان ابن عباد كاتباً لابن العميد وتلميذاً له ، فسمى الصاحبى للازدتته اياه ، ثم تولى الوزارة لمؤيد الدولة البويهى ومن بعده لأخيه فخر الدولة ، وخلف ابن العميد فى هذا المنصب .



ومنهم أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ مؤلف كتاب  
الصناعتين ، وديوان المعاني ، وجمهرة الأمثال ، والأوائل .  
أما المحدثون والفقهاء فيمثلهم أبو محمد عبد الله بن  
حيّان الأصفهاني المتوفى سنة ٣٦٧ ، وهو امام في الحديث ،  
وله كتاب السنة فضائل الأعمال .

ويمثلهم أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي <sup>(١)</sup> المتوفى  
سنة ٣٣٠ ، ومحمد بن حميد الرازي <sup>(٢)</sup>  
وأما المؤرخون فمنهم الدولابي ، وله مؤلفات في التاريخ  
والحديث .

وقد عاش في هذه الفترة أبو بكر محمد بن زكريا الرازي  
المتوفى سنة ٣١١ ( أو ٣٢٠ ) وهو من أكبر أطباء المسلمين ،  
وله كتب كثيرة بقي منها نحو سبعة عشر <sup>(٣)</sup>

## في العراق

كان العراق في القرن الثالث أبرز مراكز الثقافة في العالم  
الاسلامي وأوسعها علما ، وأكثرها علماء ، لأنه مقر الخلافة  
العباسية ، ومهوى العلماء والأدباء ، ومجمع ثقافات شتى  
ومذاهب وآراء .

---

(١) نسبة الى دولاب قرية بالرى .

(٢) نسبة الى الرى .

(٣) ظهر الاسلام ١/ ٢٤٥ .

وكانت الدراسات به متنوعة ، فهناك التفسير والحديث والفقه والقراءات ، وهناك الفلسفة والمذاهب الكلامية ، وهناك اللغة والنحو والأدب والتاريخ ، وبجانب هذا كله العلوم الرياضية والطب والجغرافية .

وقد تزعمت المدن الثلاث الكبار : بغداد والبصرة والكوفة قيادة النشاط العلمي والأدبي ، وازدهمت بالعلماء والطلاب ، وقامت بينها منافسات شتى أدت هذا النشاط .  
١ - كانت الدراسات الفقهية مزدهرة بالعراق في تلك الفترة ، والمذاهب الأربعة ممثلة هناك .

وقد اشتهر من الحنفية أبو الحسن عبيد الله الكرخي المتوفى سنة ٣٤٠ وهو امام الحنفية في عصره .  
واشتهر من المالكية أبو اسحاق اسماعيل بن اسحاق ابن حماد المتوفى سنة ٢٨٢ ، وهو صاحب مؤلفات كثيرة في الفقه المالكي وعلوم القرآن ، وقد تولى قضاء بغداد نيفا وخمسين سنة .

وكان هناك من الشافعية أبو علي الكرايسي البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥ رئيس الشافعية ببغداد، وأبو علي الزعفراني المتوفى سنة ٢٦٠ وأبو علي الحسن بن القاسم الطبري البغدادي المتوفى سنة ٣٠٥ مؤلف كتاب المحرر في النظر ، وهو من أوائل الكتب في الخلاف بين الفقهاء ، وله كتاب الافصاح في الفقه ، وكتاب في الأصول ، وكتاب في الجدل .  
واشتهر من الحنابلة عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل

المتوفى سنة ٢٩٠ ، روى عن أبيه المسند والتفسير ،  
وأبو اسحاق ابراهيم الحربى المتوفى سنة ٢٨٥ ، وأبو بكر  
عبد الله بن داود الأزدي السجستاني المتوفى سنة ٣١٦  
وتميز الحنابلة بنفوذهم العظيم في بغداد والعراق ،  
لشدة تعصبهم لآرائهم ، واتخاذهم القوة وسيلة الى فرضها  
على الناس ، وتعديهم على مخالفيهم من أهل المذاهب ،  
وصبرهم على ما يلقون من محن ومقاومات ، محاكاة  
لأستاذهم الأكبر أحمد بن حنبل في صبره على الاضطهاد  
أيام محنة القول بخلق القرآن .

وكان بالعراق داود الظاهري وهو أصفهاني الأصل  
بغدادى الدار ، وقد أسس مذهبا عباده انكار القياس ، لأن  
في الكتاب والسنة ما يهتدى بمعرفة الواجبات والمحرمات ، لهذا  
كان يقدم ظواهر آيات القرآن والحديث على التعليل العقلى  
للأحكام ، مات داود ببغداد سنة ٢٧٠ ونشر مذهبه بعده ابنه  
محمد المتوفى سنة ٢٩٧ ، وقد كثر أتباع هذا المذهب بالعراق  
وفارس والأندلس .

ثم انقرضوا بعد المائة الخامسة .

٢ — وفي هذه الحقبة التى عاصرها الطبرى كانت العلوم  
الأدبية قد نضج بعضها ، وقارب النضج بعضها الآخر .  
وكان من العلماء البارزين حينئذ ابن دريد الأزدي  
( ٢٢٣ — ٣٢١ ) وهو من أكبر علماء العربية فى اللغة والأدب  
والنحو والصرف والنسب ، وأستاذ أبى على القالى وأبى

سعيد السيرافي وأبي الفرج الأصفهاني ، وله عدة كتب منها  
الجمهرة ، والاشتقاق ، وله قصيدة المقصورة .

ومنهم أبو بكر بن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ ، وهو  
عالم باللغة والأدب والقرآن والسنة ، ومؤلف كتب كثيرة  
منها شرح المفضليات .

وعاش في هذه الحقبة أبو الفرج الأصفهاني ( ٢٨٤ -  
٣٥٦ ) مؤلف كتاب الأغاني .

٣ - وكان المعتزلة قد أذاعوا آراءهم في العراق ،  
وتصدروا الحركة الفكرية ، وفي هذه الفترة آلت زعامتهم  
الى أبي علي الجبائي ( ٢٣٥ - ٣٠٣ )

وقد تتلمذ عليه أبو الحسن الأشعري ( ٢٧٠ - ٣٣٠ )  
ثم خرج على الاعتزال وناهضه ، وألف في الرد عليه كتباً  
كثيرة خالف فيها المعتزلة في كثير من أصول مذهبهم ، كقولهم  
بالاختيار المطلق ، ووجوب العدل على الله ، وأن القرآن مخلوق .

## في الشام

كان أهل الشام قبل الفترة التي عاش فيها الطبري  
يلتزمون مذهب الأوزاعي المتوفى سنة ١٥٧ وهو عبد الرحمن  
ابن عمرو ، عربي يمني من الأوزاع احدى بطون همدان .  
سمع الأوزاعي من شيوخ اليمامة ومكة والبصرة ، ثم  
نزل دمشق ، ثم رحل الى بيروت ، وتوفي بها .

وله مذهب فى الفقه كمذهب أبى حنيفة ومالك ، وهو  
أكثر ميلا الى مدرسة الحديث منه الى مدرسة الرأى .  
وفى الفترة التى طوّف فيها الطبرى كان الشاميون قد  
أثروا مذهب الشافعى على مذهب الأوزاعى ، وأحلوّه محلّه .  
وكان العباس بن الوليد البيروتى يقرئ برواية الشاميين ،  
وهو الذى قرأ الطبرى عليه القرآن بروايتهم .

## فى مصر

لم تلبث مصر أن صارت منذ القرن الثانى مهبط كثير  
من العلماء والطلاب ، ثم سرعان ما صارت مركزا من مراكز  
الثقافة والعلم .

وكان جامع القسطنطينية مجتمع المدرسين والطلاب ،  
وملتقى الفقهاء والعلماء والأدباء ، ومنبع الافتاء ، ومركز  
العطاش الى الثقافة .

وكانت الصدارة للعلوم الدينية ، فاحتفت بها مصر ،  
واشتهر علماءها بالقراءات ، ورواية الحديث ، وتفسير  
القرآن ، وتفهم معانيه ، والوقوف على آراء الأئمة فى الفقه ،  
واستنباط الأحكام .

وهذا المنهج نفسه كان سائدا فى العراق ، إذ كانت  
رحلات العلماء والطلاب بين الاقليمين لا تنقطع ، فالمنهاج  
متماثلة ، والموضوعات متشابهة ، كأن البلاد الاسلامية كلها بلد واحد

وقد وفد الطبرى الى مصر ، وسمع من علمائها ، وقرأ ما استطاع أن يقرأ من مؤلفات العلماء الذين لم يسمع منهم ، كما يتضح من حياته في مصر .

— ١ —

كان من الصحابة الذين قدموا الى مصر رواة الحديث ، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص أكثرهم رواية ، وقد دأب على أن يكتب ما يسمع من رسول الله ، وكانت له صحيفة دون فيها ما سمعه من الرسول ، وسماها الصادقة ، وقال : ليس بينى وبينه فيها أحد (١) .

لهذا كان كثيرا ما يرجع في مصر الى مدوناته اذا ما سئل وأراد التثبت قبل أن يجيب . ويذكر ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر أن المصريين رووا عنه مائة حديث ونيفا ، كما يذكر في آخر كتابه فصلا بالأحاديث التي رواها المصريون عن الصحابة الذين وفدوا الى مصر . وقد استقى أصحاب الكتب الستة في الأحاديث النبوية من رواة مصريين ، فمثلا استقى البخارى من سعيد بن عفير ، ومن يحيى بن بكير ، وعبد الله بن صالح ، وروى مسلم عن أحمد بن يونس ويحيى التميمي .

وكان في مصر محدث مصرى عظيم الشأن هو عبد الله بن وهب بين مسلمة القرشى بالولاء المتوفى سنة ١٩٧ هـ وقد رحل الى المدينة وأخذ عن مالك ، وكان مالك يثق به ويكتب

١ (١) الطبقات الكبرى ١٨٩/٧ .

اليه فيلقبه بالمفتى ، ولم يكن يفعل هذا مع غيره ، وأخذ عنه كثير من المصريين<sup>(١)</sup> ولا بن وهب كتاب (الجامع في الحديث) يعد من أقدم الكتب المدونة في الحديث النبوي ، روى أكثره عن مالك بن أنس وعبد الله بن لهيعة الحضرمي الغافقي . وكان بها الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، وهو فارسي الأصل ، لكنه ولد بمصر ، وتثقف على علمائها ، وذهب الى الحجاز فسمع من نافع وغيره ، وشخص الى بغداد سنة ١٥٩ هـ وسمع من علمائها ، وذاعت شهرته وفضله ، حتى ان الامام مالك بن أنس كان يقول عنه حدثني من أَرْضِي من أهل العلم ، وتتلذذ على الليث كثير من علماء الحديث منهم عبد الله ابن وهب وأشهب ، وكثير من شيوخ أحمد بن حنبل ، وكان له مذهب خاص امتدحه الشافعي ، وقال ان تلاميذه لم ينهضوا به .

ومن تلاميذه اسحاق بن الفرات صاحب مالك المتوفى سنة ٣٠٤ وقد وصفه الشافعي بقوله : ما رأيت في مصر أعلم منه باختلاف الناس<sup>(٢)</sup>

ثم اشتهر من المالكية روح بن الفرّج أبو الزنباع الزبيري المتوفى سنة ٣٨٢ وأحمد بن الحارث بن مسكين المتوفى سنة ٣١١ هـ<sup>(٣)</sup>

(١) وفيات الأعيان ١/٢٤٩ .

(٢) حسن المحاضرة ١/٢١١ .

(٣) ظهر الاسلام ١/١٦٣ .

فلما وفد الشافعى الى مصر سنة ١٩٩ تحلق حوله طلاب الحديث والفقه ، وكان فيهم كثير من أنصار مالك ، وجعلت مدرسة الشافعى تزاحم مدرسة مالك ، وجعلت بمناقشاتها ومناظراتها توقظ الأذهان الى قيمة الجدل العلمى ، اذ كان المصريون قبل الشافعى على مذهب واحد، وكانوا لا يحفلون بالمناظرة كما كان يحفل بها أهل العراق . فلما درس الشافعى بالعراق عرف هنالك مايجرى من مناظرات بين المتكلمين وأرباب النحل ، وشارك فى بعضها اذ ناظر محمد بن الحسن الشيبانى وغيره ، ثم جاء الى مصر فنقل المناظرة معه ، وكان يناظر بعض المصريين ليخبر علمهم ويستفيد منه ، وكان يناظر العلماء الذين يخالفونه فى رأى .

وكان للشافعى كثير من التلاميذ بمصر ، منهم محمد بن أعين بن ليث المتوفى سنة ٢٦٨ مؤلف كتاب السنن على مذهب الشافعى ، ويونس بن عبد الأعلى الصدقى المتوفى سنة ٢٦٤ . وكان الشافعى يقول عنه ، مارأيت بمصر أعقل من يونس بن عبد الأعلى ، ومنهم اسماعيل بن يحيى المزنى ( توفى سنة ٢٦٤ ) وكان يعتبر أعلم الشافعية فى عصره ، وله مؤلفات عدة فى مذهب الشافعى منها الجامع الكبير ، والجامع الصغير والمختصر ، والمختصر هذا أصل الكتب المؤلفة فى مذهب الشافعى (١) .

---

(١) وفيات الأعيان ٧١/١ .



ومنهم أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى المتوفى سنة ٢٣١ ، وكان الشافعى يؤثره ويقدمه ، وله كتب منها المختصر الكبير ، وكتاب الفرائض ، وهو الذى جمع مارواه عن الشافعى فى كتاب الأم .

ومنهم الربيع بن سليمان الأزدى الجيزى المتوفى سنة ٢٥٦<sup>(١)</sup> وهو الذى ينسب اليه جمع كتاب الأم وترتيبه بعد البويطى . وله سَمِيَّ هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادى بالولاء ( ١٧٤ — ٢٧٠ ) كان تلميذا للشافعى ومقربا اليه ، وقد امتاز بكثرة مايحفظ ، وبالتثبت فيما يروى ، درس فى جامع القسطنطينية ، ثم استدعاه أحمد بن طولون ليدرس فى مسجده .

وكان المحدثون من الأقطار المختلفة يرحلون الى مصر ليأخذوا عنه ، فروى عنه أبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم<sup>(٢)</sup> .

وهو أحد الذين درس عليهم الطبرى فقه الشافعى بمصر .  
لزم المصريون مذهب مالك والشافعى ، لا يقبلون غيرهما ، الى حوالى سنة ١٦٤ هـ اذ ولى القضاء اسماعيل ابن اليسع الكندى ، وكان حنفى المذهب ، فكرهه المصريون ، وكتب الليث بن سعد الى الخليفة يطلب عزله فعزله .  
واشتهر بعده بالترويج لمذهب أبى حنيفة القاضى بكار

(١) حسن المحاضرة ١/ ١٨٦ .

(٢) ظهر الاسلام ١/ ١٦١ وحسن المحاضرة ١/ ١٦٢ .

المتوفى سنة ٢٧٠ ، كان يحدث بالمسجد الجامع ، وكان أحمد ابن طولون يتردد على مجلسه .

ثم ظهر امام الحنفية بمصر ، والمنافع عن آرائهم ، أبو جعفر الطحاوي <sup>(١)</sup> ( ٢٣٩ — ٣٢١ ) وهو عربى الأصل من الأزدي الذين نزلوا بالصعيد ، سمع من الشافعى ، وتفقه على خاله المزنى صاحب الشافعى ، لكنه تحول الى مذهب أبى حنيفة اذ درسه على من كان بمصر من العلماء ، وعلى من وفدوا اليها من الغرباء .

وله عدة مؤلفات منها : معاني الآثار ، وأحكام القرآن ، وكتاب اختلاف العلماء ، وكتاب فى الشروط ، والمختصر فى الفقه الذى شرحه كثير من العلماء <sup>(٢)</sup> .

وقد كانت هذه المذاهب تتنافس فى مصر ، ثم تتزاحم وتخرج أحيانا عن الاعتدال ، فانه لما قدم الشافعى الى مصر ونافس بمذهبه مذهب مالك ، حمل بعض العلماء المالكية بمصر على الشافعى .

ويظهر أن أصحاب مالك والشافعى كانوا يشتبكون فى معارك ، ذكر ابن سعيد أن المالكية والشافعية عاودوا القتال فى المسجد الجامع العتيق سنة ٣٢٦ ، فلما اشتد قتالهم أرسل الاخشيدي ، ونزع حصرهم ومساندتهم ، وأغلق الجامع ، فلا

---

(١) نسبة الى طحا من بلاد الدنيا بالوجه القبلى .

(٢) حسن المحاضرة ١٦٤/١ وظهر الاسلام ١٦٢/١ .

يفتح الا في أوقات الصلوات ، ثم سئل فيهم فردد (١)  
وبلغ من منافسة المذاهب في مصر أنه اذا ماتولى قاض  
من مذهب كان يكد لأصحاب المذاهب الأخرى .  
ويتبين من تتبع الفقه بمصر أن الغلبة كانت لد هبى مالك  
والشافعى الى القرن الرابع ، وأن المذهب الحنفى كان قليل  
الأتابع ، ولكن الدولة أيدته منذ حكم الاخشيدون مصر .  
أما المذهب الحنبلى والمذاهب الأخرى فلم يكن لها  
صوت ، لأن مذهب ابن حنبل كان بالعراق فى القرن الثالث ،  
ولم يتخط العراق الا فى القرن الرابع ، وفى ذلك الوقت كان  
الفاطميون يحكمون مصر ، وينشرون مذهبهم الشيعى ،  
ويضطهدون المذاهب الثلاثة الشائعة فى مصر ، وما زالوا  
يحكمون مصر الى القرن السادس ، فلما زال ملكهم رجعت  
المذاهب الثلاثة (٢) .

وعرفت مصر حينئذ مذهب الامام أحمد بن حنبل ، على  
أنه كان قليل الأتابع بالقياس الى المذاهب الثلاثة وفقهاها .

— ٢ —

وكان لمصر فى تفسير القرآن الكريم شأن .  
فقد ذكر الامام أحمد بن حنبل أن بمصر صحيفة (رسالة

---

(١) المغرب فى حلى المغرب ٢٤/٤ .

(٢) حسن المحاضرة ٢٠٥/١ .

في التفسير ) رواها على بن طلحة الهاشمي ، وهو طريق جيد  
في الرواية عن ابن عباس ، لو رحل رجل الى مصر ليطلع عليها  
ما كان هذا كثيرا (١) .

وكثيرا ما اعتمد الطبري والبخاري وغيرهما على هذه  
الرسالة فيما نسبوه الى ابن عباس (٢)  
واذ كانت صلة التفسير وثيقة بالقراءات والنحو ، كان  
أوائل المفسرين في مصر من النحاة والقراء .

من هؤلاء المفسرين محمد بن موسى الواسطي المتوفى  
سنة ٣٢٠ كان من علماء اللغة والتفسير الوافدين على  
مصر (٣) .

ومنهم أبو جعفر النحاس النحوي المصري المتوفى  
سنة ٣٣٧ ، وله عدة مؤلفات ، منها تفسير القرآن ، واعراب  
القرآن .

ومنهم أبو بكر الأذفوي المتوفى سنة ٣٨٨ المفسر  
المقرئ ، صاحب أبا جعفر النحاس ولازمه ، وله كتاب في  
تفسير القرآن في مائة وعشرين مجلدا ، وقد ذكر الذهبي أن  
القاضي الفاضل كان يملك نسخة منه .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢/٣٢١ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٥/٣٥٣ ومذاهب التفسير

الاسلامى ٩٨ جولد تسيهر ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .

(٣) بغية الوعاة ١٠٩ .

وكانت مصر في تلك الحقبة حفية بالقراءات ، اثرية  
بالقراء قبل أن يقدم الطبرى اليها ، وفي سنوات مقامه بها .  
كانت قراءة نافع قد ذاعت بمصر واستقرت ، بعد أن  
اختطت الى مصر عدة طرق ، فقد قدم نافع الى مصر ، وأقام  
بها زمنا طويلا ، اذ أرسله عمر بن عبد العزيز ليعلم الناس  
السنن (١) .

وكان أبو ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة المتوفى سنة  
١٨٨ من أول الذين أقرأوا في مصر برواية نافع ، قبل أن  
ينتصف القرن الثاني . كذلك ساهم في نقل قراءة نافع الى  
مصر سقلاّب بن شُنيّة أبو سعيد المصرى ، لأنه سمع من نافع  
نفسه بالمدينة (٢)

لكن أعظم مصدر لقراءة نافع كان عثمان بن سعيد  
ابن عدى بن غزوان بن داود بن سابق (١١٠ — ١٩٧) وهو  
مصرى الأصل ، رحل الى المدينة فقرأ على نافع سنة ١٥٥ ، ثم  
رجع الى مصر وجعل يقرىء برواية أستاذه الى أن توفى (٣) .  
وعثمان هذا هو الذى لقبه نافع بورش ، لشدة بياضه ،  
لأن الورش من معانيه البياض .

وكان سقلاّب معاصرا له ، لكن ورشا كان أعظم تلاميذ .

---

(١) حسن المحاضرة ١/ ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٣٠ .

(٣) حسن المحاضرة ١/ ٢٣٠ ومعجم الأدباء ٥/ ٣٣ .

نافع شهرة ، وأبرزهم في تمثيل قراءة أستاذه ، وأكثرهم أتباعا وتلاميذ ، وحسبنا أن نمثل لتلاميذه بأبي يعقوب الأزرق يوسف بن عمرو بن يسار المصري ، الذي خلفه في الاقراء ، وذاعت شهرته في مصر والمغرب ، حتى ان المصريين والمغاربة لم يكونوا يعرفون من القراء الا ورشا وأبا يعقوب . وقد توفي أبو يعقوب سنة ٢٤٠ .

ولم ينفرد عن ورش الا بتعليظ اللامات وترقيق الرءات (١) .

ثم اشتهر بالقراءات أبو بكر الأدفوى النحوى المفسر المتوفى سنة ٣٨٨ ، وقد انفرد بقراءة نافع مع سعة علم وبراعة فهم ، وتمكن من العربية ، وهو مؤلف كتاب ( الاستغناء في علم القراءات )

#### — ٤ —

وقد ساهمت مصر بجهد حميد في الدراسات اللغوية والنحوية في تلك الحقبة ، فكان من علمائها ابن ولاد أحمد ابن محمد بن الوليد المتوفى سنة ٣٣٢ وهو مصري من تميم ، وصفه المبرد بأنه شيخ الديار المصرية في العربية .

درس النحو ببغداد على الزجاج ، ثم جاء الى مصر ينشر مذهب العراقيين في النحو ، وألف كتابه الانتصار لسيبويه ، وكتابه المقصور والمدود .

---

(١) حسن المحاضرة ١/ ٢٣١ .

ومنهم أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ وهو مصرى  
عربى الأصل من قبيلة مراد .

تعلم النحو بالعراق ، وكان معاصرا لابن ولاد ، وزميلا  
له بالعراق ومصر ، وله مؤلفات منها ، اعراب القرآن ،  
ومعاني القرآن ، والمبهم في اختلاف البصريين والكوفيين ،  
وشرح المعلقات ، وشرح المفضليات .

ومنهم أبو بكر بن الحداد المتوفى سنة ٣٤٤ كان عالما  
بالقرآن والحديث واللغة والنحو وسير الجاهلية والشعر  
والنسب واختلاف الفقهاء ، وكان يدرس في جامع القسطنطينية ،  
ويلقب بفقيه مصر وعابدها وفصيحتها (١) .

— ٥ —

أما التاريخ فقد اشتهر به كثير من أهل مصر ومن  
الوافدين عليها ، وكانت كتبهم مصادر للطبرى وغيره .

فمن الوافدين على مصر محمد بن اسحاق صاحب  
السيرة ، وقد التقى به الطبرى فى مصر ، ونقل عنه كثيرا فى  
كتابه تاريخ الأمم والملوك .

ومنهم أبو محمد عبد الملك بن هشام وهو من اليمن ،  
ونشأ بالبصرة ، ثم قدم الى مصر وأقام بها الى أن مات سنة  
٢١٣ وقد التقى بالشافعى وتناشدا كثيرا من شعر العرب ،

---

(١) ظهر الاسلام ١٦٣/١ .

رسمع من عبد الله بن وهب وعبد الله بن لهيعة ، وهو الذى  
لخص سيرة ابن اسحاق وهذبها .

ومن المؤرخين المصريين عبد الرحمن بن عبد الله بن  
عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ كان من أهل الحديث والرواية  
والقصص والأخبار والتاريخ وهو مؤلف كتاب فتوح مصر.  
كان ابن عبد الحكم من أقدم المؤرخين الذين بلغتنا  
كتبهم ، وكان يسجل ما يرويه عن ثقة المصريين مثل والده  
عبد الله ، ويحيى بن بكير ، وعثمان بن صالح كاتب الليث  
ابن سعد .

وأخذ كثير من المصريين عنه مثل ابن قديد ، وعن ابن  
قديد هذا أخذ الكندى .

وقد قسم ابن عبد الحكم كتابه الى سبعة أبواب ، تحدث  
فى أولها عن فضائل مصر وتاريخها القديم ، وتحدث فى الثانى  
عن فتح العرب لمصر ، وفى الثالث عن الخطط والقطائع ،  
وتحدث فى الرابع عن الادارة فى عهد عمرو بن العاص وابن  
أبى السرح ، وفى الخامس عن غزو شمالى افريقية والأندلس ،  
وسرد فى السادس قصة مصر الى سنة ٢٤٦ ، وذكر فى  
السابع الأحاديث التى رواها الصحابة الذين وفدوا الى مصر  
وهم اثنان وخمسون صحابيا .

ومن حق ابن عبد الحكم أن يعد أول مؤرخ عرض  
للخطط والأخاذه ، ومن حق المصريين أن ينسب اليهم سبق  
الى تناول هذا النوع من التاريخ الاسلامى ، فليس من



الصواب نسبة هذا الفن الى الكندى والقضاعى كما ذهب  
المقريزى (١) .

ومنهم عمار بن وسيمۃ المتوفى سنة ٢٨٩ مؤلف التاريخ  
على نظام السنين ، ومنهم ابن يونس ( ٢٨١ — ٣٤٧ ) وهو  
أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الاعلى ،  
عربى الأصل من بيت عرف بالحديث والفقه .

تثقف ابن يونس بالحديث والفقه ، وعنى بتاريخ مصر ،  
فقرأ ما كتبه ابن عبد الحكم وغيره ، ثم أرخ لحوادث مصر  
ورجالها ومن طرأ عليها من الغرباء .

ومنهم الكندى ( ٢٨٣ — ٣٥٠ ) وهو محمد بن يوسف ،  
كان من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وثغورها وأعمالها ،  
أصله من كندة ، لكنه نشأ بمصر ومات بها .

ومن مؤلفاته ولاية مصر وقضاتها ، وهو كتاب معروف  
مشهور ، وألف كذلك فى خطط مصر ، وفى موالى مصر .

ثم جاء بعد مقدم الطبرى الى مصر المسعودى المتوفى  
سنة ٣٤٦ وأقام بالفسطاط نحو سنتين وتوفى بها .  
وله مؤلفات كثيرة ومنهج فى التاريخ سديد .

---

(١) أدب مصر الاسلامية ٨٥ للدكتور محمد كامل حسين .

## الفصل الثاني شروق وغروب

— ١ —

ولد بآمل عاصمة اقليم طبرستان ، وأكبر مدينة في  
سهله ، وهى مدينة خرجت كثيرا من العلماء ، لكنهم ينسبون  
الى طبرستان ، فيقال لكل منهم الطبرى .  
والاقليم الذى يشمله طبرستان متسع ممتد ، تشغل  
الجبال أكثر مساحته .

وقد سمي بهذا الاسم لأن سكان الجبال كثيرى الحروب ،  
وأكثر أسلحتهم الأبطال ، فليس بينهم صعلوك ولا غنى ، ولا  
صغير ولا كبير الا ويده الطبر ، فسميت بلادهم طبرستان  
لأنى بلاد الأبطال ، أو موضع الأبطال .

وهو اقليم كثير المياه ، متهدل الأشجار ، متنوع  
الفاكهة ، قال أبو العلاء السَّوِّى فى وصفه :

إذا الريح فيها جرت الريح أعجلت

فواختها فى الغصن أن تترنما (١)

فكم طيرت فى الجو وردا مدنرا

يقلبه فيه ووردا مدرهما

(١) الفواخت : جمع فاختة وهى نوع من الطيور .

وأشجار تفاح كأن ثمارها  
عوارض أبكار يضاحكن مغرما  
فإن عقدتها الشمس فيها حسبتها  
خودا على القضبان فذأ وتوأما  
ترى خطباء الطير فوق غصونها  
تبث على العشاق وجدا مكتما

بدأ سعيد بن العاص فتح الاقليم في عهد عثمان بن عفان.  
فلما تولى معاوية بعث اليها مصقلة بن هبيرة ومعه عشرون  
ألف رجل ، فأوغل فيها ، لكن أهلها ترصدوا لهم في المضائق ،  
فقتلوا مصقلة وأكثر رجاله .

فكان المسلمون بعد ذلك اذا غزوا هذه البلاد تحفظوا  
وحذروا التوغل فيها .

فلما تولى يزيد بن المهلب خراسان في أيام سليمان بن  
عبد الملك سار حتى وصل الى طبرستان ، وقاتل أهلها ،  
فصالحوه ، ولم يزالوا يفون بصلحهم مرة ويغدرون أخرى  
الى أيام مروان بن محمد ، فانهم تقضوا عهدهم ، ومنعوا  
جزيتهم ، فوجه اليهم السفاح عاملا فصالحوه على مال ، ثم  
غدروا وقتلوا المسلمين في خلافة المنصور ، فأرسل اليهم ثلاثة  
من قواده حاربوهم وانتصروا عليهم .

وفي أيام المأمون افتتحت جبال شروين من طبرستان ،  
وهي من أمنع الجبال وأصعبها ، فولى المأمون على  
طبرستان المازيار بن قارون — وكان قد شارك في فتح

الجبـال — وسماه محمدا ، فلم يزل واليا عليها حتى توفي  
 المأمون ، فأقره المعتصم ولم يعزله ، لكنه بعد ست سنوات  
 من ولاية المعتصم غدر وخالف ، فكتب المعتصم الى عبد الله  
 ابن طاهر واليه على المشرق ( خراسان والرى وقومس  
 وجرجان ) يأمره بمحاربته ، فلما قصدته جنود الخليفة  
 وجنود ابن طاهر سلم ، وحمل الى سرمن رأى سنة ٢٢٥ هـ  
 فضرب بالسياط بين أيدي المعتصم حتى مات .

ثم وليها بعد عبد الله بن طاهر ابنه طاهر ، وخلفه عليها  
 أخوه سليمان ، فخرج عليه الحسن بن زيد العلوى  
 سنة ٢٤٩ فأخرجه عنها ، وغلب عليها الى أن مات ، وخلفه  
 أخوه محمد بن زيد (١)

— ٢ —

أما اسمه فمحمد وأما كنيته فأبو جعفر .  
 والمؤرخون متفقون فى نسبه حتى جده ، فهو أبو جعفر  
 محمد بن جرير بن يزيد ، لكنهم بعد ذلك مختلفون ، فيزيد  
 هذا ابن كثير بن غالب فى رأى أكثرهم (٢) ، ولم يذكروا رأيا  
 آخر ، وفى رأى آخرين أنه ابن خالد (٣) . ويظهر من عبارة

(١) معجم البلدان لياقوت مادة طبرستان .

(٢) معجم الأدباء لياقوت والأنساب للسمعاني ٣٦٧  
 وطبقات المفسرين ٣٠ وانباء الرواة ٨٩/٣ وطبقات الشافعية  
 ١٣٥/٢ وتاريخ بغداد ١٦٢/٢ .

(٣) الفهرست ٢٣٤ ووفيات الاعيان ٣٣٢/٣ .

ابن خلكان أنه يعتقد صحة هذا النسب ، ويضعف الرأي الآخر .

على أن أبا جعفر نفسه لم يكن يزيد في نسبه اسما آخر على أبيه ، فقد سأل سائل عن نسبه فقال : محمد بن جرير . قال السائل : زدنا في النسب ، فأنشده بيت رؤية بن العجاج :  
قد رفع العجاج ذكرى فادعنى  
باسمى اذا الأنساب طالت يكفى

— ٣ —

ولد في آخر سنة ٢٢٤ أو في مطلع سنة ٢٢٥ هـ ( ٨٣٩ م ) وقد سأل القاضي ابن كامل أحد تلاميذه الذين أروا له : كيف وقع لك الشك في سنة مولدك ؟ فقال أبو جعفر : كان أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين ، فأرخ مولدى بحادث كان في البلد ، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون ، قال بعضهم : كان ذلك في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين . وقال آخرون : بل كان في أول سنة خمس وعشرين ومائتين (١)

---

(١) معجم البلدان ١٨ وطبقات الشافعية ١٣٥/٢ ولسان الميزان ١٠٢/٥ .

وكانت وفاته ببغداد يوم ٢٦ من شوال سنة ٣١٠ هـ<sup>(١)</sup>  
في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله .

ويبدو أن مؤرخيه يستبعدون ما قيل عن وفاته في سنة  
٣١١ أو ٣١٦ هـ<sup>(٢)</sup>

وهم مجمعون على أن وفاته كانت ببغداد ، اذ أنه دفن  
هناك .

وقد ذكر ابن خلكان أنه رأى بمصر في القرافة الصغرى  
عند سفح المقطم قبرا يزار ، وعند رأسه حجر مكتوب عليه  
( هذا قبر ابن جرير الطبري ) والناس يقولون انه صاحب  
التاريخ المشهور ، ثم قال : ان هذا ليس بصحيح ، بل  
الصحيح أنه دفن ببغداد ، وكذلك قال ابن يونس في تاريخه  
المختص بالغرباء<sup>(٣)</sup>

(١) معجم الأدباء ١٨/٤٠ ، ٤٨ وانباء الرواة ٣/٩٠ ووفيات  
الأعيان ٣/٣٣٢ وطبقات الشافعية ٢/١٣٨ وتاريخ بغداد  
٢/١٦٦ والأنساب ٣٦٧ ولسان الميزان ٥/١٠٠ وطبقات  
المفسرين ٣١ .

(٢) معجم الأدباء ١٨/٩٤ وانباء الرواة ٣/٩٠ .

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٣٢ .

## الفصل الثالث

### بين سابع الثقافة

— ١ —

لم يكد أبو جعفر يبلغ السن التى تؤهله للتعلم حتى يعهد به والده الى علماء (آمل) ، وسرعان ما يتفتح عقله وتبدو عليه مخايل النبوغ وهو حدث ، فقد قال انى حفظت القرآن ولى سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين ، وكتبت الحديث وأنا فى التاسعة (١) .

وكان هذا النبوغ المبكر حافزا لأبيه على الجدى و اكمال تعليمه ، وبخاصة أنه رأى حلما تضاءل من تأويله ، قال الطبرى : رأى لى أبى فى النوم أننى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعى مخللة مملوءة بالأحجار ، وأنا أرمى بين يديه .

وقص رؤياه على المعبر فقال له : ان ابنك ان كبر نصح فى دينه ، وذب عن شريعته . فحرص أبى على معوتتى على طلب العلم ، وأنا حينئذ صبى صغير (٢) .

وأغلب الظن أن والده لم يحبس هذه الرؤيا فى نفسه ، بل أخبر بها ابنه الصغير ، ولعله أخبره بها مرات ، فكانت

(١) معجم الأدباء ٤٩/١٨ .

(٢) المرجع السابق .

هذه البشارة من حوافز أبي جعفر الى الاجتهاد في طلب العلم ، والدأب النشيط في الاستزادة من ينابيعه ، ثم الكد المتصل في التدريس والتأليف طيلة حياته .

— ٢ —

ها هو ذا يقضى سنوات في « آمل » تزيده الى المعرفة ظمأ ، فيتنقل بين مدن طبرستان وغيرها من بلاد الفرس . يستقى من ينابيعها ما يبرد غلته ، فيبدأ بالسفر الى الري وما جاورها ، ليأخذ الحديث عن محمد بن حميد الرازي ، والمثنى بن ابراهيم الأبلق . ويقول : كنا نكتب عن ابن حميد ، فيخرج إلينا في الليل مرات ، ويسألنا عما كتبناه ، ويقرأه علينا .

وفي هذه المنطقة يدرس التاريخ على محمد بن أحمد ابن حماد الدولابي مع حرص شديد على مجالس ابن حميد ، قال : كنا نبضى الى أحمد بن حماد الدولابي ، وكان في قرية من قرى الري ، ثم نعدو كالمجانين ، حتى نعود الى ابن حميد فنلحق مجلسه . ويقال انه كتب عنه أكثر من مائة ألف حديث .

على أنه درس عليه التفسير أيضا ، وأخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالري ، فاذا ما ارتوى من هذه الينابيع أحس بظمأ جديد الى مناهل أخرى .  
فالى أين يقصد ؟



يشخص الى بغداد ، ليسمع من عالمها أحمد بن حنبل ،  
ويعنى نفسه وهو في طريقه بأنه سيتلقى من الامام المحدث  
الفقيه ، لكن الأقدار لم تحقق له ما كان يأمله ، اذ توفي  
ابن حنبل قبل أن يصل أبو جعفر الى بغداد ، ويعلم بوفاته  
وهو على مقربة منها ، فينصرف عنها ، ولا يفكر في أن  
يعود الى بلده ، فيتجه الى البصرة ، ويسمع من علمائها .  
يسمع من محمد بن موسى الحرشي ، وعماد بن موسى  
القراري ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، وبشر بن معاذ ،  
ومحمد بن بشار المعروف ببشار ، وأبي الأشعث ،  
ومحمد بن المعتلي ، وغيرهم .

ثم ينتقل الى واسط فيسمع من بعض شيوخها .  
ويحدوه الكلف بالمعرفة الى أن يرحل الى الكوفة ،  
فيكتب الحديث عن هناد بن السري ، واسماعيل بن  
موسى ، وأبي كريب محمد بن العلاء الهمداني ، ويأخذ  
القراءات عن سليمان الطلحي .

ويتبين زملاؤه في الكوفة أنه أقدرهم وأحفظهم ، ثم  
يتبين أبو كريب أن الطبري أنبهم ، فقد كان أبو كريب  
من كبار علماء الحديث ، لكن كانت فيه شراسة وشدة ،  
وقد وصف الطبري لقاءه لتلاميذه مرة فقال : حضرت الى  
داره مع طلاب الحديث ، فاطلع من باب خوخة له ،

وطلاب الحديث يلتمسون الدخول ويصيحون ، فقال :  
أيكم يحفظ ماكتبه عنى ؟

فالتفت بعضهم الى بعض ، ثم نظروا الى وقالوا :  
أنت تحفظ ماكتبته عنه ؟ قلت : نعم . قالوا : هذا ،  
فأسأله . فقلت : حدثنا فى كذا بكذا ، وفى يوم كذا بكذا .  
فأخذ أبو كريب يسألنى الى أن عظمت فى نفسه ،  
فقال لى : ادخل الى . فدخلت ، فمكننى من حديثه .

ويقال إنه سمع من أبى كريب أكثر من مائة ألف حديث .  
هل يقنع الطالب النهم بما حصل فى الرى والبصرة  
وواسط والكوفة ؟ لا . ولعل هذه الدراسة قد زادت الى  
العلم شوقا ، وزادته به كلفا .

لقد كان يريد بغداد ليدرس على ابن حنبل ، فأنصرف  
عنها لما علم بموته ، ولم يدخلها .

#### — ٤ —

فلماذا لا يتجه اليها الآن ، وفيها من جلة العلماء من  
يروون ظمأه أو بعض ظمئه الى المعرفة ؟

وسرعان مايندفع الى بغداد ، فيدرس القراءات على  
أحمد بن يوسف التغلبى ، ويتلقى فقه الشافعى عن الحسن  
ابن محمد الصباح الزعفرانى ، وعن أبى سعيد الاصطخرى .  
فهل آن لهذا الظمآن أن يرتوى ، فلا يرتحل الى ينابيع  
أخرى ؟

ان هذا بعيد ، لأن العطاش الى المعارف لا يرتوون  
مهما ينهلوا ، ولعلمهم كلما نهلوا استطابوا العلم فازدادوا  
اليه ظمأ ، واحتملوا في سبيله نصبا .  
فعلام يعتزم أبو جعفر ؟  
انه يعتزم رحلة طويلة الى بلد بعيد تهفو اليه نفسه .  
فليتجه الى مصر ليستقى من مناهلها التي طالما  
سمع بها .

— ٥ —

لكن شوقه الى المعرفة يعرج به الى الشام ، فيقيم في  
بيروت مدة يلقي فيها العباس بن الوليد البيروتي المقرئ ،  
ويقرأ عليه القرآن كله برواية الشاميين .

— ٦ —

فاذا ما قضى من الشام حاجته اندفع الى مصر ، فوصل  
اليها سنة ٢٥٣ في أوائل عهد أحمد بن طولون (١) .  
أقام مدة بالفسطاط ، ثم عَنَّ له أن يعود الى الشام ،  
فلما قضى من هناك أربعا علميا رجع الى مصر سنة ٢٥٦  
( ٨٧٠ م ) .  
ولقد كانت مصر حينئذ ثرية بعلمائها الذين استسقاهاهم  
الطبرى .

---

(١) قامت الدولة الطولونية بمصر من ٢٤٥ الى ٢٩٢ هـ .

ها هو ذا يدرس في مصر فقه الشافعى على الربيع بن سليمان المرادى ، واسماعيل بن ابراهيم المزنى ، ومحمد ابن عبد الله بن الحكم ، وأخيه عبد الرحمن ، ويدرس فقه مالك على تلاميذ ابن وهب .

ويلقى يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، فيأخذ عنه قراءة حمزة وورش . وكان بمصر وقت دخوله اليها أبو الحسن على بن سراج المصرى ، وكان متأدبا فاضلا ، يقصد من دخل الفسطاط من أهل العلم ، فلما ظهرت شهرة الطبرى بمصر ، وبأن فضله وعلمه بالقرآن واللغة والحديث والفقه والنحو والشعر ، لقيه أبو الحسن بن سراج ، فوجده واسع المعرفة ، سديد الجواب فى كل مسألة عنه .

فسأله عن شعر الطرماح بن حكيم ، ولم يكن فى مصر من يحفظه ، فوجد الطبرى يحفظه ، فسأله أن يمليه ويفسر غريبه ، فأخذ يمليه عند بيت المال فى الجامع .

ثم يناقش المزنى --- بعد أن درس عليه فقه الشافعى --- فى عدة مسائل ، منها الكلام فى الاجماع ، وكان الطبرى قد اختار من مذاهب الفقهاء قولاً اجتهد فيه ، بعد أن كان تفتحه فى بغداد على مذهب الشافعى ، وبعد أن درسه بمصر .

وقد سأله أبو بكر أحمد بن كامل فيما بعد عن المسألة التى تناظر فيها هو والمزنى فلم يذكرها ، لأنه كما قال

ابن كامل : كان أفضل من أن يرفع نفسه ، وأن يذكر تفوقه على خصم في مسألة (١) .

ويشاء حظه المواتى أن يجتمع في مصر بمحمد بن اسحاق بن خزيمة ، وأن يقرأ كتابه في السيرة ، ثم يعتمد عليه في مصادر تاريخه .

وقد اجتمع بمصر في ذلك الوقت أربعة من العلماء الوافدين اسم كل منهم محمد ، هم محمد بن جرير الطبري ، ومحمد ابن اسحاق ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الرثوياني (٢) وقد أبى الخيال الا أنه يزخرف من اجتماعهم بمصر أسطورة تنبئ عن نبيل أخلاقهم ، وطهارة نفوسهم ، وتدلل على تقدير الحاكم للعلم والعلماء .

ذكر ياقوت قلا عن كتاب السمعاني (٣) وذكر الخطيب البغدادي في ترجمته لمحمد بن حرب (٤) .  
أن الرحلة جمعت بين أولئك المحمدين بمصر ، فأرملوا ، وافتقروا ، ولم يبق عندهم مايمونهم ، ولحق بهم الضرر ، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون اليه ، واثقوا على أن يستهموا — يقترعوا — فمن خرجت عليه القرعة سأل

---

(١) معجم الأدباء ٥٤/١٨ .

(٢) نسبة الى رويان ، مدينة كبيرة من جبال طبرستان .

(٣) معجم الأدباء ٤٦/١٨ .

(٤) تاريخ بغداد ١٦٥/٢ .

الناس لأصحابه الطعام . فخرجت القرعة على محمد بن اسحاق ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ ، وأسلمى صلاة الخيرة . فاندفع بالصلاة ، فاذا هم بالشموع وخصى من قبل والى مصر يدق عليهم الباب ، ففتحوها له ، فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل له : هذا ، وأشاروا اليه . فأخرج صرة فيها خمسون دينارا ، ودفعها اليه .

ثم قال : أيكم محمد بن جرير ؟ فأشاروا اليه ، فدفع اليه خمسين دينارا .

ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقيل له هذا ، فدفع اليه مثلها .

ثم قال : وأيكم محمد بن اسحاق ؟ فقالوا : هو ذا يصلى . فلما فرغ من صلاته دفع اليه صرة فيها خمسون دينارا .

ثم قال لهم : ان الأمير كان فى قيلولته ، فرأى فى النوم طيفا يقول له : ان المحامد اشتد بهم الجوع ، فبعث بهذه الصرر ، وهو يقسم عليكم اذا نقدت أن تبعثوا اليه ليزيدكم .

— ٧ —

ويظهر أن الحنين الى بغداد عاوده فقصده اليها . لكنه لم يلبث أن اتجه الى طبرستان ، وكانت هذه زورته الأولى لها منذ أن فارقتها فى طلب العلم .

فقضى بها مدة رجع بعدها الى بغداد ، ثم عاد الى  
طبرستان مرة ثانية سنة ٢٩٠ هـ  
لكن بغداد أبت الا أن تجتذبه ، فعاد اليها وأقام بها ،  
واقطع للتدريس والتأليف الى أن ودع الحياة

— ٨ —

ويظهر من تتبع أسانئذه أنه تلقى على الكبار من علماء  
عصره ، وسمع من الشيوخ الثقة الذين مر ذكر بعضهم .  
وهناك كثير غيرهم من أصحاب الأسانيد العالية بمصر  
والشام وبغداد والكوفة والبصرة والرى (١) .  
فقد تلقى القراءات على سليمان بن عبد الرحمن بن حماد  
( خلاد ) الطلحي ، وكان الطلحي قد قرأ على خلاد ، وخلاد  
قرأ على سليم بن عيسى ، وسليم قرأ على حمزة . وتلقاها  
كذلك عن يونس بن عبد الأعلى ، عن علي بن كَيْسَة ، عن  
سُلَيْم بن حمزة .  
وذكر ابن كامل أن الطبري كانت عنده رواية ورش عن  
نافع عن يونس بن عبد الأعلى .

---

(١) معجم الأدباء ١٨ وطبقات الشافعية ٢/١٣٥ والفهرست  
٢٣٤ والأنساب للسمعاني ٣٦٧ .

## الفصل الرابع

### معالم شخصيته

لقد نستطيع تقرب الشخصية الى الادراك اذ نعرفها  
بأنها مجموعة الصفات الجسمية والعقلية والخلقية التي  
يتصف بها الانسان ، سواء آكانت حسنة أم قبيحة .  
وهو بهذه الصفات كثيرا ما يتميز من غيره .

وهذه الشخصية توهب بالفطرة ، وتكتسب بالتربية ،  
ولكن الفطرية أقوى من المكتسبة .

على أن الشخصية لو كانت هبة طبيعية فحسب لكثنا  
ضحايا الظروف ، ولفقدت التربية أثرها في بناء العظماء من  
رجال الدين والأدب والعلم والفن .

وللشخصية عناصر أساسية تقوم عليها ، منها : الجاذبية ،  
والذكاء ، والمشاركة الوجدانية ، والشجاعة ، والحكمة ،  
والتفاؤل ، والتواضع ، وقوة البيان ، والثقة بالنفس ،  
والاعتماد عليها ، واعتدال المزاج ، والمظهر العام للجسم ،  
وحسن الهندام<sup>(١)</sup> .

وسيتضح من دراسة شخصية الطبرى أنه كان يتصف  
بما تتطلبه الشخصية المكتملة من مزايا خلقية وعقلية .

---

(١) فى علم النفس ٣/ ٣٧٠



## صفاته الجسدية

لم يكن المؤرخون القدامى يعنون بالأوصاف الجسمية ، لأنها لم تكن في رأيهم وثيقة العلاقة بالشخصية التي يؤرخون لها .

لهذا لا نستطيع أن نحصل على وصف كامل دقيق لأبي جعفر ، يعيننا على رسم عام لصفاته الجسمية . على أنهم خلفوا لنا بعض ملامح ، نستطيع أن نتصور منها بعض أوصافه الجسدية (١) .

كان الطبري مديد القامة ، نحيف الجسم ، أسمر اللون إلى الادمّة ، واسع العينين ، كبير اللحية ، توفي ولم يمتلئ رأسه بالشيب ، وسواد لحيته غالب على البياض .

وكان لا يأكل من الخبز إلا السميند ، لأنه من قمح مغسول ، اذ كان من مذهبه أن الشمس والنار والرياح لا تظهر نجسا .

وكان ربما أكل الحصرم في وقته ، وربما أكل من العنب الرازقي ، والتين الوزيري ، والرطب ، وربما جرى له بلبن من غنم ترعى ، فيصفي ويجعل في قدر على النار حتى يذهب

(١) تاريخ بغداد ٢/١٦٦ ومعجم الأدباء ١٨ في مواضع متفرقة وطبقات الشافعية ٢/١٣٨ .

منه جزء ، ثم يثرد في الاناء ، ويصب اللبن الحار على الثريد ، ويدعه حتى يبرد ، ويطرح عليه الصعتر<sup>(١)</sup> وحبّة السوداء<sup>(٢)</sup> والزيت .

فاذا أكل نام في قميص من نسيج يشبه الكتان ، قصير الأكمام ، مصبوغ بالصندل وماء الورد .  
وأرجح أنه لم يكن سليم المعدة أو الكبد ، لأنه كان لا يأكل اللحم الدسم ، بل يأكل اللحم الأحمر الصرف ، ولا يطبخه الا بالزبيب ، اذ كان يعتقد أن السمين يلطخ المعدة .  
كذلك كان يتجنب الثلج والسّمسم والشهد والتمر .  
وقد يدهشنا امتناعه عن التمر والشهد ، وزعمه أنهمما يفسدان المعدة ، ويغيران النكهة ، وزعمه أن التمر يلطخ المعدة ، ويضعف البصر ويفسد الأسنان ، ويفعل في اللحم كذا وكذا .

وله في هذا المجال رد لطيف على أبي على الصواف ،  
ذلك أن الصواف قال له : أنا آكل التمر طول عمري ، ولا أرى منه الا خيرا . فقال أبو جعفر : وما بقى على التمر أن يعمل بك أكثر مما عمل ؟ وكان الصواف قد سقطت أسنانه ، وضعف بصره ، ونحف جسمه ، وكثر اصفراره<sup>(٣)</sup> .

- 
- (١) الصعتر بالصاد والسين نبات طيب الرائحة زهره أبيض مغبر بذر أصغر من بذر الريحان .  
(٢) هي المعروفة الآن بحبة البركة .  
(٣) معجم الأدباء ٩٠ / ١٨ .

ومع هذا التحرز كان الطبرى يكثر من العقاقير الهاضمة،  
ويكثر من الأدوية ، وبخاصة الاسفيداج والزيرباج (١) .

قال أبو بكر بن مجاهد : كان أبو جعفر يخرج الى  
الصحراء فنخرج معه ، فدعانا يوما أبو الطيب بن المغيرة  
الثلاج — وكان جارا لأبى جعفر فى محلة ببغداد — وأطعنا  
فولا ، فأكلنا وأكل أبو جعفر حتى امتلأ ، ورأينا من انبساطه  
وحسن صحبته أمرا عظيما ، ثم انصرفنا ، فذهبت اليه لأعرف  
حاله بعد الأكلة ، فاذا بين يديه أدوية وجوارشنات (٢) يتعاطى  
منها ، ليدفع ضرر ما أكله .

وكان أبو القاسم سليمان بن فهد الموصلى يهدى اليه  
العسل فيقبله منه ، فلما مات أبو جعفر وجدوا عنده احدى  
عشر جرة عسلا ، بعضها قد نقص منه .

وكان مريضا بذات الجنب ، تعتاده وتنتقض عليه .  
ويظهر أن معرفته بالطب واعتلال صحته مرناه على  
تطبيب نفسه ، فقد وجه اليه على ابن عيسى طبيا ، فسأله عن  
حاله ، فعرفه بما يشكو منه ، وأخبره بما تعاطاه الى يومه ،  
وما يعتزم أن يتعاطاه من اليوم ، فقال له الطبيب : ليس عندى  
شئ فوق ماوصفته لنفسك ، والله لو كنت فى ملتنا لعددت

---

(١) الاسفيداج : رماد الرصاص والآنك • الزيرباج :  
دواء بالفارسية •  
(٢) الجوارشن : دواء هاضم للطعام عذب طيب الرائحة ،  
فارسي معرب •

من الحواريين (١) . تم عاد الطيب الى على بن عيسى . ه قعر  
عليه أمر الطبرى ، فأعجبه (٢) .

ويدهشنا في هذا الصدد أن نقرأ في تاريخه تطيباً عجيباً  
لغيره ، لا ندري كيف اطمأن هو الى نفسه ، فقد تحدث  
أبو العباس بن المغيرة الثلاثي قال : اعتل ابني أبي الفرج ،  
وكان ابني حسن الأدب ، ويتفقه على مذهب أبي جعفر . فقال  
لى أبو جعفر : تقبل منى ما أسفه لك ؟ فقلت : نعم . وكنت  
أتبرك بقوله ورأيه . قال : احلق رأسه ، واعمل له جوداً (٣)  
سمينة من رقاق ، وأكثر دسمها ، وقدمها اليه ، وألمعه منها  
حتى يمتلىء شبعاً ، ثم خذ ما بقى فاطرحه على رأسه ، واحرس  
أن ينام على حاله تلك ، فانه يبرأ ان شاء الله . ففعلت ما أشار  
به فبرىء ابني (٤) .

(١) رسل المسيح عليه السلام .

(٢) معجم الأدباء ١٨ / ٩٤ .

(٣) ملة تخير فى النور وعليها طائر او لحم مشوى مبقر  
عليها ودكه .

(٤) معجم الأدباء ١٨ / ٩٣ .

## صفاته الخلقية والنفسية (١)

فاذا ما تعقبنا تاريخه لتتعرف صفاته الخلقية والنفسية ،  
لم نستطع أن نجد ما يعيننا على رسم صورة كاملة ، لأن  
المصادر التي نعتمد عليها لا تسعفنا بذلك .  
وحسبنا أن نعرض بعض ما تميز به ، مما سجله تلاميذه  
ومعاصروه ، ومما نستنبطه من أخباره ومعاملاته وصلاته ،  
لتكون كالدليل الى مالا نعلمه .

### ١ - ورع

كان أبوه ورعا تقيا متصوفا ، وكذلك اشتهر ابنه بالورع  
والتقوى والزهادة في الدنيا .

وليس معنى هذا أنه ورث هذه الصفات ، لأنها مما  
لا يورث ، بل معناه أن تأثره بأبيه ، ومحاكاته له من  
الأسباب التي حبت إليه الورع والزهادة والاستغناء بما  
يورد إليه من حصته في مزرعة خلفها له أبوه بطبرستان (١) .

ووصفه عبد العزيز الطبري بأنه كان شديد التقوى  
والحذر مما ينافي التدين والورع ، وكان على قسط عظيم من

(١) طبقات الشافعية ١٣٧/٢ .

النزاهة ، واستدل على هذا بما أودعه كتابه (آداب النفوس) .  
فهو اذا ممن يأخذون أنفسهم بالدعوة الى الفضائل ، وتطبيق  
هذه الدعوة ، كما شهد تلميذه .

ومن مظاهر ورعه أنه كان مع اشتغاله بالتأليف  
والتدريس يحرص على قراءة قدر من القرآن الكريم اعتاد  
أن يقرأه .

وكانت قراءته للقرآن الكريم تجمع بين الترتيل الجيد  
المثل للمعاني ، وبين الخشوع المصور للجلال ، حتى لقد  
قال بعض سامعيه ، انه لم يكن يظن أن انسانا يحسن أن يقرأ  
هذه القراءة .

حدث أبو علي الطوماري قال : كنت أحمل القنديل في  
شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد لصلاة التراويح ،  
فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر من داره ، ومررنا على  
مسجده ، فاجتازه ولم يدخله ، وسار حتى وقف على باب  
مسجد الطبري ، وكان الطبري يقرأ سورة الرحمن ، فاستمع  
لقراءته طويلا ، ثم انصرف .

فقلت له : يا أستاذ تركت الناس ينتظرونك ، وجئت  
تسمع قراءة هذا ؟

فقال : يا أبا علي ، دع عنك ، ما ظننت أن الله خلق بشرا  
يحسن أن يقرأ هذه القراءة (١) .

---

(١) تاريخ بغداد ١٦٤/٢ وطبقات الشافعية ١٣٧/٢ ومعجم  
الأدباء ١٨ .

ووصفه عبد العزيز بن محمد الطبري بأنه كان مجودا في القراءة ، موصوفا بذلك ، يقصده القراء والبعداء من الناس ليصلوا خلفه ، ويسمعوا قراءته وتجويده (١)

ومن مظاهر ورعه أنه قال : استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير ، وسألته العون على مانويته ثلاث سنين ، قبل أن أعمله فأعانني (٢) .

ويصفه كثير من تلاميذه ومعاصريه بأنه كان زاهدا ، عازفا عن الدنيا ، مترفعا عن التماسها ، خاشعا ، آمينا ، تقيا ، ماسمعه أحد يحلف بالله عز وجل .

وقد عاش حياته أعزب عفيفا ، اذ كان — كما وصفه مسألمة بن قاسم — حصورا لا يعرف النساء ، شغله طلب العلم وهو ابن اثنتي عشر سنة ، ولم يزل طالبا للعلم ، مولعا به الى أن مات (٣) .

وفي حديث للطبري نفسه عن حياته بمصر قوله : وما حلت سراويلي على حرام ولا حلال قط (٤) .

---

(١) معجم الأدباء ١٨/٦٦ .

(٢) معجم الأدباء ١٨/٦٢ .

(٣) لسان الميزان ٥/١٠٢ .

(٤) معجم الأدباء ١٨/١٥٥ .

## ٢ - إِبَاوَه

ينبىء تعقب أخلاقه في جميع حالاته عن أنفة وعزة نفس  
واباء ، فلم يذل مرة ، ولم يستهن بكرامة نفسه مرة .  
وانى لأستدل على ابائه منذ صغره من قوله : لما ترعرعت  
سمح لى أبى بالسفر من مدينة ( آمل ) وكان يبعث الى بالمال ،  
فأبطأت على النفقة مرة ، فاضطرت الى أن فتقت كمى  
القميمص فبعتهما (١) .

لقد كان يستطيع أن يقترض ، ثم يرد القرض بعد قليل  
من الأيام ، لكنه لم يفعل .  
وكان يستطيع أن يلجأ الى ما كان يلجأ اليه الطلاب  
الغرباء في عصره من الاستعانة بذوى الثراء أو محبى العلم ،  
لكنه آثر أن يبيع كمى قميصه ، لينفق من ثمنهما حتى  
توافيه نفود أبيه .

وقد لزمته هذه الأنفة طيلة عمره ، حتى كان يرفض  
الهدايا والمنح ، لأنه جرى على ألا يقبل هدية لا يستطيع أن  
يكافئ بمثله ، فان كانت فوق طاقته ردها واعتذر الى  
مهدئها .

وكثيرا ما رفض هدايا الوزراء والكبراء على تشوقهم  
الى أن يقبلها .

(١) طبقات الشافعية ١٣٨/٢ .



وجه اليه أبو الهيجاء بن حمدان ثلاثة آلاف دينار ، فلما  
نظر اليها عجب منها ، ثم قال : لا أقبل مالا أقدر على المكافأة  
عنه ، ومن أين لى ما أكافئ به عن هذا ؟  
ف قيل له : ليس لهذا مكافأة ، انما أراد التقرب الى الله  
عز وجل .

فأبى أن يقبلها وردھا .  
وأهدى اليه جاره أبو الحسن المحرر فرخين ، فأهدى  
اليه الطبرى ثوبا . وأهدى اليه الوزير أبو على محمد بن  
عبيد الله رمانا ، فقبله ، وفرقه فى جيرانه .

فلما مضت أيام بعث اليه الوزير عشرة آلاف درهم ،  
ومعها رقعة يسأله فيها أن يقبل هديته ، وكان الوزير قد أخبر  
حامل الهدية أن يعرض على أبى جعفر ان لم يقبل الهدية أن  
يفرقها على أصحابه ممن يستحق . قال راوى الخبر : فصرت  
بالبدرة اليه ، فدققت الباب ، وكان يأنس الى ، وكان اذا  
دخل منزله بعد مجلس العلم لا يكاد يدخل اليه أحد الا فى  
أمر مهم ، لاشتغاله بالتصنيف .

فعرفته أنى جئت برسالة من الوزير ، فأذن لى ، فدخلت ،  
وأوصلت اليه الرقعة ، فقال : اقرأ عليه السلام ، وقل له :  
ارددنا الى الرمان . وامتنع من قبول الدراهم .

فقلت له : فرقها فى أصحابك على من يحتاج اليها ، ولا  
تردها . فقال : هو أعرف بالناس اذا أراد ذلك .  
وأجاب عن الرقعة ، وانصرفت .

وبعد مدة جاءه مال ضيعته من طبرستان ومعه سمور<sup>(١)</sup> ،  
فأرسل السمور الى الوزير ، وقوم بأربعين ديناراً ، فلم يجد  
الوزير بدا من قبوله . وكان هذا داعياً الى توقفه عن الاهداء  
الى أبى جعفر .

واستدعاه الوزير أبو الحسن عبيد الله بن يحيى  
بن خاقان لتأديب ابنه ، وقرّبه ورفع مجلسه ، وأجرى عليه  
عشرة دنائير في الشهر ، واشترط عليه الطبرى ألا يعوقه ذلك  
عن أوقات طلب العلم ومدارسته ، وأداء الصلاة في مواعيدها ،  
والطعام في وقته ، وخرج اليه الصبي ، فلما جلس بين يديه  
كتب ، فأخذ الخادم اللوح ، ودخل به مستبشراً ، فلم تبق  
جارية الا أهدت اليه صينية فيها دراهم ودنائير ، فردها  
الطبرى ، وقال : لقد شورطت على شيء ، وما هذا لى بحق ،  
وما آخذ غير ما شورطت عليه .

فعرّفت الجوارى الوزير بذلك فدخل اليه وقال : يا أبا  
جعفر ، سررت أمهات الأولاد في ولدنك ، فبررنك ، فغمستن  
بردك الهدية . فقال له : لا أريد غير ما وافقتنى عليه<sup>(٢)</sup>

وأراد الخليفة المكتفى أن يوقف وفقاً تتفق آراء الفقهاء  
على صحته ، ويسلم من الخلاف ، فأجمع علماء عصره على  
أنه لا يقدر على ذلك الا ابن جرير ، فاستدعى ابن جرير ،  
فأملى عليهم كتاباً في ذلك ، فأمر الخليفة له بجائزة سنوية ،

(١) حيوان برى يشبه السنور يتخذ من جلده فراء نيمية

(٢) تاريخ ابن عساكر ٣٥٦/١٨ .

خأبى أن يقبلها . فقليل له : لا بد من جائزة أو قضاء حاجة .  
 فقال : أسأل أمير المؤمنين أن يأمر الشرط بمنع السؤال من  
 دخول المتصورة يوم الجمعة ، فنفذ الخليفة مشورته (١) .  
 ويبلغ به أبائوه أن يرفض ألف دينار قدمت اليه مكافأة  
 على كتاب ألفه ، ولعله أنف من أن يتقاضى أجرا على عمل  
 ديني قام به ، وأثر أن يحتسب عند الله ثوابه ، أو لعله فهم  
 أنها هدية في قالب مكافأة ، وهو قد أخذ نفسه بالألا يقبل  
 هدايا لا يستطيع الرد بأمثالها .

ذلك أن الوزير العباس بن الحسن طلب منه أن يؤلف له  
 مختصرا في الفقه ، فألف له كتاب ( الخفيف ) وأرسله اليه ،  
 فبعث اليه الوزير ألف دينار ، فلم يقبلها . فقليل له : تصدق  
 بها ، فلم يفعل (٢) .

واذ كانت الهدية في رأيه يدا من المهدى ، لا يتقبلها الا  
 اذا اقتدر على المجازاة بمثلها ، فانه كان يرى أن الصنيع يد  
 لصانعه ، وجميل لا بد من عرفاله وتقديره والمكافأة عليه .  
 قال عبد العزيز بن محمد الطبرى : أخبرنى غير واحد  
 من أصحابنا أنه رأى عند الطبرى شيخا مسنا ، قام له  
 الطبرى وأكرمه . ثم قال أبو جعفر : ان هذا الرجل لحق به  
 من أجلى ما استوجب به على كثير من الحقوق ، وذلك أنى  
 دخلت طبرستان ، وقد شاع سب أبى بكر وعمر ، فسألونى

(١) طبقات الشافعية ١٣٧/٢ وطبقات المفسرين ٣١ .

(٢) طبقات الشافعية ١٣٧/٢ .

أن أملى فضائلهما ، ففعلت . وكان سلطان البلدة يكره ذلك ، فلما علم وجهه الى يستدعيني ، فبادر هذا الشيخ وأرسل الى يخبرني أنني مطلوب ، فغادرت البلد ولم يشعر بي أحد ، ووقع الشيخ في أيديهم ، فضربوه بسببي ألفا (١) .

ولم تكن الصلة الروحية التي تصل التلميذ بأستاذه . لتصرف الطبرى عن التزام خطته التي ارتضاها .

فقد كان من تلاميذه أبو الفرج بن أبي العباس الأصفهانى ، وكان يختلف اليه ، ويقرأ عليه كتبه ، فطلب منه الطبرى حصيرا لصفة عنده صغيرة ، فصنع أبو الفرج الحصير ، وجاء به ، وهو يريد أن يقدمه الى أستاذه هدية صغيرة ، فدفع اليه الطبرى أربعة دنانير ، فأبى أن يأخذها ، ورفض الطبرى أن يقبل الحصير الا بهما (٢) .

وله آيات تصور أفته التي وصفها تلاميذه ، وتصور رضاه بقله المال ، بل سعادته بهذه القلة ، وإثاره ذلك على الغنى المشوب بمهانة النفس ، وهوان العزة :

إذا أعسرت لم يعلم شقيقى

وأستغنى فيستغنى صديقى

حيائى حافظ لى ماء وجهى

ورفقى فى مطالبتى رفيقى

---

(١) معجم الأدباء ١٨ / ٨٦ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ / ٨٧ .

ولو أنى سمحت ببذل وجهي  
لكنت الى الغنى سهل الطريق<sup>(١)</sup>  
وهو يذم في الغنى أن يكون مزهوا بغناه ، وفي الفقير أن  
تستذله الحاجة ، وينصح الأغنياء بالألا يبطروا ، وينصح  
الفقراء بالألا يذلوا :

خلقنا لا أرضي طريقهما  
تبه الغنى ومذلة الفقر  
فاذا غنيت فلا تكن بطرا  
واذا افتقرت فتبه على الدهر<sup>(٢)</sup>

### ٣ - جُرْأَتُهُ فِي الْحَقِّ

لا غرابة في أن يكون الطبري شجاع القلب جريئا في  
اعلان ما يعتقد حقا ، لأنه قد استكمل الأسباب التي  
تسلحه بهذه الجرأة من علم واسع ، وورع مشهود ، وإباء  
مترفع ، واستهانة بالدنيا ومظاهرها .  
لهذا كان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ، مع عظيم

(١) تاريخ بغداد ١٦٦/٢ ومعجم الأدباء ٤٣/١٨ ووفيات  
الاعيان ٣٣٢/٣ في الأصول ( فيستغنى صديقي ) ولكنى رجحت  
« فيستغنى » .

(٢) تاريخ بغداد ١٦٦/٢ ومعجم الأدباء ١٨ .

ما يلحق به من أذى الجاهل واعتداء الحساد والحاquدين ،  
وشناعات الملاحدة (١) .

وقد عرض عليه القضاء فأبى أن يقبله ، ولقد يكون  
مبعث رفضه أنه جرى في الحق لا يراعى غير الله ، ومن شأن  
القاضي أن تعرض عليه منازعات يتصل بعضها بأمرأ ذلك  
العصر وحكامه ، وهو لا يستطيع أن يمالئ أميرا ، أو  
يجامل وزيرا ، أو يحابي كبيرا ، فمن الخير له أن يكون  
بعيدا عن هذه المآزق ، وأن يفرغ للعلم والتأليف ، وثقيف  
الطلاب ، ناعما بخيرته وزاحة ضميره .

وربما كان ورعه هو السبب في رفضه ولاية المظالم ،  
مخافة أن يجور في حكم من أحكامه ، كما رفض أبو حنيفة  
منصب القضاء من قبله .

وليس بمستبعد أنه رفض القضاء أنفة من أن يكون  
لحاكم ولاية عليه وسلطان .

ولعله امتنع من قبول القضاء لهذه الأسباب مجتمعة .  
يذكرون أن الخاقاني لما تقلد الوزارة أرسل الى الطبري  
بألا كثيرا ، فأبى أن يقبله ، فعرض عليه القضاء فامتنع ،  
فعاتبه أصحابه ، وقالوا له : لك في هذا ثواب ، وتحب سنة  
قد درست ، وطمعوا في أن يقبل ولاية المظالم ، فانتهرهم  
وقال :

---

(١) طبقات الشافعية ١٣٧/٢ .

قد كنت أظن أنى لو رغبت فى ذلك لنهيتومنى عنه (١) .  
هوكان تلاميذه من طبقات عدة ، لكنه كان جريئاً عادلاً فى  
التسوية بينهم ، لا يميز أحداً لحسبه أو جاه أبيه . قال  
أبو معبد عثمان بن أحمد الدينورى : حضرت مجلس  
الطبرى ، وحضر الفضل بن جعفر بن الفرات بن الوزير ،  
وقد سبقه رجل ، فقال الطبرى للرجل : ألا تقرأ ؟ فأشار  
الى ابن الوزير ، فقال له الطبرى : اذا كانت النوبة لك  
فلا تكثر بدجلة ولا الفرات .

وعلق الدينورى فى روايته على هذا الحادث بقوله :  
وهذه من لطائفه وبلاغته وعدم التفاته لأبناء الدنيا (٢) .  
يريد أن هذه تورية لطيفة ، ومساواة عادلة بين رجل من  
عامة الشعب وآخر ابن وزير ، فى عهد كانت الطبقة فيه  
خيصلاً بين الناس .

## ٤ - تواضع

نعرف من حياة بعض العلماء الكبار والأدباء القادة أنهم  
كانوا يزهون بمعارفهم ، ويدلون بمكائهم ، ويعتدون ذلك  
من مقومات شخصيتهم ، ومن مكملات المظهر ورفع الشان .  
ونعرف فى كثير من العلماء والأدباء سماحة النفس ،

(١) طبقات الشافعية ١٣٧/٢ .

(٢) لسان الميزان ١٠٣/٥ .

ودمائه الخلق ، ورقة المعاملة ، والتواضع الذى لا يمس  
العظمة ، بل يعليها ويغليها .

وقد كان الطبرى من هؤلاء .

كان ورعا زاهدا فى الدنيا ، راغبا عما بأيدي الناس .

وكان عظيم الأثمة والاباء .

وكان واسع العلم غزير الثقافة .

وكان طائر الصيت ، كثير الأتباع .

فاستغنى بهذا كله عن الزهو والخيلاء .

لم يكن يرفض الدعوة التى يدعى اليها ، أو الوليمة التى  
يسأل فيها ، فاذا مضى الى منزل كان يوما مشهودا عظيما .  
بحضوره .

ولم يكن يرفض الخروج الى الصحراء مع بعض تلاميذه .  
فيأكل معهم .

وكان لا يباهى بعلمه ، ولا يفاخر بظفره فى مناقشة أو  
مناظرة ، بل كان يتناسى ماحدث ، ويؤثر ألا يذكره .

تناظر هو واسماعيل بن ابراهيم المزنى فى مصر، وتناولت  
مناظرتهما أشياء منها الكلام فى الاجماع ، ثم سأله ابن كامل  
عن المسألة التى تناظرا فيها ، فلم يذكرها لأنه — كما قال ابن  
كامل — كان أفضل من أن يرفع نفسه ، وأن يذكر انتصاره  
على خصم . على أنه بعد المناظرة كان يفضل المزنى ،  
ويطريه ، ويشيد بتدينه ..

ومر بالدينور فى طريقه الى طبرستان ، فدعاه بعض أهل



العلم ودارت مناظرات ، زعم بعدها عبد الله بن حمدان أنه أغرب على الطبرى خمسة وثمانين حديثا ، وأغرب عليه الطبرى ثمانية عشر . لكن أبا بكر الديورى — وكان من العلماء والحفاظ للحديث — كذب ابن حمدان فى روايته ، فقال : لقد قدم إلينا الطبرى ، فدعاه الكسائى ودعا معه أهل العلم ، وكنت حاضرا ومعنا ابن حمدان ، فأغرب الطبرى على ابن حمدان ثلاثة وثمانين حديثا ، وأغرب عليه ابن حمدان ثمانية عشر حديثا .

وكان ابن حمدان فيما أغرب به على الطبرى أقبح مما أغرب به الطبرى عليه ، لأن ابن حمدان كان اذا أغرب بحديث قال له الطبرى : هذا خطأ من جهة كذا ، ومثلى لا يذكر به ، فيخجل ابن حمدان وينقطع (١)

وكان قد لزم داود بن على الأصبهانى ، وكتب من كتبه كثيرا ، ثم جرت مسألة يوما بين داود وأبى جعفر ، وتفوق أبو جعفر على داود ، فآلم ذلك أصحاب داود ، وكلم أحدهم أبا جعفر بكلمة مضه ، فنهض من المجلس ، وألف كتابا فى الرد على داود ، سماه كتاب الرد على ذى الأسفار . يريد أن داود يعتمد على الكتب ولا يفكر .

أخرج من هذا الكتاب شيئا بعد شيء ، الى أن أخرج منه قطعة فى نحو مائة ورقة .

ثم كف بعد أن مات داود ، فلم يمل شيئاً من هذا الكتاب .

وقد تحدث أبو بكر بن داود بن علي قال : كان في نفسي مما تكلم به ابن جرير علي أبي ، فدخلت يوماً علي أبي بكر ابن أبي حامد ، وعنده أبو جعفر ، فقال له أبو بكر : هذا أبو بكر محمد بن داود ابن علي الأصبهاني ، فلما رأي أبي جعفر وعرف مكانه رجب بي ، وأخذ يثنى علي أبي ويمدحه ، ويصفني بما قطعني من كلامه (١) . وكان يعطف علي تلاميذه ، ويتواضع في معاملتهم ، جبالهم ، وثقة من جبههم له .

ذكر ابن كامل (٢) أن بعض تلاميذ الطبري آلمه في مجلس الأستاذ ، فاقطع ابن كامل عن المجلس مدة ، ثم قابله الطبري ، فجعل يعتذر له ويترضاه ، ويترفق به ، كأنه هو الذي آذاه . فرضي ابن كامل ، وعاد الى مجلس الطبري .

## ٥ - مضاعفة عزيمته

أولع الطبري بالعلم منذ حداثة الي أن أغمض عينيه آخر غمض .

---

(١) معجم الأدباء ١٨ / ٨٠ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ / ٥٤ .

وهبه أبوه للعلم ، ووهب نفسه للعلم ، فأعطى العلم  
أعظم نصيب من وقته ومن جهده .  
كانت عزمته الماضية تتأبى على الفتور والكلال ،  
فتسلحه بالصبر الحافز ، والجهد الدائب ، والنشاط  
الموصول .

بهذه العزيمة طوف في كثير من الأقطار والبلاد ، فسمع  
من كبار العلماء بطبرستان والعراق والشام ومصر .  
وبهذه العزيمة قرأ كثيرا ، وحفظ كثيرا ، وألف كثيرا .  
وكان يستهين بالجهد المضني ، ويستسهل الصعب المجهد ،  
ويظن أن تلاميذه يقدرون على ما يقدر عليه ، ويستطيعون  
أن يروضوا نفوسهم على مثل ما يروض عليه نفسه ، فلما  
تبين أنهم يستطيعون الشوط ، ويستبعدون الغاية ، صارحهم  
بأسفه وبألمه من ضعف عزائمهم .

روى بعض تلاميذه أنه قال لهم : أتنشطون لتفسير  
القرآن ؟

قالوا : كم يكون قدره ؟ قال : ثلاثون ألف ورقة .  
فقالوا : هذا مما تقنى الأعمار قبل تمامه ، فاختصره في نحو  
ثلاثة آلاف ورقة .

ثم قال لهم : أتنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا  
هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحو ما ذكره في التفسير ،  
فأجابوه بمثل اجابتهم السابقة . فقال : انا لله ، مابت الهمم .  
واختصر كتابه في نحو مما اختصر التفسير .

وبهذه العزيمة كان يقرأ وهو شديد المرض ، فقد ذكر تلميذه ابن كامل ، أنه زاره قبل المغرب وهو شديد العلة ، فرأى تحت مصلاه كتاب فردوس الحكمة لعلی بن زین الطبری ، وكان أبو جعفر قد كتبه سماعا من مؤلفه (١) .

وكانت عزمته القوية تنشطه الى القراءة وهو في الخامسة والثمانين من عمره ، ولم يكن يقنع بالقراءة في ذلك الوقت ، بل كان يتدبر ما يقرأ ، ويتمعن فيه ، ويخط بقلمه في كثير من المواضع ، فقد قال أبو القاسم الحسين بن حبیش الوراق : التمس منی أبو جعفر أن أجمع له كتب العلماء في القياس ، فجمعت له نیفا وثلاثین كتابا ، ومكثت عنده مديدة ، ثم قطع اللقاء قبل موته بشهور ، فرد الكتب الى ، وفيها علامات حمر بقلمه (٢) .

فلا غرابة في نفرته مما لا يلائم عزمته الجادة ، لأنه يتوهم أنه يحول بينه وبين ما فرغ له من الجهد في الدرس وتحصيل العلم ، قال : لما هبطت مصر سنة ٢٥٦ - يقصد المرة الثانية - نزلت على الربيع بن سليمان ، فأمر باستنجار دار قريبة منه ، وجاءني أصحابه فقالوا : تحتاج الى قصرية وزير وحمارين وسدة .

فقلت : أما القصرية فأنا لا ولد لي ، وما حللت سرا ويلي على حرام ولا حلال قط .

(١) معجم الأدباء ٤٨/١٨ .

(٢) معجم الأدباء ٨١/١٨ .

وأما الزير فمن الملاهي ، وليس هذا من شأنى .  
وأما الحمامان فإن أبى وهب لى بضاعة ، وأنا أستعين بها  
فى طلب العلم ، فإن صرفتها فى ثمن الحمامين ، فبأى شىء  
أطلب العلم .

فتبسموا . فقلت : الى كم يحتاج هذا ؟  
فقالوا : يحتاج الى درهمين وثلثين .  
فأخذوا ذلك منى

ثم علمت أنها أشياء متفقة  
وجاءونى باجانة ، وحُبّ للماء ، وأربع خشبات قد شدوا  
وسطهما بشریط (١) وقالوا . الزير للماء ، والقصرية للخبز ،  
والحمامان والسدة تنام عليها من البراغيث فنفعنى ذلك .  
ولما كثرت البراغيث كنت اذا دخلت الدار نزعْتُ ثيابى ،  
وعلقْتُها على حبل قد شدته ، وأنزرت ، وصعدت الى السدة  
خوفا منها .

ويظهر من المفارقة بين ما أراد وأرادوا أن مدلول هذه  
الكلمات فى مصر كان يغير مدلولها فى العراق وطبرستان .  
وكانت ثمرات هذه العزيمَة أنه خلف ثروة عظيمة من  
المؤلفات ، دهش لها تلاميذه ، فحسبها بعضهم بأنه دأب على  
الكتابة أربعين سنة ، يكتب فى كل يوم أربعين ورقة .

---

(١) الاجابة : اناء تغسل فيه الثياب . الحب : الزير .  
الخشبات والشريط والحماران والسدة : السرير .

وحسبها الآخرون بأنها لو قسمت على أيام حياته منذ بلغ الحلم الى أن توفي لخص كل يوم منها أربع عشرة ورقة .

## ٦ - تنفأوله

قد سبق أن أباه رأى حلما لابنه وهو صغير ، فتفاءل بتعبيره أن ابنه سيذب عن الاسلام ، ورجحت أن الوالد أطلع ابنه على الرؤيا وتعبيرها ، وأنها كانت من البواعث الى حرص الوالد على تعليم ابنه ، وجد الولد في الدرس والتحصيل والتأليف .

والتنفأول سمة من سمات النفس السمحة ، والطبع المنبسط ، والحياة الرخية التي لا تعقيد فيها ولا التواء . فلا غرابة في أن كان الطبرى يتفاءل .

قال أبو بكر بن كامل : زرت الطبرى وهو شديد العلة ، ومعى ابنى . فقال لى : هذا ابنك ؟ قلت : نعم . قال : ما اسمه ؟ قلت : عبد الغنى . قال : أغناه الله . وبأى شيء كنيته ؟ قلت : بأبى رفاعه . قال : رفعه الله . هل لك غيره ؟ قلت : نعم ، أصغر منه . قال : وما اسمه ؟ قلت : عبد الوهاب أبو يعلى . قال : أعلاه الله ، لقد اخترت الكنى والأسماء .

وقد كان تنفأوله وزهده وقناعته بما يرسل اليه من نصيبه في المزرعة التي خلفها أبوه ، وشغفه بالعلم ، وانقطاعه له ، كان هذا هو السبب في أنه لم يسخط من الدنيا حظه ، ولم

ينقم على أهل زمانه ، ولم يتبرم بالبحث الذي أوجب له نفسه ، ومن هنا امتاز على كثير من العلماء والأدباء ، مثل عبد القاهر الجرجاني ، وأبي حيان التوحيدي .

أما الجرجاني فقد بلغ به سخطه وتهكمه بالجهلة الذين يجدون المال وينالون الجاه في بعض الأحيان ، الى أنه نصح بترك العلم ، لأن السعادة مقرونة بالجهل ، فقال في ذلك :  
كبر على العلم يا صديقي

ومل الى الجهل ميل هائم

وعش حماراً تعش سعيداً

فالسعد في طالع البهائم (١)

ثم ذم عصره كله ، ووصمه بالخسة والجهل في قوله :  
هذا زمان ليس فيه

سوى النذالة والجهالة

لم يرق فيه صاعد

الا وسلته النذالة

وأما أبو حيان التوحيدي فانه قد ضاق بالعلم والأدب ، فأحرق كتبه ، وكتب رسالة يدافع فيها عن فعلته ويبررها ، لستنبط منها أنه كان يريد العلم وسيلة للثراء والجاه .

من هذه الرسالة قوله : « فليهن عليك ذلك ، فما انبرت له ، ولا اجترات عليه ، حتى استخرت الله عز وجل فيه أياماً

(١) طبقات الشافعية ٢٤٢/٣ وفوات الوفيات ٢٩٨/١

وإبغية الوعاة ٣١١ .

وليالى ... وأنا أجود عليك بالحجة الآن فى ذلك ان طالبت ،  
أو بالعدر ان استوضحت ، لتثق بى فيما كان منى .  
... ان العلم يراد للعمل ، كما أن العمل يراد للنجاة ،  
فاذا كان العمل قاصرا عن العلم كان العلم كلاء على العالم .  
وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلاء ، وأورث ذلا ، وصار فى رقبة  
صاحبه غلا .

الى أن يقول :

وكيف أترك كتبى لأناس جاورتهم عشرين سنة  
فما صح لى من أحدهم وداد ، ولا ظهر لى من انسان منهم  
حفاظ ؟

ولقد اضطرت بينهم بعد الشهرة والمعرفة فى أوقات  
كثيرة الى أكل الخضر فى الصحراء ، والى التكفف الفاضح  
عند الخاصة والعامة ، والى بيع الدين والمروءة ، والى تعاطى  
الرياء بالسمعة والنفاق ، والى مالا يحسن بالحر أن يرسمه  
القلم ، ويطرح فى قلب صاحبه الألم .

فلم تعنى عيى — أيدك الله — بعد هذا بالحبر والورق  
والجلد والقراءة ، والمقابلة والتصحيح ، وبالسواد  
والبياض (١) ؟

وفى تاريخ العلماء والأدباء كثير من الذين برموا بحياتهم،  
وسخطوا حظهم من الحياة .



لكن الطبرى لم يتبرم ولم يتسخط ، بل كان يجد سعادته  
فى البحث والدرس والتتقيب .

## ٧ - طهره

لم يكن ليصرفه الجد الدائب فى تحصيل العلم والتدريس  
والتأليف عن الدعاية ، ووجاهة السمى ، والعناية بالنظافة ،  
وأناقة المظهر ، والتنعيم بما أحله الله .  
كان نظيفا فى ظاهره ، نظيفا فى باطنه ، حسن العشرة  
لجالسىه ، مهذبا فى جميع أحواله .

تحدث أبو على محمد بن ادرىس الجمال — وكان من  
وجهاء بغداد — قال : حضرنا يوما مع أبى جعفر الطبرى  
وليمة ، فجلست معه على مائدة ، فكان أجمل الجماعة أكلا ،  
وأظرفهم عشرة . وحضر جماعة من الغلمان على رؤوسنا  
لسقى الماء والخدمة ، فرأيت بعض الغلمان قد مكد عينه الى  
بعض ما قدم الينا ، فأخذت لقمة فناولتها الغلام ، فنهانى  
أبو جعفر وقال : من أذن لك أن تأكل أو تطعم ؟ فأخجلنى (١) .  
وقال ابن كامل : ما رأيت أظرف أكلا من أبى جعفر .  
كان يدخل يده فى الغضارة — القصعة الكبيرة — فىأخذ  
منها لقمة ، فاذا عاد بأخرى كسح باللقمة ما التطخ من

---

(١) معجم الأدباء ١٨ / ٨٩ .

الغضارة باللحمة الأولى ، فكان لا يلتطخ من الغضارة الا جانب واحد . وكان اذا تناول اللقمة ليأكل سمى ، ووضع يده اليسرى على لحيته ، ليوقئها من الزهومة — رائحة اللحم السمين — فاذا حصلت اللقمة فى فمه أزال يده . وكان اذا جلس لا يكاد يسمع له تنخم ولا تبصق ، ولا ترى له تخامة ، واذا أراد أن يمسح ريقه أخذ ذؤابة منديله ومسح جانبيه فمه .

وقد حاول تلميذه ابن كامل أن يتشبه بأستاذه فى فعله ، فتعذر عليه أن يعتاده (١) .

وكان لا يعندم فى الصيف الحيس والريحان واللينوفر (٢) ، فاذا أكل نام فى الخيش — ثياب تشبه الكتان — فى قميص قصير الأكمام ، مصبوغ بالصندل وماء الورد ، ثم يقوم فيصلى الظهر فى بيته ، ويكتب الى العصر ، ثم يخرج فيصلى العصر ، ويجلس للناس يقرئهم ويقرأون عليه الى المغرب ، ثم يجلس للفقهاء والدرس الى العشاء ، ثم يدخل منزله بعد أن قسم ليله ونهاره فى مصلحة نفسه ودينه ونفع الخلق به كما وفقه الله عز وجل .

---

(١) معجم الأدباء ١٨/٩٠ .

(٢) الحيس : تمر يخلط بسمن واقط فيعجن شديدا ويرمى

نواه وربما جعل فيه سويق .

اللينوفر : نوع من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة له

اصل كالجزر وساق أملس .

ومن ظرفه أنه كان يكره التكلف والتععر وينفر منهما  
بالدعابة اللطيفة .

ذكر أبو الفرج بن أبي العباس الثلاث — وكان يتعسف  
في كلامه — في مجلس الطبرى أنه أكل طباهقة .

فقال الطبرى : وما الطباهقه ؟ قال : هى الطباهجة (١) ،  
ألا ترى العرب تقلب الجيم قافا ؟

فقال أبو جعفر : فأنت إذا أبو الفرق بن الثلاث .  
فصار يعرف بذلك ، ويمزح معه اخوانه به .

وكان أبو بكر بن الجواليقى يأخذ لسانه بالأعراب ،  
ويكثر فيه الى حد بغيض ، فأخذ فى ذلك يوما ، فقال له  
أبو جعفر : أنت بغيض . فسمى بغيض الطبرى .

ويذكر ابن كامل من تكلف الجواليقى هذا أنه رآه يوما  
باب الطاق ، وكان مجتمعا لبعض الوراقين ، فوقف عليهم  
فسلم ، ثم اعتذر من وقوفه ينتظر الوراق بقوله : « لولا  
من ماكنت بالذى » يريد لولا من هاهنا ماكنت لأقف على  
حائوتك .

---

(١) الطباهجة : طعام من بيض وبصل ولحم مشرح معرب  
طباهة بالفارسية .

## صفاته العقلية

— ١ —

فاذا مارجعنا الى حياته لنستنبط صفاته العقلية ،  
وتتعرف ثقافته طالعنا بشائر ذكائه وهو لما يزل في سن  
الحدائة ، فهو — كما حدث عن نفسه — قد حفظ القرآن  
الكريم في السابعة ، وصلى بالناس في الثامنة ، وكتب  
الحديث في التاسعة .

وهذه الأسنان الثلاثة دون المستوى العالى الذى بلغه  
في كل منها ، لأنه من النادر أن يستطيع صبي في السابعة من  
عمره أن يحفظ القرآن كله ، ومن النادر أن يقدر صبي في  
التاسعة على أن يكتب الحديث على الطريقة التى كان يجرى  
عليها القدماء من الرواية والسند .

واذا كان المصلون يرتضون أن يؤمهم غلام في الثامنة  
فان هذا يدل على ثقتهم فيه ، وتقديرهم له ، واعجابهم به .

— ٢ —

أما الثقافة فقد كان بها شديد الكلف ، دائم الظمأ .  
وحقا ان منهوم العلم لا يشبع ، كما أن منهوم المال

لا يقنع . وأنى لمنهزم العلم أن يشبع ، وهو يجد في كل لون  
من ألوان المعرفة كشفا عن جديد كان يجهله ، ولذة مستحدثة  
لا تغنى عنها لذة سابقة ؟

وقد عرفنا من حياة الطبرى أنه وهب العلم نفسه ، وقصر  
عليه حياته ، وناط به حاضره ومستقبله .

رحل في طلب العلم الى كثير من الأقطار ، وجاب الآفاق  
ليسمع الأساتذة الذين دوى صيتهم ، وقرأ ما استطاع أن  
يقراه مشغوف بالمعرفة ، كلف بالاطلاع .

وكان الحديث النبوى انواحده يحمل على طلبه في مظنه ،  
قال : جئت الى أبى حاتم السجستاني ، وكان عنده حديث  
في القياس عن الأصمعى ، عن أبى زائدة ، عن الشَّعْبَى ،  
فسألته عنه ، فحدثنى به (١) .

وكان لا يرضيه أن يجهل علما يستطيع  
الاحاطة به ، ولا يرضيه أن يسأله أحد عن علم  
موصول بثقافته وهو لا يعرفه . حدث عن معرفته بعلم  
العروض فقال : جاءنى يوما رجل ، فسألنى عن شيء من  
العروض ، ولم أكن نشطت له قبل ذلك ، فقلت له : اذا كان  
غد فتعال الى .

وطلبت من صديق لى العروض للخليل بن أحمد ،  
فجاء به ، فنظرت فيه ليلتى ، فأمسيت غير عروضى ،  
وأصبحت عروضا .

(١) معجم الأدباء ٤٨/١٨ .

وكانت شهرته مدعاة لأن يسأله الناس ، وباعثا له على  
الاطلاع والاستزادة ، فهو يتحدث بأنه لما دخل مصر لم يبق  
أحد من أهل العلم الا لقيه وامتحنه في العلم الذى  
يتحقق به (١) .

ونستطيع أن نجمع ألوان ثقافته فى عدة مجموعات :  
١ — العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه  
وأصول وكلام .

وهذه هى ثقافته الأولى والأصيلة ، ومؤلفاته كلها تدور  
فى فلكها ، ماعدا كتابه فى التاريخ ، ورسائله فى فضائل على  
وأبى بكر وعمر والعباس .

فقد كان مجتهدا فى الفقه صاحب مذهب .  
كان شافعيًا أولاً ، ثم انفرد بمذهب مستقل وآراء  
واختيارات جودها واحتج لها ، فلم يقلد أحدا (٢) .  
وقد مكنته علمه الواسع بالمذاهب المختلفة أن يؤلف كتابا  
فى اختلاف الفقهاء ، فيعرض آراءهم ، وأدلتهم ، ويناقشها .  
لهذا طلب الخليفة المكتفى ( ٢٨٩ — ٢٩٥ ) من يحقق له  
وقفا تجتمع أقوال العلماء على صحته ، ويسلم من الخلاف ،  
فدلوه على الطبرى ، فأملى عليهم كتابا فى ذلك (٣) .

---

(١) معجم الأدباء ٥٦/١٨ .

(٢) الأنساب ٣٦٧ والفهرست ٢٣٤ وطبقات المفسرين ٣٠  
وطبقات الشافعية ١٣٧/٢ ووفيات الأعيان ٣/٣٣٢ .

(٣) طبقات الشافعية ١٣٧/٢ .

ونجد تلاميذه وغيرهم يشيدون بسعة علمه بالفقه وعمق تفكيره ، قال أبو بكر أحمد بن كامل أحد تلاميذه : لم أر بعد أبي جعفر أجمع للعلم ، وكتب العلماء ، ومعرفة اختلاف الفقهاء ، والتمكن من العلوم ، من أبي جعفر ، لأنني أروض نفسي في عمل مسند عبد الله بن مسعود نظير ما عمله أبو جعفر ، فما أحسن عمله ، وما يستقيم لى (١) .

وقال أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري أحد تلاميذه : كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه ، لأنه جمع من علوم الاسلام ما لا نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة ، ولا ظهر من كتب المصنفين ، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له .

وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات واختلاف الفقهاء مع الرواية كذلك ، على ما في كتابه البسيط والتهذيب وأحكام القراءات من غير تعويل على المناولات والاجازات ، ولا على ما قيل في الأقوال ، بل يذكر ذلك بالأسانيد المشهورة . ووصفه الخطيب البغدادي بأنه كان اماماً يحكم بقوله : ويرجع الى رأيه ، وكان عالماً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام (٢) . وكذلك قال ابن خلكان (٣) .

---

(١) معجم الأدباء ٧٥/١٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١٦٣/٢ ومعجم الأدباء ٤١/١٨ .

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٣٢ .

وكان أبو العباس بن سُبَيْح يقول : محمد بن جرير  
الطبري فقيه العالم (١) .

أما القراءات فقد أحاط بها ، وتخبر لنفسه قراءة منها ،  
معتمدا على الأسانيد ، وعلى بصره باللغة والنحو والذوق  
الأسلوبى العام ، كما يتبين من كتابه فى التفسير .  
قال أبو على الحسن بن على الأهوازى المقرئ فى كتاب  
الاقناع فى احدى عشرة قراءة .

ألف الطبرى فى القراءات كتابا جليلا كبيرا رأيته فى  
ثمانى عشرة مجلدة بخطوط كبار ، ذكر فيه جميع القراءات  
من المشهور والشواذ ، وعلل ذلك وشرحه ، واختار منها  
قراءة لم يخرج بها عن المشهور (٢) .

ويمثل هذا وصفه عبد العزيز الطبرى والخطيب  
البغدادى والتفطى وغيرهم .

وكذلك كان علمه بالسنة ، فقد درس الحديث منذ  
صغره ، وعكف على دراسته بعد ذلك ، فكان كما قال  
الخطيب البغدادى عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها  
وناسخها ومنسوخها (٣) ووصفه ابن خلكان بأنه كان اماما  
فى الحديث (٤) .

---

(١) طبقات الشافعية ١٣٧/٢ .

(٢) معجم الأدباء ٤٥/١٨ .

(٣) تاريخ بغداد ١٦٣/٢ ومعجم الأدباء ٤١/١٨ .

(٤) وفيات الأعيان ٣٣٢/٣ .



أما التفسير فحسبه شهادة على علمه الواسع به كتابه العظيم فيه ، وسأعرض له بالتفصيل والتحليل .  
لهذا قال الخطيب البغدادي ان كتابه في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله .

وقال ابن خلكان انه كان اماما في تفسير القرآن .  
وشهد أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة بعد أن قرأ تفسيره من أوله الى آخره بأنه لا يعلم على أديم الأرض أعلم منه (١) .

ثم جاء السيوطي فوضعه في مقدمة المفسرين على الاطلاق ، ووصف تفسيره بأنه أجمل التفسير ، وقال انه جمع فيه بين الرواية والدراية ، ولم يشاركه في ذلك أحد قبله ولا بعده (٢) .

ولست أشك في أن بعض هذه الأحكام العامة مردها الى الاعجاب العظيم ، لكنني ذكرتها لأقرب صورة الطبرى منقولة مما خطه معاصروه ولاحقوه ، ولست مع بعضهم في تفضيله على من تقدمه ومن تأخر عنه .

٢ — العلوم الأدبية من لغة ونحو وصرف وعروض وبلاغة .

وله فيها مناقشات في تفسيره تدل على تمكن

---

(١) تاريخ بغداد ١٦٤/٢ والأنساب ٣٦٧ ومعجم الأدباء ٤٣/١٨ وطبقات الشافعية ١٣٧/٢ وطبقات المفسرين ٣١ .  
(٢) طبقات المفسرين ٣٠ .

وتذوق واحاطة . وكان يحفظ من الشعر الجاهلى والاسلامى كثيرا ، وطالما استشهد بالشعر فى تفسيره للقرآن الكريم ، وكثيرا ما ذكر فى كتاب التاريخ أبيانا ومقتطعات وقصائد ورسائل وخطبا ومحاورات ، كما سيتبين فى دراسة كتابه فى التاريخ .

حدث ثعلب قال : قرأ على أبو جعفر الطبرى شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندى بمدة طويلة .  
وقد اقترح عليه أبو الحسن على بن سراج المصرى أن يملأ فى القسطاط شعر الطرماح ، ويفسر غريبه فأمله (١)  
وقد شهد تلميذه عبد العزيز الطبرى بأن فضله كان عظيما فى علم اللغة والنحو كما يتبين من كتابه فى التفسير ، وكتابه التهذيب .

وقال أبو بكر بن مجاهد : سألت/ أبو العباس يوما : من بقى عندكم من النحاة فى الجانب الشرقى ببغداد ؟ فقلت : مابقى أحد ، مات الشيوخ . فقال : حتى خلا جانبكم . قلت : نعم الا أن يكون الطبرى الفقيه . فقال لى : ابن جرير ؟ قلت : نعم . قال : ذاك من حذاق مذهب الكوفيين .  
قال أبو بكر : وهذا كثير من أبى العباس ، لأنه كان شديد النفس ، شرس الأخلاق ، وكان قليل الشهادة لأحد بالحدق فى علمه (٢) .

(١) الفهرست ٢٣٤ ومعجم الأدباء ١٨/٥٣ .

(٢) معجم الأدباء ١٨/٦٠ .

### ٣ — التاريخ

وحسبه الكتاب العظيم الذى ألفه فيه ، وسأعرض له  
بالتحليل والتقد بعد قليل . ولم يغب عن أحد من القدماء  
فضله فيه ، فقال أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن  
المغلّس — وكان من أفاضل عصره فى الفهم والعناية  
بالعلم — ما عمل أحد فى تاريخ الزمان ، وحصر الكلام فيه  
مثل ما عمله الطبرى ، وانى لأظن أبا جعفر قد لسى مما حفظ  
الى أن مات قدر ما حفظه فلان طول عمره . وذكر رجلا كبيرا  
من أهل العلم . ثم قال ان كتابه فى التاريخ من الأفراد فى  
الدنيا فضلا ونباهة ، وهو يجمع كثيرا من علوم الدين  
والدنيا ، وهو فى نحو خمسة آلاف ورقة (١) .

وكذلك أثنى الخطيب البغدادي وابن خلكان وياقوت  
وغيرهم على كتاب التاريخ .

٤ — على أنه ألم بعدة علوم ، وتعمق فى بعضها ، ولم  
يتعمق فى بعضها الآخر ، ولكنه فى الحالين لم يشتهر بالتفوق  
فيها كما اشتهر فى العلوم السابقة .

ولم يكن ليستطيع النبوغ فى العلوم كلها ، لأن هذا  
فوق طاقته ، وحسبه أنه كان اماما فى بعض ألوان المعرفة  
الشائعة فى عصره ، وأنه كان على صلة بمعارف عصره .  
فقد تحدث تلاميذه ومؤرخوه بأنه كان عالما بالفلسفة ،  
والمنطق والجدل والحساب والجبر والطب .

(١) المرجع السابق ٧٠/١٨ .

أما الجدل فإن مقدرته فيه تستبين من مناقضاته لمعارضيه ، وردوده على مخالفيه ، ونقض الآراء التي لا يقرها ، كما نجد في كتابه التفسير ، وفي كتابه اختلاف المتفهاء .  
وأما الفلسفة فقد ذكر تلميذه ابن كامل أنه رأى عنده كتاب فردوس الحكمة لعلی بن زین الطبری في ستة أجزاء ، وقال انه كان يقرأ فيه وهو مريض ، وانه كان قد كتبه سماعا من مؤلفه نفسه .

ونجد في وصف تلميذه عبد العزيز الطبري له أنه كان بارعا في الحساب ، ثم نجده قد عرف من الطب قسطا وافرا يدل عليه كلامه في الوصايا (١) . وقد تقدم في صفاته الجسمية أنه كان يطبب نفسه ، وأن الطبيب عاده مرة ، فسأله عن حالته ، فوصف له ما يشكو منه ، وعرفه ماتعطاه ، وما ينوي أن يتعاطاه ، فدهش الطبيب وقال له : لست أعرف دواء فوق ما وصفته لنفسك .

على أنه يظهر من وصف أحد تلاميذه له أنه كان يجيد كثيرا من العلوم ، حتى ليخيل اليهم من براعته في كل علم أنه لا يجيد غيره ، فكان كالقاريء الذي لا يعرف الا القرآن ، وكالمتحدث الذي لا يعرف الا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يحسن غير الفقه ، وكالحنوي الذي لا يتقن سوى النحو ، وكالحاسب الذي لا علم له الا بالحساب (٢) .

(١) معجم الأدباء ١٨ / ٦١ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ / ٦١ .

## أثر هذه الشخصية

بهذه الشخصية العظيمة القوية ، وبهذه الأخلاق العالية النبيلة ، وبهذا التفوق الفكرى ، والثقافة الزاخرة التى أفاض منها الطبرى على تلاميذه ومعاصريه ومن بعدهم ، بهذا كله تبوأ الطبرى مكانة عالية فى حياته وبعد مماته ، وحق لطلابه وللمعجبين به من بعدهم أن يؤرخوا له فى كتب مستقلة ، كما فعل من تلاميذه أبو بكر أحمد بن كامل وعبد العزيز بن محمد الطبرى ، وأبو اسحاق بن ابراهيم ابن حبيب الطبرى ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى بن علم الدين ، وكما فعل من بعدهم القفطى اذ ألف كتابا سماه ( التحرير فى أخبار محمد بن جرير ) ووصفه بأنه كتاب ممتع (١) .

على أن غير هؤلاء من المؤرخين لطبقات العلماء مجمعون على الاشادة به فى الفقه والحديث والتفسير والقراءات والتاريخ ، ومجمعون على التنويه بورعه وتدينه ونبالة أخلاقه .

لهذا بكاه الناس يوم مات بكاء العارفين بفضله ، وشيع جنازته ألوف لا يحصيهـم الا الله ، وتردد الناس على قبره بالنهار وبالليل عدة شهور .

---

(١) انباء الرواة ٣/ ٨٩ ، ٩٠ .

ورثاه كثير من معاصريه ، منهم أبو سعيد بن الأعرابي  
بقوله :

حدث مفضل وخطب جليل  
دق عن مثله اصطبار الصبور  
قام ناعى العلوم أجمع لما  
قام ناعى محمد بن جرير  
فهوت أنجم لها زاهرات  
مؤذات رسومها بالدثور  
وغدا روضها الأنيق هشيما  
ثم عادت سهولها كالوعور  
يا أبا جعفر مضيت حميدا  
غير وأن في الجدة والتشهير  
بين أجر على اجتهدك موفو  
ر وسعى الى التقى مشكور  
مستحقا به الخلود لدى جن  
ة عدن في غبطة وسرور (١)

ورثاه ابن دريد بقصيدة منها :  
لن تستطيع لأمر الله تعقيبا  
فاستجد الصبر أو فاستشعر الحوب (٢)

(١) تاريخ بغداد ١٦٧/٢ وطبقات المفسرين ٣١ . الدثور  
الفناء .

(٢) الحوب : الهلاك .

وافزع الى كنف التسليم وارض بما  
قضى المهين مكروها ومحبويا  
ثم يقول :

أودى أبو جعفر والعلم فاصطحبا  
أعظم بذأ صاحباً اذ ذاك مصحوباً  
ان المنية لم تتلف به رجلاً  
بل أتلقت علماً للدين منصوباً  
أهدى الردى للثرى اذ نال مهجته  
نجماً على من يعادى الحق مصبوباً  
كان الزمان به تصفو مشاربته  
فالآن أصبح بالتكدير مقطوباً  
كلاً وأيامه الغر التي جعلت  
للعلم نورا وللتقوى محاريباً  
لا ينسرى الدهر عن شبه له أبداً  
ما استوقف الحجج بالأنصاب أركوباً<sup>(١)</sup>  
اذا انتضى الرأى فى ايضاح مشكلة  
أعاد منهجها المظموس ملحوباً<sup>(٢)</sup>  
لا يعزب الحلم فى عتب وفى نزق  
ولا يجرع ذأ الدلال تثريباً<sup>(٣)</sup>

(١) أركوب : راكبون .

(٢) ملحوب : واضح واسع ممهد .

(٣) تثريب : لوم .

لا يولج اللغو والعوراء مسمعه  
 ولا يقارف ما ينشيه تأنيبا  
 ان قال قاد زمام الصدق منطقته  
 أو آثر الصمت أولى النفس تهيبا  
 تجلو مواظفه رين القلوب كما  
 يجلو ضياء سنا الصبح الغياھيا<sup>(١)</sup>  
 سيان ظاهره البادی وباطنه  
 فلا تراه على العلات مجدوبا<sup>(٢)</sup>  
 ودت بقعاع بلاد الله لو جعلت  
 قبراً له فحباها جسمه طيبا  
 ثم يقول :

كنت المقوّم من زينغ ومن ظلع  
 وفئاك لصحا وتسديدا وتأديبا<sup>(٣)</sup>  
 وكنت جامع أخلاق مطهرة  
 مهذباً من قراف الجهل تهذيباً<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) رين : غشاوة وكدر • الغياھيب : الظلمات •  
 (٢) مجدوب : معيب مذموم •  
 (٣) زينغ : ضلال • ظلع : المراد مرض وعيب •  
 (٤) تاريخ بغداد ١٦٧/٢ وطبقات الشافعية ١٣٨/٢ •



## الفصل الخامس

### تلاميذه

من شأن المنهل العذب أن يكثر رواده ، ويتتابع قصاده ،  
ثم لا يزداد على الأيام الا كثرة رواد وقصاد .

وقد كان الطبرى منهلا عذبا ثرا للثقافة الشائعة في  
عصره ، وان شئت فقل انه كان ينابيع للثقافة الدينية  
والأدبية والتاريخية ، فليس غريبا أن يتحلق الطلاب حوله في  
مصر والعراق ، ينهل كل منهم ماشاء من علم الأستاذ الكبير ،  
ويقتبس من أخلاقه العالية .

وكان هؤلاء الطلاب يجلسون أستاذهم ويجبونه ، لعلمه ،  
وسمو أخلاقه ، وحرصه على تزويدهم بالمعرفة ، وثقتهم بأنه  
يعطف عليهم عطف الأب الشفيق .

وقد كان الأستاذ يحبهم حقا ، لأنهم ورثة علمه ، وحملة  
مذهبه ، وثقله آرائه ، ولعله أضفى عليهم أبوته اذ لم يكن  
له ولد .

وهم يصفوه بأنه كان لا يرضى أن يخص أحدا منهم  
بشيء من علمه ، فاذا قرأ عليه جماعة كتابا ، وتغلف أحدهم  
يوما ، أجّل القراءة حتى يحضر .

واذا سأله أحدهم أن يقرأ عليهم كتابا ، ثم غاب يوما لم  
يقرئ الحاضرين حتى يعود الغائب .

ولم يكن يجد غضاضة في أن يعامل كبارهم معاملة  
الاخوة ، فقد ذكر ابن كامل أن بعض أصحاب الطبري جفاه  
في مجلس الطبري ، فانقطع ابن كامل زمانا عن المجلس ، ثم  
لقيه الطبري ، فاعتذر اليه كأنه جنى جناية ، ولم يزل في  
ترققه معه حتى أرضاه ، فعاد الى مجلسه (١) .

والذي يتتبع تاريخ هؤلاء الطلاب يجد بعضهم قد  
سلكوا طريق أستاذهم في التأليف ، وفي كثرة الانتاج .  
ويجد بعضهم قد نصبوا أنفسهم للدفاع عن مذهبه ،  
والملاحاة عن آرائه .

وآخرون منهم أرخوا حياة أستاذهم في تفصيل تارة وفي  
اجمال تارة أخرى .

وبهذا كله وفوا لأستاذهم بعد مماته ، كما أسفوه ودهم  
في حياته .

ومن هؤلاء الطلاب القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن  
خلف ( ٢٦٠ — ٣٥٠ ) قاضي الكوفة من قبل أبي عمر محمد  
ابن يوسف .

وقد اشتهر بعلمه في الفقه والقراءات والتفسير والأدب  
والتاريخ ، وله مؤلفات عدة منها : كتاب في السير ، وكتاب  
في غريب القرآن ، وكتاب في القراءات ، وكتاب في التاريخ ،  
وكتاب الشروط الكبير ، وكتاب المختصر في الفقه ، وكتاب

جامع الفقه وغيرها . وله كتاب في الترجمة للطبري  
يعد أوفى كتاب في تاريخه ، وقد نقل ياقوت أكثره (١) .  
كان ابن كامل على مذهب أستاذه في الفقه ، ثم خالفه في  
أمور استقل فيها برأيه .

ومنهم عبد العزيز بن محمد الطبري ، وله كتاب في  
تاريخ أستاذه نقل ياقوت كثيرا منه (٢) .

ومنهم أبو اسحاق بن ابراهيم بن حبيب الطبري ، مؤلف  
كتاب في التاريخ موصول بكتاب الطبري ، ضمنه من أخبار  
أبي جعفر وأصحابه شيئا كثيرا ، وله كتاب الرسالة ، وكتاب  
جامع الفقه (٣) .

ومنهم أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علم الدين المنجم  
المتكلم ، وهو صاحب كتاب المدخل الى مذهب الطبري  
ونصرة مذهبه ، وكتاب الاجماع في الفقه على مذهب  
أبي جعفر .

ومنهم أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني القاضي  
المعروف بابن طرار ، وصفه ابن النديم بأنه كان أواخر عصره  
في مذهب أبي جعفر ، وحفظ كتبه ، وكان مفتنا في علوم

---

(١) تاريخ بغداد ٣٥٧/٤ ومعجم الادباء ١٠٢/٤ ، ١٨ في  
مواضع متفرقة وانباء الرواة ٩١/١ والفهرست ٣٢ والانساب  
٣٦٧ .

(٢) في الجزء ١٨ .

(٣) الفهرست ٢٣٥ .

كثيرة ، مضطلعا بها ، مشهورا فيها ، وكان في الغاية من الذكاء ، وحسن الحفظ وسرعة خاطر .  
وله كتاب التحرير والمنقّر في أصول الفقه ، وكتاب الحدود والعقود في أصول الفقه ، وكتاب المرشد في الفقه ، وكتاب المحاضر والسجلات ، وشرح كتاب الخفيف للطبري ، وكتاب الشروط ، وكتاب الرد على داود بن علي ، وكتاب القراءات ، وغيرها (١) .

ومنهم علي بن عبد العزيز بن محمد الدثولابي ، مؤلف كتاب القراءات ، وكتاب أصول الكلام ، وكتاب الأصول الأكبر ، وكتاب الأصول الأوسط ، وكتاب اثبات الرسالة .  
وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الثلج الكاتب .

وأبو القاسم بن العراد مؤلف كتاب الاستقصاء في الفقه .  
وأبو الحسن الدقيق الحلواني الطبري ، صاحب كتاب الشروط ، وكتاب الرد على المخالفين .

وأبو الحسين بن يونس مؤلف كتاب الاجماع في الفقه .  
ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي ، ومخلد بن جعفر ، وأبو عمر محمد بن أبي الحيري (٢) وأبو شعيب الحراني ، وعبد الغفار الحصبي ، وأبو عمرو بن حمدان (٣)

---

(١) الفهرست ٢٣٦ ووفيات الأعيان ٣/٣٣٢ .

(٢) الأنساب ٣٦٧ .

(٣) طبقات الشافعية ٢/١٣٦ .

وابن الحداد وأبو مسلم الكجى (١) وغيرهم ممن تتلمذوا عليه في العراق بخاصة ، فاتتهجوا نهجه ، واصطبغوا بصبغته ، فصار الطابع المميز لكل منهم أنه تخرج في مدرسة الطبرى . وليس على الطبرى من لوم في أن أى واحد من طلابه لم ينبغ نبوغ أستاذه ، ولم يبلغ المكانة العليا التى بلغها ، لأن الطبرى فذ موهوب ، والنبوغ يتفتق من بذرة لايهبها أستاذ ، بل يهبها الخالق سبحانه ، وقصارى ما يصنع الأستاذ أن يتعهد هذه البذرة برعايته وعنايته وتربيته ، لتشق تربتها ، وتنسجم الحياة ، ثم تثوى ثمراتها فيما بعد .

واذا كان الطبرى لم يستطع أن يصنع الأفذاذ ، أو يهب النبوغ طلابه ومريديه ، فقد أدى رسالته خير أداء ، اذ وجههم وشجعهم ، وغذى عقولهم وقلوبهم ، وكان قدوتهم في عمله وفي أخلاقه ، وقد حاول بعضهم أن يبلغ شأوه ، فقعدت بهم قدرهم ، لأن ذخيرته من الفطرة والاستعداد أعظم وأقوى من ذخيرتهم .

حسب الطبرى اذا أنه خرج هؤلاء وأمثالهم ، وأن بقى له وحده لواء الزعامة عليهم في الحياة وفي الممات غير منازع في زعامته ، وتفوقه وأستاذيته .

## الفصل السادس

### مؤلفه

ماذا تثمر هذه العوامل المجتمعة ؟  
شغف بالمعرفة منذ الصغر الى نهاية العمر ، في حياة  
كانت من بدايتها الى نهايتها ستا وثمانين سنة .  
وثقافة متنوعة ، وعلم غزير متعمق في بعض ألوان  
المعرفة ، وذكاء خارق ، وعقل ناضج ، وصبر دائم على  
البحث والدرس والتأليف .  
ومع هذا كله تخفف من تبعات الزوجية والذرية ،  
واقطاع للعلم والتأليف .  
لا شك أنها تثمر ثروة عظيمة من المؤلفات .  
وقد كانت مؤلفات الطبرى كثيرة وعظيمة .  
ومن الخير للثقافة وللدارسين أن بعضها سلم من  
الضياع ، وطبع ، وما زال ينبوعا للبحث والدرس .  
ومن أسف أن بعضها مفقود ، فعسى ألا يطول فقده ،  
وأن يوفق الله الباحثين الى العثور عليه واحيائه .  
ولقد أدهشت غزارة انتاجه تلاميذه وأدهشت من بعدهم .  
ذكر الخطيب البغدادي أنه سمع من على بن عبيد الله  
اللغوى السَّمْسَمَى أن الطبرى واطب على الكتابة أربعين  
سنة ، وأنه كان يكتب في كل يوم أربعين ورقة .  
ومعنى هذا أنه كتب نحو ستمائة ألف ورقة .

وحدث عبد الله الفرغانى فى كتابه « الصلة » الذى وصل به تاريخ الطبرى فقال ان بعض تلاميذه قسموا أوراق مؤلفاته على أيام حياته منذ بلغ الحلم ، الى أن توفى ، فخص كل يوم منها أربع عشرة ورقة ، وقال ان هذا شئ لا يتهاى لخلق الا بحسن عناية الخالق .

فاذا أسقطنا من عمره نحو ثنتى عشرة سنة ، كان ما كتبه بحساب هؤلاء نحو أربعمئة ألف ورقة .

وسواء أصح هذا التقدير أم ذاك ، أم لم يصح منها شئ ، فإن فيهما الدليل على كثرة ما كتب الطبرى ، والدليل على دهشة المقدرين من غزارة إنتاجه .  
أما مؤلفاته فهى (١) :

١ — جامع البيان فى تفسير القرآن (٢)

٢ — تاريخ الأمم والملوك (٣)

وسأعرض لهما بالتحليل المفصل

٣ — كتاب ذيل المذيل (٤)

---

(١) مستمدة من معجم الأدباء والفهرست وطبقات الشافعية والوافى بالوفيات .

(٢) طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٩٢٣ وبهامشه تفسير النيسابورى ، ويطلع الآن بمطبعة الحلبي بمصر بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر .

(٣) طبع بأوربا ثم بالمطبعة الحسينية بالقاهرة ويطلع الآن بدار المعارف بمصر بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٤) طبع المختار منه مع كتاب التاريخ فى جزء مستقل هو الثالث عشر بعنوان ( المنتخب من كتاب ذيل المذيل ) .

وهو في نحو ألف ورقة

خرج املاءه بعد سنة ثلاثمائة

وهو في تاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم الى عصر  
الطبرى . ذكر فيه تاريخ من قتل أو مات من الصحابة في حياة  
الرسول ، وتاريخ من عاشوا بعده من أصحابه ورووا عنه ،  
أو قتل عنهم علم ، الى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم ،  
ولم يفته أن ينسب الضعف الى بعض المحدثين . وذكر تاريخ  
النساء اللاتى أسلمن على عهد الرسول ، ومن مات منهن قبل  
الهجرة ، ومن متن بعدها .

وفي آخر الكتاب أبواب فيمن حدث عنه الاخوة ، أو  
الرجل وابنه ، ومن اشتهروا بكناهم دون أسمائهم ، ومن  
اشتهروا بأسمائهم دون كناههم من رجال ونساء .  
وكثيرا ما تناول في تاريخ الرجال طرائف من أخبارهم  
ومذاهبهم ، ودافع عن ذوى الفضل منهم ممن اتهموا بمذهب  
وهم منه أبرياء ، كالحسن البصرى وقتادة وعكرمة .  
٤ — اختلاف الفقهاء . ويسمى اختلاف علماء الامصار  
في أحكام شرائع الاسلام (١) .

وهو في نحو ثلاثة آلاف ورقة

قصد به الى ذكر أقوال الفقهاء ، في كثير من الأحكام

---

(١) حققه الدكتور فردريك كرن الألماني وطبع بمطبعة

الموسوعات بمصر سنة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م بعنوان ( اختلاف  
الفقهاء ) .



الشرعية . وسأعرض له بالتحليل في دراسة الطبرى الفقيه .

٥ — لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام

وهو يزيد بلطيف القول دقة الفكر ، وعمق النظر ، وقوة التعليل . ألفه بعد اختلاف الفقهاء ، في نحو ألفين وخمسمائة ورقة . وقد بسط فيه مذهبه الذى يعول عليه جميع أصحابه ، وهو من أنفس كتبه ، وكتب الفقهاء ، ومن أفضل أمهات المذاهب ، وأسدها تصنيفا (١)

وكان أبو بكر بن راميك يقول : ما ألف كتاب في مذهب أجود من كتاب الطبرى لمذهبه .

وفي هذا الكتاب فصل جيد في الشروط يسمى بأمثلة العدول يستجيده أهل بغداد ، ويعولون عليه ، وكان الطبرى مقدما في علم الشروط قيما به .

---

(١) ذكر محمد بن داود الأصبهاني في كتابه « الوصول الى معرفة الأصول » في باب الاجماع أن الاجماع عند الطبرى هو اجماع الفقهاء الثمانية الذين ذكرهم في كتابه اختلاف علماء الأمصار ، أخذ من قوله : أجمعوا ، وأجمعت الحجة على كذا . ومن قوله : ثم اختلفوا فقال مالك كذا ، وقال الأوزاعي كذا ، وقال فلان كذا . وعلق ياقوت بقوله : هذا غلط من ابن داود ، ولو رجع الى كتاب الطبرى لطيف القول ، والى كتابه الاختلاف ، وما أودعه كثيرا من كتبه لوجده يقرر أن الاجماع هو نقل المتواترين لما أجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثار ، دون أن يكون ذلك رأيا ومأخوذا من جهة القياس ، ولعلم أن ما ذهب اليه من ذلك غلط فاحش وخطأ بين .

« معجم الأدباء ٧٢/١٨ » .

ومما تناوله في هذا الكتاب الكلام في أصول الفقه ،  
والكلام في الاجماع ، وأخبار الآحاد والمراسيل ، والناسخ  
والمنسوخ في الأحكام والمجمل والمفسر من الأخبار والأوامر  
والنواهي ، والكلام في أفعال الرسل ، والخصوص والعموم ،  
والاجتهاد ، وإبطال الاستحسان .

كذلك تناول اللباس ، وأمهات الأولاد ، والشراب  
٦ — الخفيف في أحكام شرائع الإسلام .

هو مختصر كتابه اللطيف ، وسبب اختصاره أن أبا أحمد  
العباس ابن الحسن العزيزي راسله في اختصاره ، فعمل هذا  
المختصر ليسهل تناوله .  
وهو في نحو أربعمئة ورقة .

٧ — تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من  
الأخبار <sup>(١)</sup> وهو الذي سماه القفطي ( شرح الآثار ) وقال :  
انه لم يكمله ، ثم عجز العلماء عن اكماله <sup>(٢)</sup> .  
وقال ياقوت لم أر سواه في معناه

وذكر السبكي في طبقات الشافعية أنه من عجائب كتبه ،  
بدأ فيه بما رواه أبو بكر الصديق مما صح عنده بسنده ،  
ثم تكلم على كل حديث بعلمه وطرقه ، وما فيه من الفقه  
والسند ، واختلاف العلماء وحججهم ، وما فيه من المعاني

(١) منه نسخة مخطوطة في كبريل وعاطف أفندي وبايزيد  
والفاتح بالاستانة وأوله في مكتبة الأسكوريال باسبانيا .  
(٢) انباء الرواة ٩٠/٣ .

والغريب ، فتم منه مسند العشرة ، وأهل البيت والموالي ،  
ومن مسند ابن عباس قطعة كبيرة .  
ومات قبل أن يتمه

٨ — كتاب بسيط القول في أحكام شرائع الاسلام .  
تناول فيه تسلسل الفقه بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة  
والشام وخراسان ، وكتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ، وذكر  
اختلاف المختلفين واتفاقهم ، وذكر فيه المحاضر والسجلات  
والوصايا وأدب القاضى .

وهو في نحو ألفى ورقة على ما ذكر ياقوت ، أو في نحو  
ألف وخمسمائة ورقة كما ذكر السبكى .

٩ — كتاب آداب القضاة ، وهو أحد الكتب المشهورة  
بالتجويد والتفضيل ، ذكر فيه مدح القضاة وكتابهم ،  
وما ينبغي للقاضى أن يعمل به ، وذكر السجلات والشهادات  
والدعاوى البيّنات ، وهو في نحو ألف ورقة .

١٠ — كتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة .  
وربما سماه بأدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة .  
تناول فيه عدة أمور : كالورع والاخلاص والشكر  
والرياء والكبر والتواضع والخشوع والصبر والأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذكر كثيرا من الدعاء ، وفضل  
القرآن ، وأوقات الاجابة ودلائلها .

أنجز منه نحو خمسمائة ورقة في أربعة أجزاء ، وكان  
ابتدأ في تأليفه سنة ٣١٠ هـ ومات بعد مديدة قبل أن يكمله .

١١ — كتاب المسند المجرد :

ذكر فيه من حديثه عن الشيوخ ما قرأه على الناس .

١٢ — كتاب الرد على ذى الأسفار .

زد فيه على داود بن على الأصبهانى ، بعد أن لزم داود مدة ، وكتب من كتبه كثيرا .

وكان السبب فى تأليف هذا الكتاب أن مناقشة حدثت بين داود والطبرى ، وانتصر فيها الطبرى ، فشق ذلك على أصحاب داود ، وكلم أحدهم أبا جعفر بكلمة موجعة ، فقام من المجلس وعمل هذا الكتاب ، وأخرج منه شيئا بعد شئ الى أن أخرج نحو مائة ورقة .

١٣ — كتاب القراءات وتنزيل القرآن (١) :

ذكر فيه اختلاف القراء فى حروف القرآن ، وفضل فيه أسماء القراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وغيرها ، وبين وجه كل قراءة ، وتأويلها ، والدلالة على ما ذهب اليه كل قارئ لها ، ووضح الصواب الذى اختاره هو منها ، والبرهان على صحة ما اختاره ، مستظهرا فى ذلك بقدرته على التفسير والاعراب .

ويشتمل هذا الكتاب على كتاب أبى عبيد القاسم ابن سلام ، لأنه كان عنده عن أحمد بن يوسف ، وعليه بنى كتابه (٢) .

(١) منه نسخة خطية بمكتبة جامعة الأزهر .

(٢) معجم الأدباء ٦٨/١٨ .

وهو كما وصفه ياقوت كتاب جيد .

وقد وصفه أبو على الحسن بن على الأهوازي المقرئ بأنه كتاب جليل كبير ، وقال : رأيت في ثمانى عشرة مجلدة بخطوط كبار ، ذكر .. جميع القراءات من المشهور والشواذ ، وعلل ذلك وشرحه ، واختار منهما قراءة لم يخرج بها عن المشهور .

١٤ — رسالة « البصير في معالم الدين » :

كتبها الى أهل طبرستان فيما وقع بينهم من الخلاف في الاسم والمسمى ، وفي مذاهب أهل البدع .  
وهي في نحو ثلاثين ورقة .  
ولعلها هي التي سماها الصفدى ( التبصير في أصول الدين ) .

١٥ — رسالته المسماة بصريح السنة :

ذكر فيها مذهبه ، وما يدين به ويعتقده ، والجزء الأخير منها في الاعتقاد (١) .  
وهي في عدة أوراق .

١٦ — كتاب فضائل على بن أبى طالب :

تناول في أوله صحة الأخبار الواردة في غدير خم (٢)

(١) طبع الجزء الأخير منها فى بمباى سنة ١٣٢١ ثم طبع بمصر . واسم الكتاب عند أكثرهم شرح السنة .

(٢) غدير خم ، موضع بين مكة والمدينة على ثلاثة أميال من الجمجمة وهو مجتمع ماء تصب فيه عين ، وحوله شجر كبير .  
يروى الشيعة عن البراء بن عازب أنه قال : كنا مع رسول الله

ثم عقب بفضائل علي ، ولكنه لم يتم الكتاب<sup>(١)</sup> .

= الله صلى الله عليه وسلم . في سفر فنزلنا بغدير خم . فامر بتنظيف مكان بين الأشجار الملتفة بالغدير ، استعدادا لأخامه الصلاة ، ثم نادوا الصلاة جامعة ، فصلينا الظهر ، ثم أخذ النبي بيد علي بن أبي طالب . فقال : أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قلنا : بلى فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار . ألا هل بلغت . قالها ثلاثا . والشيعية يتخذون هذا اليوم عيداً ، وأول من اتخذه مع الدولة البويهية سنة ٣٥٢ هـ ثم جعله العاطميون عيداً في مصر سنة ٣٦٢ منذ قدم المعز إليها (الملل والنحل للشهرستاني ١٤٤/١) وقد نظم السيد الحميري المتوفى سنة ١٧٣ هـ هذه القصة في أبيات منها :

عجبت من قوم أتوا أحمدا	بخطبة ليس لها موضع
قالوا له : لو شئت أعلمتنا	إلى من الغاية والمقزع ؟
إذا توفيت وفارقتنا	وفيهم في الملك من يطمع
فعندها قام النبي الذي	كان بما يأمره يصعد
يخطب مأمورا وفي كفه	كف على نورها يلمع
من كنت مولاه فهذا له	مولى . فلم يرضوا ولم يقنعوا
وظل قوم غاظهم قوله	كانما آنا فهم تجدد

وقد كذب بعض علماء بغداد ماروى حول غدير خم ، وقال ان عليا كان باليمن حينذاك ، فلما علم بالطبري ألف كتابه في ذلك وكثر الناس لاستماعه .

(١) في منتخب تاريخ علم الدين البرزالي انه رأى الكتاب في مجلدين ضخمين ( مقدمة كتاب اختلاف الفقهاء للطبري صفحة ١٢ ) .

- ١٧ — كتاب فضائل أبي بكر وعمر (١) :  
لم يتمه .
- ١٨ — كتاب فضائل العباس (٢) :  
عاجله الموت قبل اكماله .
- ١٩ — كتاب في عبارة الرؤيا .  
جمع فيه أحاديث ، ومات ولم يتمه .
- ٢٠ — كتاب مختصر مناسك الحج :  
٢١ — كتاب مختصر الفرائض :  
٢٢ — كتاب في الرد على ابن عبد الحكم على مالك .  
٢٣ — كتاب الموجز في الأصول :  
ابتدأ فيه برسالة الأخلاق ، لكنه لم يتمه .
- ٢٤ — وينسب إليه كتاب الرمي بالنشاب .  
وهو كتاب صغير . قال عبد العزيز بن محمد الطبري ،  
انه وقع اليه ، وما علم أحدا قرأه عليه ، ولا ضابطا ضبطه  
عنه ، ولا ثقة ينسبه اليه ، ورجح أنه منحول .  
على أنني أتبين من الثبت الذي ذكره الصفدي أسماء  
كتب أخرى لم يذكرها ياقوت ، وأسماء كتب هي في حقيقتها

---

(١) و (٢) بسط جماعة من أهل طبرستان السنتهم في  
الصحابة وجعلوا يسبونهم فالف الطبري كتابا في فضائل أبي  
بكر وعمر وأمه ، ثم خاف أن يلحق به من الناس شر ، فسافر ،  
ثم سأل العباسيون أن يؤلف في فضائل العباس . فشرع في  
تأليف كتابه في ذلك ، وأمل بعضه ، ثم قطع الاملاء قبل موته .

أبواب أو فصول من كتب ذكرها ياقوت وبخاصة كتاب  
لطيف القول .

أما التي لم يذكرها ياقوت فهي :

٢٥ - - العدد والتنزيل .

٢٦ - مسند ابن عباس .

٢٧ - . كتاب المسترشد .

٢٨ - اختيار من أقاويل الفقهاء .



## الفصل السابع الطبرى المفسر

علوم ثلاثة لا يذكر الطبرى الا مقرونا بها كلها : التفسير والتاريخ والفقه ، لأنه تفوق فيها ، ولأنه خلف فى كل منها كتابا أو كتبا عظيمة القيمة .

ويجدر بى قبل أن أعرض لمنهجه فى التفسير أن ألم على عجل بالمراحل التى اجتازها التفسير ، وبالمناهج التى سلكها المفسرون قبل الطبرى وفى عصره ، ليتبين تأثيرها فى منهجه ، ويتضح ما فى تفسيره من أصالة ومن تقليد .

- ١ -

كان النبى عليه الصلاة والسلام يتلقى القرآن الكريم منجما حسب الوقائع والأحداث والمناسبات ، فيبين لأصحابه ما يحتاج الى تبين . ثم جاء التابعون فرووا عن الصحابة ما سمعوه عن رسول الله .

فلما دونت الكتب أودعها المدونون ما روى عن الصحابة والتابعين من التفسير .

وكان الذى دونوه أحاديث نبوية توضح أسباب النزول أو بعض الأحكام الشرعية أو الناسخ والمنسوخ . ومن هنا ارتبط التفسير بالحديث ، حتى ان الامام

الشافعي قال ان ابن عباس لم يثبت عنه في التفسير الا مائة حديث . وذلك أنهم نسبوا الي ابن عباس كتابا في الحديث ، أى مجموعة كبيرة من أحاديث رسول الله متصلة بتفسير القرآن الكريم .

وكان مالك بن أنس من أوائل من دونوا التفسير بهذا المعنى .

فلا غرابة في أن كان الطابع العام للمفسرين الى ذلك الوقت هو التقييد بما روى عن رسول الله وصحابته ، حتى ان سعيد بن المسيب كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن الكريم قال : انا لا نقول في القرآن شيئا (١) .

لهذا تشددوا في التزام ما أثر ، وتخرجوا من التفسير بالرأى ، حتى روى عن عبيد الله بن عمر أنه قال : لقد أدركت فقهاء المدينة وانهم ليعظمون القول في التفسير ، منهم سالم بن عبيد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع .

وقال الشعبي ، ثلاثة لا أقول فيهن حتى أموت ، القرآن والروح والرأى (٢) كذلك كان القاسم بن محمد بن أبي بكر وسليم بن عبد الله بن عمر يمتنعان من تفسير القرآن (٣) .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٣٥٠/٥ مادة تفسير وتعليق الأستاذ أمين الخولى .

(٢) تفسير الطبرى ٢٩/١ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٣٩/٥ ، ١٤٨ .

وكان عبيدة بن قيس الكوفي المتوفى سنة ٧٢ يرفض أن يذكر من أسباب النزول شيئا ، ويقول لسائله : عليك باتقاء الله والسداد ، فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن (١) .

وكان الأصمعي على علمه الواسع باللغة ، شديد التحرز في تفسير القرآن والسنة ، فاذا سئل عن شيء منهما قال : العرب تقول : معنى هذا كذا ، ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو (٢) .

وربما كان مرجع تخرجهم الى أنهم وجدوا بعض ورووا حديثا في ذلك ، يؤيد دعواهم هو : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » .

وربما كان مرجع تخرجهم الى أنهم وجدوا بعض معاصريهم يضيفون الى التفسير كثيرا من الأخبار والأساطير ، بعضها منقول عن أسلموا من النصارى واليهود ، وبعضها من تزيدهم واختراع خيالهم . فقد كانت لليهود والنصارى أخبار وأقاصيص متصلة بشروح التوراة ، وقد أسلم بعضهم ، وسمع منهم بعض المسلمين ، وأضافوا ما سمعوه الى تفسيرهم ، مثل مقاتل بن سليمان بن بشير المتوفى سنة ١٥٠ الذي حكى عن الشافعي أنه قال فيه : الناس كلهم عيال على ثلاثة ، على مقاتل بن سليمان في التفسير ، وعلى زهير

(١) الطبقات الكبرى ٦/٦٤ .

(٢) وفيات الأعيان ١/٤٠٩ .

ابن أبي سلمى في الشعر ، وعلى أبي جنيقة في الكلام (١) .  
فقد ذكر أبو حاتم محمد بن حيان البستي أن مقاتلا هذا  
يستمد في تفسير القرآن الكريم أخبارا من اليهود والنصارى ،  
ويأخذ من كتبهم علم القرآن العزيز (٢) .

وكذلك فعل ابن اسحاق المتوفى حوالي سنة ١٥١ فقد  
كان يسميهم أهل العلم الأول (٣) .

واستمد منهم أيضا عبد الله بن عمرو بن العاص (٤) .  
أما القصاص والوعاظ فقد كانوا يجلسون للقصص على  
العامية ، وكانوا ينطلقون في التشويق الى ما يقصون ، في  
غير حرص على توخي الحقائق التاريخية .

جاء جماعة الى ابن مسعود فذكروا له أن بالمسجد قاصا  
يقول في تأويل قوله تعالى :

« فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس  
هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون » .  
تدرون ما ذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة  
فيأخذ أسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمنين منه  
شبه الزكام .

وكان ابن مسعود مضطجعا ففزع فقعد وقال ان الله  
عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم « قل ما أسألكم

(١) وفيات الأعيان ٣٤١/٤ .

(٢) المرجع السابق ٣٤٣/٤ .

(٣) الفهرست ٩٢ .

(٤) الاتقان ٣٢٣/٢ .

عليه أجرا وما أنا من المتكلفين » ان من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم . سأحدثكم عن ذلك : ان قريشا لما أبطأت عن الاسلام ، واستعصت على رسول الله دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة ، وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السماء فلا يرون الا الدخان ، وقرأ الآية ، وقال الله جل ثناؤه « انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون ، يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون » فعادوا يوم بدر فاتقم الله منهم (١) .

لهذا قال أحمد بن حنبل : ثلاثة لا أصل لها : التفسير والملاحم والمغازي . وليس من المعقول أن يصف امام في الأحكام الشرعية تفسير القرآن بأنه لا أصل له ، وهو يقصد التفسير الصحيح ، بل المعقول أنه يقصد التفسير القصصى المحشو بأخبار منبعها الخيال ، ولهذا قرنه بالملاحم والمغازي ، اذ كان الخيال قد لون بعضها بزخارفه ومبالغاته .

واذا فقد كان بعض العلماء يتوسعون في التفسير فلا يتقيدون بما يروى عن رسول الله وصحابته ، بل يضيفون الى التفسير أخبارا وأقاصيص سمعوها من اليهود الذين أسلموا ، ويروون أخبارا وأقاصيص عن الأمم البائدة ، ولكنهم بصفة عامة لم يخرجوا بالتفسير عن حدود النقل الى ذلك الوقت .

والسبب في هذا أنهم كانوا يتخرجون من القول بأرائهم  
في التفسير ، ويعتمدون على أربعة مصادر لا يتعدونها .  
أولها : النقل عن رسول الله مع التثبت من وسائل النقل .  
وثانيها : الأخذ عن الصحابي .  
وثالثها : الأخذ بما تمليه اللغة .  
ورابعها : التفسير بما يقتضيه التعبير وروح الشريعة .  
وكانوا لا يجيزون التفسير بالرأى والاجتهاد من غير  
أصل يستند إليه المفسر .  
واشترطوا فيمن يتصدى للتفسير أن يكون موهوبا ،  
وعالما بأربعة عشر علما ، هي : اللغة والنحو والصرف  
والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات والأصول  
 وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والحديث والفقه .

— ٢ —

فلما تقدم الزمن ، وتطورت الثقافة ، وتعددت ألوانها ،  
واحتدم الخلاف السياسي والديني والمذهبي ، خطا  
المفسرون من مرحلة النقل الى مرحلة الاجتهاد والعقل ، ولم  
يتخرجوا من تفسير القرآن حسب آرائهم ، لأنهم رأوا في  
التخرج عدولا عن التفكير والنظر واستنباط الأحكام ، كما  
يفهم من قوله تعالى : « لعلهم الذين يستنبطونه منهم » .  
ولو صح ما ذهب اليه المتخرجون لم يستنبط أحد  
شيئا ، ولم يفهم كثيرا مما في كتاب الله .

وعلى فرض صحة الحديث الذى ينهى عن التفسير  
بالرأى ، فإن المراد الرأى الذى لا يعتمد على أصل ثابت ،  
ولا يستند الى روح الشريعة ، بل يذهب مع الهوى كل  
مذهب .

فلم يكن غريبا أن اجتهد كثير من العلماء فى تفسير  
القرآن الكريم ، وأدلو بأرائهم ، لأنهم كانوا مستكملين  
العدة التى يجب أن تتوفر للمفسر من علم باللغة وأساليبها ،  
ومعرفة بالقراءات ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ،  
ودراية بالحديث النبوى ، وروح الشريعة .

وكان العراقيون هم السباقين الى التفسير بالرأى ، لأن  
العراق كان فى ذلك الوقت أكثر الأقطار الاسلامية أخذاً  
بالرأى فى التشريع ، ومنذ ذلك الحين وجد تفسير وتأويل<sup>(١)</sup> .  
وجعل التفسير من القرن الثانى يتأثر باتجاهات المفسرين ،  
ويصطبغ بثقافتهم .

---

(١) التفسير يعتمد على النقل عن رسول الله وأصحابه  
ولاسيما فى الأمور التوقيفية التى لا يمكن للعقل أن يفصل فيها ،  
كتفسير بعض أوائل السور مثل ألم وحج وكهيعص ، وكذلك  
الناسخ والمنسوخ .

والتأويل يعتمد على الاجتهاد والرأى بمعرفة المعانى اللغوية  
للألفاظ ، وطرق استعمالها فى الأساليب ، واستنباط المعانى  
منها . وفى كتب التفسير هذا وذاك ، فبعضها مطبوع بطابع  
المحدثين ، لا يتعدى ذكر المأثور ، وبعضها مطبوع بالرأى  
والاجتهاد .

فالنحاة : كالزجاج والواحدى وأبى حيان يهتمون بالخلافات النحوية والتخريج ، ويعربون القرآن اعرابا يساعد على تفسيره ، ويعلون بمشكلاته النحوية في مثل قوله تعالى « ان هذان لساحران » وقوله « هذان خصمان اختصموا في ربهم » وقوله « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » .

واللغويون : كأبى عبيدة وقطرب يؤلفون كتباً في غريب نرآن ، ويعنون بمشكلاته اللغوية في مثل قوله تعالى « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » وقوله : « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » .

ولهؤلاء وأولئك كتب تسمى معانى القرآن .  
وبعضهم عنى بمجازات القرآن في مثل قوله تعالى :  
« فبشرهم بعذاب أليم » .

والفقهاء يختصون آيات الأحكام بعنايتهم ، ويؤلفون كتباً مثل كتاب أحكام القرآن على مذهب مالك ، وكتاب أحكام القرآن لأبى بكر الرازى على مذهب أهل العراق ، وكتاب أحكام القرآن للشافعى ، وأحكام القرآن لداود بن على الظاهرى ، وأحكام القرآن للقرطبى .

والمتكلمون يؤولون بعض الآيات لتعزيز مذاهبهم كالزمخشري .

والمشتغلون بالعلوم العقلية ينتهزون بعض الآيات ، فيحشدون آراء الفلاسفة والحكماء كما فعل الرازى .



والمتصوفة يلونون تفسيرهم بأرائهم كابن عربي  
الأندلسي (١)

— ٣ —

عاش الطبرى فى القرن الثالث ، فاطلع على أنواع  
التفسير التى سبقته ، والتى عاصرتة ، قارئاً حينا ، وسامعا  
من العلماء حينا آخر ، فاختار أجودها وأنسبها الى مذهبه ،  
ودرسه لتلاميذه . وهو يدين بأن التفسير الصحيح المستند  
الى ما روى عن النبى وعن صحابته ، واجب على من يتصدى  
لدراسة الدين كما يتضح من مقدمة تفسيره .

---

(١) ضحى الاسلام ١٤٦/٢ .

## موضوع كتابه

يدل اسم الكتاب على موضوعه فهو « جامع البيان في تفسير القرآن » كذلك نجد اسمه في النسخ المطبوعة . على حين أن الطبري سماه في كتاب التاريخ « جامع البيان عن تأويل آي القرآن »<sup>(١)</sup> وكذلك ذكر ياقوت<sup>(٢)</sup> .

وقد ألفه قبل أن يؤلف كتاب التاريخ<sup>(٣)</sup> ، وهو نفسه يذكر في كتاب التاريخ ما يثبت ذلك اذ يقول : وقيل أقوال في ذلك ، قد حكينا منها جملا في كتابنا المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، فكرهنا اطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضوع »<sup>(٤)</sup> .

وكان تأليفه في أواخر القرن الثالث ، قال أبو بكر بن كامل انه قرأه على تلاميذه سنة ٢٧٠<sup>(٥)</sup> ، وقال أبو بكر بن بالويه انه أملاه عليهم من سنة ٢٨٣ الى سنة ٢٩٠<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) كتاب التاريخ ٤٥/١
  - (٢) معجم الأدباء ٤٤/١٨
  - (٣) معجم الأدباء ١٨
  - (٤) كتاب التاريخ ٤٥/١
  - (٥) معجم الأدباء ٦٢/١٨
  - (٦) تاريخ بغداد ١٦٤/٢ ومعجم الأدباء ٤٢/١٨

ويظهر أنه أملاه على طبعتين من الطلاب .  
وقد طبع هذا الكتاب مرات (١) .  
ونستطيع أن نوجز مادته في ثلاثة موضوعات :

— ١ —

أولها قضايا كثيرة عرض لها في المقدمة :

١ — منها شرح الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف » والاتهاء من مناقشة الآراء المختلفة فيه الى أن معناه أنزل القرآن بسبع لهجات من لغة العرب ، لأن الذين اختلفوا في بعض القراءة واحتكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فصوبهم كلهم في قراءاتهم على اختلافها ، وقال لهم : « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منها » انما كان اختلافهم في التلاوة نفسها دون المعاني التي دلت عليها التلاوة من التحليل والتحريم والوعيد والوعيد وما أشبه ذلك (٢) .

٢ — ومنها بيان اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ،

---

(١) طبع بالمطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣٢١ وبمطبعة بولاق سنة ١٣٢٣ الى ١٣٣٠ ويطبع الآن بدار المعارف بمصر بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر .

(٢) التفسير ٩/١ - ٢٣ .

والرد على من قالوا ان فيه كلمات غير عربية<sup>(١)</sup> . ذلك أنه  
أورد هذه الآيات « يؤتكم كفلين من رحمته » و « ان ناشئة  
الليل هي أشد وطأ » و « يا جبال أوبى معه والطير » و ( فرت  
من قسورة » و « ترميهم بحجارة من سجيل » .  
ونقل في تفسيرها أن الكفلين : ضعفان من الأجر بلغة  
الحبشية ، وأن الناشئة في لغتهم القيام ، وأوبى بمعنى سبى .  
وذكر أن القسورة الأسد بالفارسية ، وأن السجيل فارسية  
أيضا . ثم عقب على هذا بحث مطول خلاصته أن  
الكلمات التي جاءت في القرآن ، وخيل الى بعض العلماء أنها  
ليست من العربية انما هي مما اتفقت في العربية وغيرها  
باللفظ والمعنى ، فليس لنا أن نقول انها فارسية لا عربية ،  
أو أنها حبشية لا عربية ، أو أنها رومية لا عربية ، لأن أى  
لسان ليس أولى بنسبتها اليه من اللسان العربى .  
ومن هنا يصح أن يطلق على أمثال هذه الكلمات أنها

---

(١) من الذين نفوا الألفاظ الأعجمية فى القرآن الشافعى  
وأبو عبيدة والباقلانى وابن فارس ، مستدلين بقوله تعالى « انا  
أنزلناه قرآنا عربيا » وبقوله تعالى « ولو جعلناه قرآنا أعجميا  
لقالوا : لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى » ومن رأيهم أن الكلمات  
التي يظن أنها غير عربية اما أنها عربية خالصة لكن عربتها خفيت  
على علماء اللغة ، واما أنها كانت فى الزمن القديم غير عربية  
ثم نقلها العرب فى الجاهلية واستعملوها فى شعرهم ومحاوراتهم  
فجرت مجرى العربى الفصيح ، ثم نزل القرآن فاستعمل بعضها .

عربية فارسية ، أو حبشية عربية ، اذ كانت الأمتان مشتركتين في استعمالها بلفظها ومعناها .

ثم أراد أن يقوى افتراضه فقال : لو أن أرضا بين سهل وجبل لها هواء السهل وهواء الجبل ، أو بين بر وبحر لها هواء البر وهواء البحر ، لم يمتنع ذو عقل صحيح من وصفها بأنها سهلية جبلية ، أو بأنها برية بحرية ، اذ لم تكن نسبتها الى هذا نافية نسبتها الى ذاك . ولو اقتصر على احدى النسبتين ولم يسلبها النسبة الأخرى كان صادقا محقا .  
وقاس على هذا الكلمات التي قيل انها وردت في القرآن الكريم غير عربية .

ثم انتهى الى أن من غير الجائز أن يتوهم ذو فطرة سليمة وإيمان صحيح أن بعض القرآن فارسي لا عربي أو حبشي لا عربي .

وتمادى في الجزم برأيه ، فرد على من قالوا ان بعض الكلمات غير عربية كانت العرب قد عربتها قبل نزول القرآن ، فقال ان أصلها عربي ، وتصادف أن وقعت في لغات غير عربية ، أو نقلتها أمم أخرى عن العرب .

والحق أن دليل الطبرى افتراضى محض ، ان صح في كلمة تخلف في كلمات ، وان جاز في بضع كلمات بطل في عشرات الكلمات .

ثم ان التاريخ الأدبي للغة العربية يثبت أن العرب كانوا قبل الاسلام على صلات بالهنود والفرس والحبشة والروم

والنبط والسريان واليهود والنصارى ، عن طرق التجارة والرحلات والاسترقاق والحروب والجوار والمعاشرة ، وكان من الطبيعي أن تثمر هذه الصلات ثمرات شتى ، منها تنمية اللغة العربية بكلمات كثيرة قلها العرب الى لغتهم ، ووردت في شعرهم ، كما يتبين لمن يتصفح دواوينهم وينقب في معاجم اللغة ، أو يردد النظر في كتاب العرب للجواليقي ، وشفاء الغليل للخفاجي .

وبهذا الاستعمال الأدبي صارت هذه الكلمات معربة ، وصار ورودها في القرآن الكريم أمرا طبيعيا لا يستحق جدلا ولا انكارا بعد أن عربها العرب واشتقوا منها كلمات أخرى<sup>(١)</sup>. وهل خطر لأحد أن يشك في عربية شعر امرئ القيس أو الأعشى أو عدى بن زيد وأشباههم ، لأن في شعر كل منهم كلمات فارسية أو رومية ؟

وإذا فإن الطبرى لم يكن له أن يؤيد الرأي الذى أنكر وقوع ألفاظ غير عربية في القرآن ، بحجة أنها تخرجه عن صفته العربية التى وصفه بها الله تعالى ، لأن هذه الكلمات قليلة لا تخرج القرآن عن عربيته ، كما أن القصيدة الفارسية لا تنسلخ عن نسبتها الى اللغة الفارسية ، لأن فيها كلمة أو بضع كلمات عربية .

(١) عقد السيوطى فى الاتقان فصلا للكلمات غير العربية فى القرآن أورد فيه كلمات فارسية ورومية وجيشية وسريانية ونبطية وعبرية وهندية .

أما قوله تعالى : « ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا  
لولا فصلت آياته أعجمي وعربي » ، فإن المراد ، أكلام  
أعجمي والمتكلم به عربي ؟

٣ - ومن القضايا التي عرض لها في المقدمة وجوه تأويل  
القرآن ، وما يمكن الوصول اليه وما لا يمكن الوصول اليه .  
والتأويل في رأيه على ثلاثة أوجه :

أحدها : لا سبيل الى الوصول اليه ، وهو الذي استأثر  
الله بعلمه ، وحجب معرفته عن جميع خلقه ، مثل وقت قيام  
الساعة والنفخ في الصور . وما أشبه ذلك .

والوجه الثاني : ما خص الله بعلم تأويله نبيه صلى الله  
عليه وسلم دون سائر أمته ، فلا سبيل لهم الى علم ذلك  
الا ببيان الرسول لهم تأويله .

الثالث : ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به  
القرآن ، وذلك علم تأويل عريته وإعراجه .

فاذا كان ذلك كذلك فأحق المفسرين بإصابة الحق في  
تأويل القرآن أوضحهم حجة فيما تأول وفسر ، معتمدا على  
الأخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اما من  
وجه النقل المستفيض عنه ، واما من نقل العدول الأثبات  
فيما لم يكن فيه نقل مستفيض ، أو من جهة الدلالة المنصوبة  
على صحته . كذلك أوضحهم برهانا فيما ترجم وبَيَّن ،  
مما كان مدركا علمه من جهة اللسان معتمدا على الشواهد  
من أشعار العرب وعلى منطقهم ولغاتهم ، بعد ألا يكون

خارجاً تأويله وتفسيره عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة (١) .

٤ — ثم عقد فصلاً بعنوان ( ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ، ومن كان يفسره من الصحابة ) .

ذكر فيه أن الصحابة كانوا يفهمون القرآن ، ويفسرونه ، وعجب من الذين تخرجوا من تفسيره ، وبين أن الجهل بمعاني القرآن جهل بالدين وأحكامه ، وجهل بما في القرآن من عبر وعظات .

وهو هنا يستدل بنوعين من الأدلة : ما جرى عليه الصحابة ، وما يقتضيه العقل والنظر .

أما ما جرى عليه الصحابة فقد ذكر أن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

وذكر أن عبد الله بن عمر قال : والله الذي لا اله غيره ما نزلت آية في كتاب الله الا وأنا أعلم فيم نزلت ، وأين أنزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته .

وذكر ما روى عن مسروق قال : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ، ثم يحدثنا فيها ، ويفسرها عامة النهار .

---

(١) تفسير الطبري ٣١/١ بتصرف .



وروى أن ابن عباس قرأ على الناس في الحج سورة  
النور ، وجعل يفسرها .

وروى أنه قرأ سورة البقرة وجعل يفسرها .  
وقال ان سعيد بن جبّير قال : من قرأ القرآن ثم لم  
يفسره كان كالأعمى .

وأما الدليل العقلي فقد بناه على أن القرآن أنزل ليفهمه  
المسلمون ، ويتدبروه ، ويتعظوا به ، ويأتمروا بأمره ،  
وينتهوا بنهيهِ ، وليس شيء من هذا ممكنا الا اذا أدركوا  
معانيهِ ، وفسروا آياته ، لأن الأمر بغير مفهوم محال .

يقول في هذا : وفي حث الله عز وجل عباده على الاعتبار  
بما في آي القرآن من المواعظ والبيّنات بقوله — جل  
ذكره — لنبيه صلى الله عليه وسلم : « كتاب أنزلناه اليك  
مبارك ليذبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » وقوله :  
« ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم  
يتذكرون ، قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون » .

وما أشبه ذلك من آي القرآن التي أمر الله عباده وحشهم  
فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن والاتعاظ بمواعظهِ —  
ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يشجب عنهم تأويله  
من آية .

لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله :  
اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من العقل والبيان والكلام ،  
الا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ، ثم يتدبره ويعتبر به .

فأما قبل ذلك فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل .

كما أنه محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه لو أنشد قصيدة شعر من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم : اعتبر بما فيها من الأمثال وادكر بما فيها من المواعظ ، الا بمعنى الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته ، ثم الاعتبار بما يلبيها عليه ما فيها من الحكم .

فأما وهى جاهلة بمعانى ما فيها من الكلام والمنطق ، فمحال أمرها بما دلت عليه معانى ما حوته من الأمثال والعبر ، بل سواء أمرها بذلك ، وأمر بعض البهائم به ، الا بعد العلم بمعانى المنطق والبيان الذى فيها . فكذلك ما فى آى الله من العبر والحكم والأمثال والمواعظ ، لا يجوز أن يقال : اعتبر بها ، الا لمن كان بمعانى بيانه عالما ، وبكلام العرب عارفا ، ثم يتدبره بعد ، ويتعظ بحكمه وصنوف عبره .

فاذ كان ذلك كذلك ، وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره ، وحثهم على الاعتبار بأمثاله ، كان معلوما أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه آية جاهلا . واذا لم يجوز أن يأمرهم بذلك الا وهم بما يدلهم عليه عالمون ، صح أنهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية — التى استأثر الله بعلمها دون خلقه — عارفون .

واذ صح ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين من  
كتاب الله وتنزيله ما لم يحجب عن خلقه تأويله (١) .

— ٢ —

ثم فسر القرآن الكريم معتمدا على ذكر أقوال  
الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وعلى آراء النحاة من الكوفيين  
والبصريين ، وعلى وجوه القراءات والكلام في النسخ  
والمنسوخ ، والأحكام والخلاف فيها ، وكان في ذلك كله  
يرد على المخالفين .

## مصادره

— ١ —

الطابع العام لتفسير الطبرى اعتماده على المأثور عن  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آراء الصحابة والتابعين .  
ويبدو من تتبع الروايات التى سجلها فى كتابه أنه رجع  
الى كتب التفسير المصنفة عن ابن عباس من خمسة طرق ،  
وعن سعيد بن جبّير من طريقين ، وعن مجاهد بن جبر  
من ثلاثة طرق ، وفى بعض المواضع يزيد على ذلك ، وعن  
كل من قتادة بن دعامة ، والحسن البصرى ، وعكرمة من ثلاثة  
طرق ، وعن الضحاك بن مزاحم من طريقين ، وعن عبد الله  
ابن مسعود من طريق .

وقد استفاد من تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ،  
ومن تفسير ابن جرير ، ومن تفسير مقاتل بن حيان والسدى  
وغيرهم (١) .

على أنه استمد كتب الحديث فى كثير من المواضع .

— ٢ —

ثم انه أضاف الى التفسير بالمأثور ما عرف الى عصره

---

(١) معجم الأدباء ١٨ / ٦٤ .

من نحو ولغة وشعر ، فاستشهد بالشعر كثيرا ، ورجع الى آراء نحاتة البصرة ونحاتة الكوفة ، والى آراء علماء اللغة ، مستعينا بكتب على بن حمزة الكسائي ، ويحيى بن زياد القراء ، وأبي الحسن الأخفش ، وأبي على قنطرب وغيرهم ، وكان أحيانا يذكر أسماءهم وأحيانا يكتفى بذكر آرائهم .

— ٣ —

كما أنه رجع الى القراءات وتخيره منها ، ورجح ما تخيره . واستعان بكتب الفقه ، فعرض كثيرا من آراء الفقهاء في مناسباتها (١)

— ٤ —

وكذلك استعان بكتب التاريخ ، فنقل بعض أخبار العجم عن ابن اسحاق وغيره ، كما نقل عن وهب بن منبه (٢) .

— ٥ —

وكذلك عرض بعض آراء المتكلمين ، وبخاصة المعتزلة ، وإن كان هذا قليلا في الكتاب ؛ لأنه سلفى الصبغة ، ولأن ثقافته الأصلية دينية تاريخية لغوية .

---

(١) التفسير ٥٨/١٤ .

(٢) التفسير ١٣/١٦ .

وقد تحرى جهده أن تكون التفسيرات التي ينقل منها مما  
يثق به ، فلم يدخل في كتابه شيئاً عن محمد بن السائب  
الكلبي ، ولا مقاتل بن سليمان ، ولا محمد بن عمر الواقدي ،  
لأنهم في رأيه متهمون .

لكنه اذا رجع الى التاريخ والسير وأخبار العرب حكى  
عنهم وعن غيرهم ، مثل هشام بن الكلبي فيما يفتقر اليه ،  
ولا يؤخذ الا عنهم .

## منهج

نهج الطبرى طريقة خاصة به ، التزمها ولم يحد عنها ،  
تتميز بعدة سمات ، هذه أبرزها .

### ١ — الاعتماد على المأثور

ذلك أنه اعتمد على التفسير بالمأثور ، مما روى عن  
النبي صلى الله عليه وسلم ، ومما روى عن الصحابة  
والتابعين ، متبعا طريقة الاسناد الدقيقة فى سلاسل الروايات .  
وبهذا اصطبغ تفسيره بأنه سجل لما أثر من آراء .  
لكنه كان فى أكثر تفسيره يلخص الفكرة العامة التى  
يستنبطها من هذه الروايات ، ويصوغها بقلمه ، ثم يعقب  
عليها بذكر الروايات التى قد تختلف فى التفصيل والايجاز ،

أو تختلف في أمور شكلية لا تعارض الجوهر الأصيل  
للفكرة .

فإذا كانت هناك روايات أخرى تعارض ما ذكر في  
تلخيصه وفي تفصيله سجلها بعد ذلك وعقّب عليها .  
من أمثلة هذا قوله في أوّل الآية الكريمة « الله لا اله  
الا هو الحي القيوم » أما تأويل قوله « لا اله الا هو »  
فان معناه النهى عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم ، لا اله  
سواه ، ولا معبود سواه ، يعنى ولا تعبدوا شيئاً سواه الحي  
القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، والذى صفته ما وصف  
في هذه الآية .

وهذه الآية ابانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به  
وبرسوله عما جاءت به المختلفين<sup>(١)</sup> في البينات من بعد  
الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره أنه فضل بعضهم على بعض  
واختلفوا فيه ، فاقتتلوا به كفرا به من بعض ، وإيماناً به  
من بعض ، فالحمد لله الذى هدانا للتصديق به ، ووفقنا  
للاقرار به .

وأما قوله « الحي » فانه يعنى الذى له الحياة الدائمة ،  
والبقاء الذى لا أول له يُحدّ ، ولا آخر له يُؤمّد<sup>(٢)</sup> ، اذ  
كان كل ما سواه فانه وإن كان حياً ، فلحياته أول محدود

---

(١) يريد عما خاطب به المختلفين فى البينات .

(٢) يؤمّد : ينتهى

وآخر مأمود ، ينقطع بانقطاع أمدها ، وينقضى بانقضاء غايتها .

وبما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك :

حدثت عن عمّار بن الحسن قال : حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع : قوله « الحى » حى لا يموت .  
حدثنى المشنى قال : حدثنا اسحاق قال : حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله .

وقد اختلف أهل البحث في تأويل ذلك ، فقال بعضهم انما سمي الله نفسه حيا لصفه الأمور مصارفها ، وتقديره الأشياء مقاديرها ، فهو حى بالتدبير لا بحياة .  
وقال آخرون : بل هو حى بحياة له صفة .  
وقال آخرون : بل ذلك اسم من الأسماء تسمى به ، فقلناه تسليما لأمره .

وأما قوله « القيوم » فانه الفاعول من القيام .  
ومعنى قوله « القيوم » : القائم برزق ما خلق ، وحفظه كما قال أمية :

لم تخلق السماء والنجوم  
والشمس معها قمر يقوم  
قدره المهيمن القيوم  
والحشر والجنة والنعيم  
الا لأمر شأنه عظيم



وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :  
ذكر من قال ذلك :

حدثنى محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال :  
حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قول الله  
« القيوم » قال : القائم على كل شيء .

حدثنى موسى قال : حدثنا عمرو قال : حدثنا أسباط عن  
أبيه عن الربيع : القيوم قيم كل شيء يكلؤه ويرزقه ويحفظه .  
حدثنى موسى قال : حدثنا عمرو قال : حدثنا أسباط عن  
السدى : القيوم هو القائم .

حدثنى المثنى قال : حدثنا اسحاق قال : حدثنا أبو زهير  
عن جابر عن الضحاك : الحى القيوم القائم الدائم .

\*\*\*

وقال فى تأويل قوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم » .  
يعنى تعالى ذكره بقوله : « لا تأخذه سنة » لا يأخذه  
نعاس فينعس ، ولا نوم فسيثقل نوما ، والوسن خسورة  
النوم ، ومنه قول عدى بن الرقاع :  
وسنان أقصده النعاس فرتقت

فى عينه سنة وليس بنائم  
ومن الدليل على ما قلنا من أنها خسورة النوم فى عين  
الانسان قول الأعشى ميمون بن قيس :  
تعاطى الضجيج إذا أقبلت  
بَعِيدَ النعاس وقبل الوسن

وقال آخر :

باكرتها الأعراب في سنة النو

م فتجرى خلال شوك السّيال

يعنى عند هبوبها من النوم ووسن النوم في عينها ، يقال

وسن فلان فهو يوسن وسنا وسنة وهو وسنان اذا كان

كذلك (١) .

وينحو الذى قلناه في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

حدثني المثنى قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني

معاوية بن صالح عن أبي طلحة عن ابن عباس : قوله تعالى :

« لا تأخذه سنة » السنة النعاس ، والنوم هو النوم .

حدثني محمد بن سعد قال : حدثني أبي قال : حدثني

عمى قال : حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس : « لا تأخذه

سنة » السنة النعاس .

حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرازق قال :

أخبرنا معمر عن قتادة والحسن في قوله : « لا تأخذه سنة »

قالا : نعسة .

حدثني المثنى قال : حدثنا عمرو بن عون قال : أخبرنا

هشيم عن جُوَيْرِ عَنْ الضَّحَّاك في قوله : « لا تأخذه سنة

(١) في القاموس المحيط : الوسن والسنة شدة النوم .

أو أوله أو النعاس ، ووسن من باب فرح فهو وسن

ووسنان وميسان .

ولا نوم » قال : السنة الوسنة وهو دون النوم ، والنوم الاستئقال .

حدثني يحيى بن أبى طالب قال : أخبرنا يزيد قال أخبرنا جثوئبر عن الضحاك مثله سواء .  
حدثني موسى قال : حدثنا عمرو قال : حدثنا أسباط عن السدى : « لا تأخذه سنة ولا نوم » أما سنة فهو ريح النوم الذى يأخذ فى الوجه فينعس الانسان .  
حدثت عن عمار قال : حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع « لا تأخذه سنة ولا نوم » قال : السنة الوسنان بين النائم واليقظان .

حدثني عباس بن أبى طالب قال : حدثنا منجاب بن الحارس قال : حدثنا على بن مسهر عن اسماعيل عن يحيى ابن رافع « لا تأخذه سنة » قال : النعاس .  
حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « لا تأخذه سنة ولا نوم » قال : الوسنان الذى يقوم من النوم لا يعقل حتى ربما أخذ السيف على أهله ، وانما عنى تعالى ذكره بقوله « لا تأخذه سنة ولا نوم » لا تحله الآفات ، ولا تناله العاهات ، وذلك أن السنة والنوم معنيان يغمران فهم ذى الفهم ، ويزيلان من أصاباه عن الحال التى كان عليها قبل أن يصيباه ، فتأويل الكلام اذا كان الأمر على ما وصفنا : الله لا اله الا هو الحى الذى لا يموت ، القيوم على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصرف من

حال الى حال ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، لا يغيره ما يغير غيره ، ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الأحوال ، وتصريف الليالى والأيام ، بل هو الدائم على حال ، والقيوم على جميع الأنام ، لو نام كان مغلوبا مقهورا ، لأن النوم غالب النائم قاهره ، ولو وسن لكاف السّموات والأرض وما فيها ذكرا لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته ، والنوم شاغل المدبر من التدبير ، والناس يمنع المتأدّر عن التقدير بوسنه .

كما حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرازق قال : أخبرنا معمر قال : وأخبرنى الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس فى قوله : « لا تأخذه سنة ولا نوم » أن موسى سأل الملائكة ، هل ينام الله ؟ فأوحى الله الى الملائكة وأمرهم أن يورقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ، ففعلوا ، ثم أعطوه قارورتين ، فأمسكوه ثم تركوه ، وحذروه أن يكسرها ، فجعل ينعس وهما فى يديه ، فى كل يد واحدة ، وجعل ينعس وينتبه ، وينعس وينتبه ، حتى نعس نعسة ، فضرب باحدهما الأخرى فكسرها . قال معمر : انما هو مثل ضربه الله ، يقول : فكذلك السموات والأرض فى يديه .

حدثنا اسحاق بن أبى اسرائيل . قال : حدثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى صلى الله عليه وسلم قال : وقع فى نفس موسى هل ينام الله تعالى ذكره ، فأرسل الله اليه ملكا فأرقه

ثلاثاً ، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة ، وأمره أن يحتفظ بهما ، قال : فجعل ينام ، وتكاد يداه تلتقيان ، ثم يستيقظ فيحبس أحدهما عن الأخرى ، ثم نام نومة ، فاصطنقت يداه ، وانكسرت القارورتان . قال : ضرب الله له مثلاً بأن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض <sup>(١)</sup> .

## ٢ — الثنى عن التفسير بالرأى

تجنب التفسير بالرأى ، وحمل على أصحابه .  
والمراد بالرأى هنا توجيه التفسير الى آراء شخصية مجارية للأهواء السياسية والحزبية والجنسية والمذهبية وما شاكلها مما لا يقصد اليه القرآن الكريم .  
وقد عقد الطبرى فصلاً في مقدمة تفسيره بهذا العنوان :  
« ذكر بعض الأخبار التى رويت بالنهى عن القول فى تفسير القرآن بالرأى » ذكر فى هذا الفصل أحاديث منها : من قال فى القرآن برأيه ، فليتبوأ مقعده من النار . ومنها : من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار . ومنها : من قال فى القرآن بغير علم ، فليتبوأ مقعده من النار .

وذكر قول أبى بكر : أى أرض تثقلنى ، وأى سماء تثقلنى اذا قلت فى القرآن ما لا أعلم .

(١) تفسير الطبرى ٦/٣ .

وعلق الطبرى بقوله :

هذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا من أن ما كان من تأويل آى القرآن الذى لا يدرك علمه ، الا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بنصبه الدلالة عليه ، فغير جائز لأحد القيل<sup>(١)</sup> فيه برأيه ، بل القائل فى ذلك برأيه — وان أصاب الحق فيه — فمخطىء فيما كان فعله بقيله فيه برأيه ، لأن أصابته ليست أصابة موقن أنه محق ، وانما هى أصابة خاوص وظان ، والقائل فى دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم .

وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك فى كتابه على عباده ، فقال « قل انما حَرَّمَ ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله. ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

فالقائل فى تأويل كتاب الله الذى لا يدرك علمه ، الابتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جعل اليه بيانه ، قائل بما لا يعلم ، وان وافق قبيله ذلك فى تأويله ما أراد الله به من معناه ، لأن القائل فيه بغير علم ، قائل على الله ما لا علم له به . وهذا هو معنى الخبر الذى حدثنا به العباس بن عبد العظيم المنبرى قال : حدثنا حبيب بن هلال قال : حدثنا سَهْمِيل بن أبى حزم قال : حدثنا أبو عمران الجوينى

(١) القيل : القول .

عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . يعنى صلى الله عليه وسلم أنه أخطأ في فعله بقليله فيه برأيه ، وإن وافق قوله ذلك عين الصواب عند الله ، لأن قوله فيه برأيه ليس بقليل عالم أن الذى قال فيه من قول حق وصواب ، فهو قائل على الله ما لا يعلم ، آثم بفعله ما قد نهى عنه وحظر عليه<sup>(١)</sup>.

### ٣ - وقته الإسناد

كان أمينا دقيقا في ذكر السند وفي تسجيل أسماء الرواة ، لأنه اتصل بكثير من العلماء ، وسمع منهم ، فإذا كان قد سمع هو وغيره قال حدثنا ، وإذا كان قد سمع وحده قال حدثني ، وإذا نسي واحدا من سلسلة الرواية صرح بنسيان اسمه .

من الذين سمع منهم هو وغيره خلاد بن أنسلم ، وأبو كريب ، ومحمد بن حميد الرازى ، وسعيد بن يحيى ابن سعيد الأموى . وعبيد الله بن محمد الغريابى ، واسماعيل ابن موسى السدى ، وابن البرقى ، والربيع بن سليمان ، ومحمد بن مرزوق ، ومحمد بن المثنى ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعانى ، وعمر بن عثمان العثمانى ، ويحيى ابن داود الواسطى ، وأحمد بن عبده الضبى ، وسعيد بن الربيع ، ومحمد بن بشار ، وغيرهم .

(١) تفسير الطبرى ٢٧/١ .

ومن الذين سمع منهم وحده عبيد الله بن أسباط ،  
ويونس بن عبد الأعلى ، وأحمد بن منصور ، ومحمد بن  
أبي مخلد الواسطي ، والربيع بن سليمان ، وأبو السائب  
سالم بن جنادة السوائي ، محمد بن حميد الرازي .  
ويعقوب بن ابراهيم ، وسعيد بن الربيع ، وغيرهم .  
ويتبين من مقارنة الأسماء أنه كان يسمع من الشخص الواحد  
تارة في جماعة ، وتارة بمفرده .

وأحيانا يقول : حدثني بعض أصحابنا .

أما التصريح بنسيانه ففي مثل قوله : حدثنا أبو كريب  
قال : حدثني يحيى بن آدم قال : حدثنا اسرائيل عن أبي  
اسحاق عن فلان العبدى — قال أبو جعفر ذهب عنى  
اسمه — عن سليمان بن صرد عن أبي كعب قال (١) :  
ومن أمثلة رواياته قوله :

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى قال : حدثنا شريك عن  
عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده  
من النار (٢) .

وقوله : حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا يحيى بن  
سعيد قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا عبد الأعلى عن ابن  
عامر الثعلبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي قال :

(١) التفسير ١١/١ .

(٢) التفسير ٢٧/١ .



من قال في القرآن برأيه ، أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار (١) .

وقوله : حدثني سملة عن محمد بن اسحاق عن أبي عتاب — رجل من تغلب كان نصرانيا عمرا من دهره ثم أسلم بعد ، فقرأ القرآن وفقه في الدين ، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانيا أربعين سنة ، ثم عمر في الاسلام أربعين سنة — قال (٢)

## ٤ - الاستعانة بعلمه باللغة

وقد مكنه علمه باللغة وأساليب استعمالها أن يفضل معنى للكلمة على معنى آخر تحتمله .

١ — فقال في قوله تعالى :

«وأرسل عليهم طيرا أبابيل» ، ترميهم بحجارة من سجيل» .  
ان الأبابل المتفرقة يتبع بعضها بعضا من نواح شتى ،  
أو هي الكثيرة المتتابعة .

وذكر الآراء في معنى ( سجيل ) أهو الطين في حجارة  
أم الطين ، أم الكلمة فارسية معناها حجر وطنين ، وأصلها  
( سنك وكل ) ثم قال : وقال آخرون : ان معنى سجيل  
السماء الدنيا .

---

(١) التفسير ٢٧/١ .

(٢) التفسير ٣٣/١٥ ، ٣٤ .

وعلق على ذلك بقوله : وهذا القول لا نعرف لصحته  
وجها في خبر ولا عقل ولا لغة ، وأسماء الأشياء لا تدرك  
الا من لغة سائرة ، أو خبر من الله تعالى (١) .

٢ — وقال في قوله تعالى :

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجا » .

يعنى بالبروج القصور . وبعد أن أورد آراء فى معنى  
البروج قال : وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال:  
هى قصور فى السماء (٢) ، لأن ذلك فى كلام العرب . ومنه :

« ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

ومنه قول الأخطل :

كأنها برج رومى يشيدّه

بأن يحصّ وأجر وأحجار (٣)

٣ — وقال فى تفسير قوله تعالى :

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من  
قبلكم لعلكم تتقون » .

قال أبو جعفر : لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذى  
خلقكم ، وطاعتكم إياه فيما أمركم به ، ونهاكم عنه ،  
واقراركم له بالعبادة ، لتتقوا سخطه وغضبه أن يحل عليكم ؛  
وتكونوا من المتقين الذين رضى عنهم ربهم .

(١) التفسير ١٩٣/٣٠ .

(٢) « لست أدري لماذا خصها بأنها فى السماء ، مع أنه  
سيذكر بعد سطر واحد بيتا للأخطل يدل على أن البرج الحصن » .

(٣) التفسير ١٩/١٩ .

فان قال قائل : فكيف قال جل ثناؤه « لعلكم تتقون »  
 أولم يكن علما بما يصير اليه أمرهم اذا هم عبدوه وأطاعوه  
 حتى قال لهم لعلكم اذا فعلتم ذلك أن تتقوا ، فأخرج الخبر  
 عن عاقبة عبادتهم اياه مخرج الشك ؟  
 قيل له : ذلك على غير المعنى الذى توهمت ، وانما معنى  
 ذلك اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لتتقوه  
 بطاعته وتوحيده وافراده بالربوبية والعبادة ، كما قال  
 الشاعر :

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا  
 نكف ووئثقتم لنا كل موثق  
 فلما كفنا الحرب كانت عهدكم  
 كلمح سراب فى الفلا متألق  
 يريد بذلك : قلتم لنا كفوا لنكف ، وذلك أن لعل فى هذا  
 الموضع لو كان شكا لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق<sup>(١)</sup> .

## ٥ — الإكثار من الأحاديث النبوية

وكان يكثر من الأحاديث النبوية ، لأنه درس الحديث  
 على كبار المحدثين فى عصره ، وفى مقدمتهم علماء طبرستان .  
 وهذه أمثلة من استدلاله بالحديث :

١ — فى بيان اللغة التى نزل بها القرآن روى عن خلاد بن

(١) التفسير ١/ ١٢٥ .

أسلم عن أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فالمرء في القرآن كفر — ثلاث مرات — فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه الى عالمه<sup>(١)</sup>.

٢ — وفي تأويل قوله تعالى :

« ولا يؤخذ منها عدل » .

قال أبو جعفر : العدل في كلام العرب الفدية ، ثم ذكر الحديث الشريف : حدثني نجيح بن ابراهيم قال : حدثنا علي ابن حكيم قال : حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عمرو بن قيس الملائي عن رجل من بني أمية من أهل الشام ، أحسن عليه الثناء قال : قيل يا رسول الله ما العدل ؟ قال : العدل الفدية .

وانما قيل للفدية من الشيء والبدل منه عدل لمعادلته

أياه وهو من غير جنسه<sup>(٢)</sup>

(١) رواه الامام أحمد بن حنبل في مسنده (٣٠٠/٢) طبعة الحلبي) عن أنس بن عياض ، ورواه ابن حبان في صحيحه ( رقم ٧٣ بشرح أحمد شاكر ) عن أبي ليلى عن أبي خثيمة عن أنس بن عياض . ونقله ابن كثير في تفسيره (١٠٢/٢) عن مسند أبي يعلى . وفي فضائل القرآن (٦٣) عن مسند أحمد . وهو في مجمع الزوائد ١٥١/٧ . ونسبه ابن كثير في الفضائل للنسائي ، والظاهر أنه يريد كتاب التفسير للنسائي (تفسير الطبري ٢٢/١ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر) .

(٢) نقله عن الطبري ابن كثير ١٦١/١ والسيوطي ٦٨/١ ولم أجده عن غير الطبري ( تفسير الطبري ٣٤/٢ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ) .

٣ — وفي تأويل قوله تعالى :

« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ » . . .  
قال : يعنى بالأميين الذين لا يكتبون ولا يقرأون ،  
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : انا أمة أمية لا نكتب  
ولا نحسب (١) .

٤ — وفي تأويل قوله تعالى :

« والله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله » .  
استطرد فذكر عن ابن بشار عن هشام بن معاذ عن أبيه  
عن قتادة أن النبي قال : ان أخاكم النجاشي قد مات ، فصلوا  
عليه . قالوا : نصلى على رجل ليس بمسلم ؟ فنزلت الآية  
( وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ، وما أنزل اليكم ،  
وما أنزل اليهم خاشعين لله ) (٢) .

٥ — وفي تأويل قوله تعالى :

« الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانهم بظلم أولئك لهم  
الآمن وهم مهتدون » .

(١) رواه البخارى ١٠٨/٤ ورواه مسلم وأبو داود  
والنسائي كما فى الجامع الصغير للسيوطى رقم ٢٥٢١ ( تفسير  
الطبرى ٢٥٧/٢ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ) .

(٢) هو حديث ضعيف لأنه مرسل ، وقد نقله السيوطى  
١٠٩/١ ونسبه لابن جرير وابن المنذر ونقله ابن كثير ٢٩١/١  
عن هذا الموضع ثم قال : هذا غريب وأقول : سياقته تدل على  
ضعفه ونكارتة . ( تفسير الطبرى ٥٣٣/٤ تحقيق محمود شاكر  
وأحمد شاكر ) .

ذكر أن المراد بالظلم الشرك ، وروى عن أبي كريب عن ابن ادريس عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ، فقال رسول الله : ألا ترون الى قول لقمان « ان الشرك لظلم عظيم » ثم رواه من طرق أخرى (١) .

٦ — وفي تأويل قوله تعالى :

« والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

روى عن محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جبينه وجبهته وظهره (٢) .

---

(١) رواه أبو جعفر من طرق ، ورواه البخارى فى صحيحه (الفتح ١ : ٨١ / ٨ : ٢٢٠) ورواه مسلم فى صحيحه ١٤٣/٢ ورواه الترمذى فى كتاب التفسير ، ورواه أحمد من طرق فى مسنده « تفسير الطبرى ١١/ ٤٩٤ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ) .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه ٦٧/٧ من طريق آخر . ورواه أحمد فى مسنده رقم ٧٥٥٣ من طريقين آخرين ( تفسير الطبرى ١٤/ ٢٢٤ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ) .

## ٦ - الاستشهاد بالشعر

وكثيرا ما اعتمد على الشعر في بيان المعنى المراد من الكلمة ، تارة يذكر اسم الشاعر ، وتارة يذكر النص الشعري مجردا من الاسم .

وكذلك كان ابن عباس يستعين على التفسير بالشعر ، فقد كان يسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا ، أما سمعتم الشاعر يقول كذا ، وكان يقول اذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر ، فانه ديوان العرب . وذكر سعيد بن جبير أنه ما سمع ابن عباس يفسر آية من كتاب الله الا استشهد بيت من الشعر (١) .

وقد سبق في ثقافته أنه كان عالما باللغة والشعر ، وأنه أملى بمصر شعر الطرماح ، وشرحه وفسر ما فيه من الغريب ، وكتبه عنه ابن السراج وغيره .

والأمثلة على استدلاله بالشعر كثيرة .

١ - منها استدلاله على أن السورة المنزلة من الارتفاع ، بقول النابغة الذبياني :

ألم تر أن الله أعطاك سورة

ترى كل ملك دونها يتذبذب

أى أعطاك منزلة من منازل الشرف التى قصرت عنها

---

(١) شرح الحماسة للتبريزى ٣/١ .

منازل الملوك . ثم قال ان بعضهم همز السورة من القرآن ،  
وتأويلها اذا القطعة التي فصلت من القرآن عما سواها  
وأبقيت ، ومن ذلك قول أعشى بنى ثعلبة يصف امرأة فارقت ،  
فأبقت في قلبه من وجدها بقية :

فبانت وقد أسأرت في الفؤا

د صدنا على نأيها مستطيرا

وقال الأعشى في ذلك :

بانت وقد أسأرت في النفس حاجتها

بعد اتلاف وخير الود ما نفعا

٢ — واستأنس بالشعر في معنى كلمة آية .

قال : وأما الآية من القرآن ، فانها تحتل وجهين في  
كلام العرب :

أحدهما : أنها سميت آية ، لأنها علامة يعرف بها تمام  
ما قبلها وابتدأؤه ، كالأية التي تكون دلالة على الشيء  
يستدل بها عليه ، كقول الشاعر :

ألكنى اليها عمرك الله يافتى

بآية ما جاءت الينا تهاديا<sup>(١)</sup>

ومنه قوله جل ذكره : « ربنا أنزل علينا مائدة من السماء  
تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك » أى علامة منك  
لأجابتك دعاءنا .

---

(١) ألكنى اليها . بلغ رسالتى اليها .



والآخر القصة ، كما قال كعب بن زهير بن أبى سلمى :  
ألا أبلغا هذا المعرض آية

أيقظان قال القول اذ قال أم حلم ؟

يعنى بقوله آية : رسالة منى وخبرا عنى ، فيكون معنى  
الآيات : القصص ، قصة تتلو قصة بفصول ووصول<sup>(١)</sup> .

٣ — وفى قوله تعالى :

« أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ، ومن  
قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به » .  
قال : فى الكلام محذوف قد ترك ذكره اكتفاء بدلالة  
ما ذكر عليه منه ، وهو : أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه  
شاهد منه ، ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة ، كمن هو  
فى الضلالة متردد لا يهتدى لرشد ؟ والعرب تفعل ذلك كثيرا  
اذا كان فيما ذكرت دلالة على مرادها على ما حذف ، وذلك  
كقول الشاعر :

وأقسم لو شئ أتانا رسوله

سواك ولكن لم نجد لك مدفعا<sup>(٢)</sup>

٤ — ومنها فى قوله تعالى : « وسع كرسيه السموات  
والأرض » .

أورد آراء مختلفة فى معنى الكرسي ، ثم رجح أنه  
العِلْم ، وقال : أصل الكرسي العلم ، ومنه قيل

(١) التفسير ٣٦/١ .

(٢) التفسير ١٢/١٢ .

للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسه ، ومنه قول الراجز  
في صفة قانص :

حتى اذا ما اجتازها تكرسا .

يعنى : علم . ومنه يقال للعلماء الكراسى ، لأنهم المعتمد  
عليهم ، كما يقال أوتاد الأرض ، يعنى بذلك أنهم العلماء  
الذين تصلح بهم الأرض .  
ومنه قول الشاعر :

يَحْتَفُّ بِهِمْ بَيْضُ الْوُجُوهِ وَعِصْبَةُ

كِرَاسِيْ بِالْأَحْدَاثِ حِينَ تَنْوِبُ

يعنى بذلك علماء بحوادث الأمور ونوازلها .

والعرب تسمى أصل كل شيء الكرسي ، يقال منه :  
فلان كريم الكرسي أى كريم الأصل . قال العجاج :  
قد علم القُدْسُوسُ مولى القُدْسِ  
أن أبا العباس أولى لنفسٍ  
بمعْدن الملك الكريم الكرسي<sup>(١)</sup>

هـ — ومنها فى قوله تعالى « ومن يعتصم بالله فقد هدى  
الى صراط مستقيم » . ومن يتعلق بأسباب الله ويتمسك بدينه  
وطاعته فقد وفق الى طريق واضح ومعجزة مستقيمة غير  
معوجة .

---

(١) التفسير ٨/٣ من معانى الكرسي : السرير والعلم  
( القاموس المحيط ) والملك والعلم ( أساس البلاغة ) .

وأصل العصم المنع ، فكل مانع شيئاً فهو عاصمه ،  
والممتنع به معتصم به ، ومنه قول الفرزدق :

أنا ابن العاصمين بنى تميم  
إذا ما أعظمُ الحدثان نابا  
ولذلك قيل للجبل عصام ، وللسبب الذى يتسبب به  
الرجل الى حاجته عصام ، ومنه قول الأعشى :

الى المرء قيس أطيل السرى  
وأخذ من كل حى عِصَمٌ  
يعنى بالعصم الأسباب ، أسباب الذمة والأمان ، يقال منه  
اعتصمت بجبل من فلان ، واعتصمت جلامه ، واعتصمت  
به ، واعتصمته ، وأفصح اللغتين ادخال نباء ، كما قال عز  
وجل « واعتصموا بجبل الله جميعا » .  
وقد جاء اعتصمته ، كما قال الشاعر :

إذا أنت جازيت الاخاء بمثله  
وآسيتنى ثم اعتصمت حباليا<sup>(١)</sup>

٦ — ومنها فى قوله تعالى : « وكنتم على شفا حفرة من  
النار فأنقذكم منها » .

يعنى : وكنتم يا معشر المؤمنين من الأوس والخزرج على  
حرف حفرة من النار ، وانما ذلك مثل لكفرهم الذى كانوا

---

(١) التفسير ١٩/٤ .

عليه قبل أن يهديهم الله للإسلام ، ويصيروا بائناً عليهم عليه  
أخوانا .. وشفا الحفرة طرفها وحرفها ، مثل شفا الرّكيّة  
والبئر .

ومنه قول الراجز :

نحن حفرنا للحجيج سَجَلَه

نابتة فوق شفاهها بقله

يعنى فوق حرفها .

وقال : فأتذكّم منها ، يعنى فأتذكّم من الحفرة ، فرد  
الخبر الى الحفرة ، لأن الشفا من الحفرة ، فجاز ذلك . كما  
قال جرير بن عطية :

رأت مر السنين أخذن منى

كما أخذ السّرار من الهلال

فذكر مر السنين ، ثم رجع الى الخبر عن السنين .

وكما قال العجاج :

طول الليالى أسرع فى تقضى

طَوْنِنَ طُولِي وطوين عرضي<sup>(١)</sup>

٧ — ومنها فى قوله تعالى « وهو الذى يبدأ الخلق ثم

يعيده ، وهو أهون عليه » أى هين عليه .

وقد وجه غير واحد من أهل العربية قول ذى الرمة :

---

(١) التفسير ٢٥/٤ .

أخى قصرات دبَّتْ في عظامه  
شفافات أعجاز الكرى فهو أخضع<sup>(١)</sup>  
إلى أن أخضع بمعنى « خاضع » .  
وقول الآخر :

لعمرك أن الزبرقان لباذل  
لمعروفه عند السنين وأفضل  
كريم له عن كل ذم تأخر  
وفي كل أسباب المكارم أول  
إلى أنه بمعنى فاضل .

وقول معن :  
لعمرك ما أدري واني لأوجل  
على أينما تعدو المنية أول  
إلى أنه بمعنى واني لوجل .  
وقول الآخر :

تمنى مشرئ القيس موتى وإن أمت  
فلك سبيل لست فيها بأوحد  
إلى أنه بمعنى لست فيها بواحد .  
وقول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا  
بيتاً دعائمه أعز وأطول

(١) دبَّتْ شفافات أعجاز الكرى : بقايا أواخر النوم .  
أخضع : منكسر .

الى أنه بمعنى عزيزة طويلة :  
ومنه قولهم في الأذان الله أكبر بمعنى الله كبير (١) .  
٨ — ومنها في قوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من  
محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات » .  
يعنى تعالى ذكره يعمل الجن لسليمان ما يشاء من  
محاريب ، وهى جمع محراب ، والمحراب مقدم كل مسجد  
وبيت ومصلى .

ومنه قول عدى بن زيد :  
كدمى العاج في المحاريب أو كال  
بيض في الروض زهره مستدير  
والجوابى جمع جابية ، وهى الحوض الذى يجبى فيه  
الماء ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس :  
تروح على نادى المحلق جفنة  
كجائية الشيخ العراقى تفهق  
وكما قال آخر :

فصبحت جابية صهارجا

كأنها جلد السماء خارجا (٢)

٩ — ومنها في قوله تعالى « انا خلقناهم من طين لازب »  
انا خلقناهم من طين لاصق ، وانما وصفه جل ثناؤه

---

(١) التفسير ٢٥/٢١ . وفى بيت الأعشى روبة (النسيج)  
خير من ( الشيخ ) .  
(٢) التفسير ٤٩/٢٢ .

باللزوب ، لأنه تراب مخلوط بماء ، والتراب اذا خلط بماء صار طينا لازبا .

والعرب تبدل أحيانا هذه الباء ميماء فتقول طين لازم .  
ومنه قول النجاشي الحارثي :

بنى اللؤم بيتا فاستقر عماده

عليكم بنى النجار ضربة لازم

ومن اللازب قول نابغة بنى ذبيان :

ولا تحسبون الخير لا شر بعده

ولا تحسبون الشر ضربة لازب

وربما أبدلوا الزاي التي في اللازب تاء فيقولون طين

لاطب .

وذكر أن ذلك في قيس ، زعم الفراء أن أبا الجراح

أنشد :

سداع وتوصيم العنلام وفترة

وشغنى مع الاشراق في الجوف لاتب

بمعنى لازم<sup>(١)</sup> .

١٠ — ومنها في تفسير قوله تعالى « في جيدها جبل من

مسد » .

قال : في عنقها ، والعرب تسمى العنق جيذا ، ومنه قول

ذى الرمة :

(١) التفسير ٢٣/٢٨ .

فعيناك عيناها ولونك لونها

وجيدك الا أنها غير عاطل<sup>(١)</sup>

وذكر الآراء المختلفة في معنى مسد ، أهى جبال تكون  
بمكة ، أم جبال من شجر تنبت باليمن ، أم جبل من نار ، أم  
جبل من ليف ، أم سلسلة من حديد ، أم المسد الحديد الذى  
يكون فى البكرة ، أم قلادة من ودع فى عنقها .

ثم قال : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول  
من قال جبل جمع من أنواع مختلفة ، ولذلك اختلف أهل  
التأويل على النحو الذى ذكرنا .

ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك قول الراجز :

ومسد أمر من أياثق

صهنب عتاق ذات مخ زاهق

فجعل امراره من شتى ، وكذلك المسد الذى فى جيد  
امرأة أبى لهب أمر من أشياء شتى ، من ليف وحديد  
ولحاء ، وجعل فى عنقها طوقا كالقلادة من ودع . ومنه قول  
الأعشى :

نمشى فنضرب بابها من دوننا

علقا صريف محالة الأمساد

يعنى بالأمساد جمع مسد وهى الجبال<sup>(٢)</sup> .

---

(١) التفسير ٢٢٠/٣٠

(٢) التفسير ٢٢٠/٣٠



## ٧ - تسجيل القراءات

وقد عرض وجوه القراءات ، ورجح ما ارتضاه ، لأنه كان عالماً بالقراءات مؤلفاً فيها .

١ - من هذا ما ذكره في قوله تعالى :

« ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قرئاًبات عند الله وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم ، سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم . والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم » .

روى عن عمر في ذلك ما حدثنى به أحمد بن يوسف قال : حدثنا القاسم قال : حدثنا حجاج عن هارون عن حبيب ابن الشهيد وعن ابن عامر الأنصارى أن عمر بن الخطاب قرأ « والسابقون الأولون من المهاجرين ، والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان » فرفع الأنصار ولم يلحق الواو في الذين فقال له زيد بن ثابت : « والذين اتبعوهم بإحسان » فرفع الأنصار ، فقال عمر : « الذين اتبعوهم بإحسان » فقال زيد : أمير المؤمنين أعلم . فقال عمر : أئتنى بأبى بن كعب ، فأتاه ، فسأله عن ذلك ، فقال أبى : « والذين اتبعوهم بإحسان » فقال عمر : اذا تابع أيها .

والقراءة على خفض الأنصار عطفاً بهم على المهاجرين .

وقد ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ الأنصار بالرفع عطفا بهم على « السابقون » .  
والقراءة التي لا أستجيز غيرها الخفض في الأنصار ،  
لاجتماع الحجة من القراء عليه ، وأن السابق كان من  
الفريقين جميعا من المهاجرين والأنصار ، وإنما قصد الخبر  
عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع ، والحق  
الواو في « الذين اتبعوهم بإحسان » لأن ذلك كذلك في  
مصحف المسلمين جميعا .

على أن التابعين بإحسان غير المهاجرين والأنصار ، وأما  
السابقون فانهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم في قوله  
« رضى الله عنهم ورضوا عنه » (١) .

٢ — وفي قوله تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى  
من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ،  
فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين » .  
قال : اختلف القراء في قراءة قوله : « أفمن أسس بنيانه »  
فقرأ بعض قراء أهل المدينة « أفمن أسس بنيانه .. أم  
من أسس بنيانه على شفا جرف هار » على وجه ما لم يسم  
فاعله في الفعلين كليهما . وقرأت عامة قراء الحجاز والعراق  
« أفمن أسس بنيانه .. » بالبناء للمعلوم في الفعلين .  
وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارىء

فمصيب ، غير أن قراءته بتوجيه الفعل الى مَنْ اذ كان مَنْ  
المؤسّس أعجب الى . وتأويل الكلام اذا أى هؤلاء الذين  
بنوا المساجد خير : الذين ابتدأوا بناء مسجدهم على اتقاء  
الله ، وأداء فرائضه ، ورضا من الله لبنائهم ، أم الذين ابتدأوا  
بناء مسجدهم على تفاق وضلال ، وعلى غير بصيرة منهم  
بصواب فعلهم من خطئه . وقد مثل هذا بمن يننى على حرف  
رِكيّة لا تلبث السيول أن تهدم بناءه وتشره ، فانتشر الجرف  
الهارى ببيئاته فى نار جهنم (١) .

٣ — وفى قوله تعالى : « قال يا قوم أرايتم ان كنت على  
بينة من ربى ، وآتانى رحمة من عنده ، فعميت عليكم  
أنلزمكموها ، وأتتم لها كارهون » قال : « اختلف القراء  
فى ذلك ، فقراءته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة  
والكوفة « فعميت عليكم » بفتح العين وتخفيف الميم ،  
بمعنى فعميت ، الرحمة عليكم ، فلم تهتدوا لها ، فتقروا بها ،  
وتصدقوا رسولكم عليها .

وقرأ عامة قراء الكوفيين « فعميت عليكم » بضم  
العين وتشديد الميم ، اعتبارا منهم ذلك بقراءة عبد الله ،  
وذلك أنها فيما ذكر فى قراءة عبد الله نعمّاها عليكم .  
وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ  
« فعميت عليكم » بضم العين وتشديد الميم للذى ذكروا من

العلة لمن قرأ به ، ولقربه من قوله : « رأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده » فأضاف الرحمة الى الله ، فكذلك تعميته على الآخرين بالاضافة اليه أولى (١) .

٤ — وفي قوله تعالى « فلما بلغ معه السعى قال : يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى » .

اختلف القراء في قراءة قوله « ماذا ترى » فقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء أهل الكوفة بفتح التاء ، بمعنى أى شيء تأمر ، أو فانظر ما الذى تأمر . وقراء عامة قراء الكوفة « ماذا ترى » بضم التاء ، بمعنى ماذا تشير ، وماذا ترى من صبرك ، أو جزعك من الذبح ؟

والذى هو أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأ ماذا ترى بفتح التاء بمعنى ماذا ترى من رأى . فان قال قائل : أو كان ابراهيم يؤامر ابنه فى المعنى لأمر الله والالتناء الى طاعته ؟ قيل : لم يكن ذلك من مشاورة لابنه فى طاعة الله ، ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم ، هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذى هو عليه فيسر بذلك أم لا ، وهو فى الأحوال كلها ماض لأمر الله (٢) .

٥ — وفي قوله تعالى « ما نزل الملائكة الا بالحق ، وما كانوا اذا منتظرين » ذكر أن عامة قراء المدينة والبصرة

---

(١) التفسير ١٨/١٢

(٢) التفسير ٥٠/٢٣

قرأوا « ما تنزل الملائكة » على أن الفعل مبنى للمعلوم والملائكة فاعل .

وعامة قراء الكوفة قرأوا « ما تنزل الملائكة » على أن الفعل بالنون والملائكة مفعول .

وبعض قراء الكوفة قرأوا « ما تنزل الملائكة » على أن الفعل مبنى للمجهول والملائكة نائب فاعل .  
وعلق بقوله :

قال أبو جعفر : كل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني ، لأن الملائكة اذا أنزلها الله على رسول من رسله تنزلت اليه ، واذا تنزلت اليه فانما تنزل بانزال الله اياها اليه ، وان كنت أحب للقارئ ألا يعدو إحدى القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة ، والأخرى التي عليها جمهور قراء الكوفيين ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في العامة ، والقراءة الثالثة شاذة قليل من قرأ بها (١) .

٦ — وفي قوله تعالى : « وامراته حمالة الحطب » ، في جيدها جبل من مسد « اختلف القراء في قراءة حمالة الحطب ، فقرأ عامة قراء المدينة والكوفة والبصرة حمالة بالرفع ، غير عبد الله بن أبي اسحاق ، فانه قرأ بالنصب فيما ذكر لنا عنه ، واختلف فيه عن عاصم ، فحكى عنه الرفع فيها والنصب ، وكان من رفع ذلك جعله من نعت المرأة ، وجعل الرفع للمرأة ما تقدم من الخبر وهو « سيصلى » .

(١) التفسير ١٤/٦ .

وقد يجوز أن يكون رافعها الصفة ، وذلك قوله « في جيدها » وتكون حمالة نعتا للمرأة . وأما النصب فعلى الذم ، وقد يحتمل أن يكون نصبها على القطع من المرأة لأن المرأة معرفة ، وحمالة الحطب نكرة .  
والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع ، لأنه أفصح الكلامين فيه ، ولاجماع الحجة من القراءة عليه<sup>(١)</sup> .

## ٨ - العناية بالأعراب

وكان يلجأ الى الأعراب ، ويُفصل مذاهب النحاة في كثير من المواضع ، ليجلو المعنى .  
فقال في قوله تعالى :

« قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم » .

اختلف أهل العربية في موضع « مَنْ » في هذا الموضع . فقال بعض نحوي الكوفة : هو في موضع نصب ، لأن المعصوم بخلاف العاصم ، والمرحوم معصوم ، كأن نصبه بمنزلة قوله « ما لهم به من علم الا اتباع الظن » ومن استجاز « اتباع الظن » والرفع في قوله :  
وبلدة ليس بها أنيس .

الا يعافير ولا العيس .

(١) التفسير ٣٠/٢١٩ .

لم يجز له الرفع فى « مَن » لأن الذى قال الا اليعافير ،  
جعل أنيس البر اليعافير ، وما أشبهها ، وكذلك قوله  
« الا اتباع الظن » يقول علمهم ظن ، وأنت لا يجوز لك فى  
وجه أن تقول المعصوم هو عاصم فى حال ، ولكن لو جعلت  
العاصم فى تأويل معصوم لجاز رفع « من » . قال : ولا ينكر  
أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى قوله « من ماء دافق »  
معناه والله أعلم مدفوق ، وقوله « فى عيشة راضية » معناها  
مرضية ، قال الشاعر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها  
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى  
ومعناها المكسو .

وقال بعض نحويى البصرة : « الا من رحم » على لكن  
من رحم ، ويجوز أن يكون على تأويل لا ذا عصمة أى  
لا معصوم ، ويكون « من » على الرفع بدلا من عاصم .  
وعلق الطبرى بقوله :

ولا وجه لهذه الأقوال التى حكينا عن هؤلاء ، لأن كلام  
الله تعالى إنما يوجه الى الأفصح الأشهر من كلام من نزل  
بلسانه ، ما وجد الى ذلك سبيل ، ولم يضطرنا شئ الى أن  
نجعل عاصما فى معنى معصوم ، ولا أن نجعل الا بمعنى  
لكن ، اذ كنا نجد لذلك مخرجا صحيحا ، وهو ما قلنا من أن  
معنى ذلك قال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من  
رحمنا ، فأنجانا من عذابه ، كما يقال ، لا منجى اليوم من

عذاب الله الا الله ، ولا مطعم اليوم من طعام زيد الا زيد ،  
فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم<sup>(١)</sup> .  
ولست أرى حاجة الى مزيد من التمثيل لعنايته بالاعراب

## ٩ — مناقشة الآراء الفقهية

واذ كان الطبرى فقيها دارسا للمذاهب كلها ، وصاحب  
مؤلفات فى الفقه ، ومجتهدا صاحب مذهب اختاره لنفسه ،  
صار من البديهي أن يعرض للآراء الفقهية ويناقشها فى  
مناسباتها من الآيات القرآنية ، وينتهى من المناقشة الى  
ما يستصوبه .

١ — من هذا ما ذكره فى تفسير قوله تعالى :

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ومن كان مريضا  
أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد  
بكم العسر » .

اختلف أهل العلم فى المرض الذى أباح الله معه الإفطار ،  
وأوجب معه عدة من أيام أخر ، فقال بعضهم : هو المرض  
الذى لا يطيق صاحبه معه القيام لصلاته ، وقال بعضهم : هو  
كل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة فى  
علته زيادة غير محتملة .

---

(١) التفسير ٢٨/١٢ .



وعلق بقوله : والصواب عندنا أن المرض الذى أذن الله تعالى بالافطار معه فى شهر رمضان مرض من كان الصوم جاهده جهدا غير محتمل ، فكل من كان كذلك فله الافطار ، وقضاء عدة من أيام آخر .

وذلك أنه اذا بلغ ذلك الأمر ، فان لم يكن مأذونا له فى الافطار فقد كلف عسرا ، ومنع يسرا ، وذلك غير الذى أخبر الله أنه أراد به بخلقه بقوله : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وأما من كان الصوم غير جاهده فهو بمعنى الصحيح الذى يطبق الصوم ، فعليه أداء فرضه .

واختلف أهل العلم فيمن كان مريضا أو على سفر فصام الشهر وهو ممن له الافطار ، أيجزى ذلك من صيام عدة من أيام آخر أو غير مجزية ؟ وهل لمن كان مريضا أو على سفر صيام شهر رمضان ، أم ذلك محذور عليه ، وغير جائز له صومه ، والواجب عليه الافطار فيه حتى يقيم أو يبرأ ؟

ثم أورد آراء العلماء مفصلة ، ملخصها أن بعضهم رأى أن الافطار فى المرض عزيمة من الله واجبة وليس بترخيص ، ولهذا رووا أن عمر أمر رجلا صام فى سفر أن يعيد صومه ، وعلتهم أن الله تعالى فرض بقوله « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » صوم شهر رمضان على من شاهده مقيما غير مسافر ، وجعل على من كان مريضا أو مسافرا صوم عدة من أيام آخر ، غير أيام شهر رمضان ، وكما لا يجوز للمقيم أن يفطر ، ويصوم عدة أيام آخر ، لا يجوز للمسافر الصيام ،

واحتجوا أيضا بحديث روى عن رسول الله « الصائم في السفر كالمنفطر في الحضر » .

وبعضهم رأى أن الإفطار في السفر رخصة من الله تعالى رخصها لعباده ، والفرض الصوم ، فمن صام فرضه أدى ، ومن أفطر فبرخصة الله له أفطر ، وإن صام في سفر فلا قضاء عليه إذا أقام .

واستدل هؤلاء بأن عائشة كانت تصوم ، وأن ابن عمر كان لا يصوم ، واستدلوا بآثار أخرى .  
وعلق على هذا بقوله :

وهذا القول عندنا أولى بالصواب ، لاجتماع الجميع على أن مريضا لو صام شهر رمضان وهو ممن له الإفطار لمرضه فصومه مجزئ عنه ، ولا قضاء عليه إذا برئ من مرضه ، فكان معلوما بذلك أن حكم المسافر حكمه في أنه لا قضاء عليه إن صامه في سفره ، لأن الذي جعل للمسافر من الإفطار ، وأمر به من قضاء عدة من أيام آخر ، مثل الذي جعل من ذلك للمريض أو أمر به من القضاء .

ثم في دلالة الآية كفاية مغنية عن استشهاد شاهد على صحة ذلك بغيرها ، وذلك قوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ولا عسر أعظم من أن يلزم من صامه في سفره عدة من أيام آخر ، وقد تكلف أداء فرضه في أثقل الحالين عليه حتى قضاء وأداه .

فإن ظن ذو غباوة أن الذي صامه لم يكن فرضه

الواجب ، فان في قول الله تعالى ذكره « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ... شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » ما ينبىء أن المكتوب صومه من الشهور على كل مؤمن هو شهر رمضان مسافرا كان أو مقيما . وأما قوله « من كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » فمعناه أن من كان مريضا أو على سفر فأفطر برخصة الله فعليه صوم عدة أيام أخر مكان الأيام التي أفطر في سفره أو مرضه .  
ثم في تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله إذ سئل عن الصوم في السفر : « ان شئت فصم ، وان شئت فأفطر » الكفاية الكافية عن الاستدلال على صحة ما قلنا .

وبعد أن ذكر الطبرى رواية الحديث قال :  
ففى هذا مع نظائره من الأخبار التى يطول باستيعابها الكتاب الدلالة الدالة على صحة ما قلنا من أن الإفطار رخصة لا عزم ، والبيان الواضح على صحة ما قلناه فى تأويل قوله : « من كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .  
فان قال قائل : فان الأخبار بما قلت وان كانت متظاهرة فقد تظاهرت أيضا بقوله « ليس من البر الصيام فى السفر » قيل ان ذلك اذا كان الصيام فى مثل الحال التى قال فيها رسول الله ذلك ، اذ رأى رجلا فى سفره قد ظلل عليه ، وعليه جماعة ، فقال : من هذا ؟ قالوا : صائم . قال : « ليس من البر الصوم فى السفر » . فمن بلغ منه الصوم ما بلغ من الذى

قال له النبي ذلك فليس من البر صومه ، لأن الله تعالى قد حرم على كل أحد تعريض نفسه لما فيه هلاكها ، وله الى نجاتها سبيل .

وانما يطلب البر بما ندب الله اليه ، وحض عليه من الأعمال ، لا بما نهى عنه .

وأما ما روى عن النبي من قوله « الصائم في السفر كالمفطر في الحضر » .

فقد يحتمل أن يكون قيل لمن بلغ منه الصوم ما بلغ من هذا الذي ظلل عليه ، ان كان النبي قد قال ذلك .

وغير جائز أن يضاف الى النبي هذا القول ، لأن الأخبار التي جاءت بذلك واهية الأسانيد ، لا يجوز الاحتجاج بها في الدين (١) .

٢ — وكذلك ناقش الفقهاء في المراد بمسح الرأس في قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ، وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » .

قال : اختلف أهل التأويل في صفة المسح ، فقال بعضهم امسحوا بما بدا لكم أن تمسحوا به من رءوسكم بالماء اذا قمتم الى الصلاة ، كأن يمسح مقدم الرأس الى الوجه ، أو يمسح يافوخه ، أو يمسح شعره ، أو أى جانب من رأسه .

(١) التفسير ٨٧/١ - ٩١ .

وقال آخرون ان المسح لجميع الرأس .  
وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد : لا يجرىء مسح  
الرأس بأقل من ثلاث أصابع .  
وعلق بقوله : والصواب أن الله أمر بالمسح ، ولم يحدد  
حدا لا يجوز التقصير عنه ، ولا مجاوزته ، وإذا كان ذلك  
كذلك فما مسح به المتوضىء رأسه ، فاستحق أن يقال انه  
مسح برأسه فقد أدى ما فرض الله عليه من مسح ذلك ،  
لدخوله فيما لزمه اسم ماسح برأسه اذا قام الى صلاته .  
فان قال قائل : ان الله قد قال في التيمم « فامسحوا  
بوجوهكم وأيديكم » أفيجزىء المسح ببعض الوجه واليدين  
في التيمم ؟

قيل له : كل ماسح به من ذلك في التراب فيما تنازعت  
فيه العلماء . فقال بعضهم يجزيه ذلك من التيمم ، وقال  
بعضهم لا يجزيه ، لما جاءت به الحجة نقلا عن نبيها صلى الله  
عليه وسلم . ولا حجة لأحد علينا في ذلك اذا كان من قولنا  
أن ما جاء في آى الكتاب عاما في معنى فالواجب الحكم به  
على عمومه ، حتى يخصه ما يجب التسليم له ، فاذا خص  
منه شئ كان ما خص منه خارجا من ظاهره ، وحكم سائر  
على العموم . وقد بينا العلة الموجبة صحة القول بذلك في  
غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته هنا (١)

---

(١) التفسير ٧٩/٦ .

٣ - وقد ذهب الى أن المراد مسح الرجلين في الوضوء، لأن الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ، وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » قرئت فيها كلمة الأرجل بالنصب عطفا على كلمة الوجوه ، وقرئت بالجر عطفا على كلمة الرءوس ، والعطف على الرءوس أولى ، لأنها أقرب ، هذا دليل .

وله دليل آخر لا يسلم من تكلف وتمحل ، هو أن المسح بالماء في حقيقته غسل .

قال : اختلف القراء ، فقرأ جماعة من قراء الحجاز والعراق « وأرجلكم » بالنصب على أنه من المؤخر الذي معناه التقديم ، وتكون الأرجل معطوفة على الأيدي فلا بد من غسلها ، واستدلوا بأحاديث وآثار وأعمال الصحابة . وقرأ آخرون من قراء الحجاز والعراق « وأرجلكم » بخفض الأرجل فهي معطوفة على الرءوس ، والمطلوب المسح عليها ، واستدلوا بآثار . وعلق على هذا بقوله :

والصواب عندنا في ذلك أن الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء ، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم ، واذا فعل ذلك بهما المتوضيء كان مستحقا اسم ماسح غاسل ، لأن غسلهما امرار الماء عليهما ، أو اصابتهم بالماء ، ومسحهما امرار اليد أو ما قام مقامها عليهما ، فاذا

فعل ذلك بها فاعل فهو غاسل ماسح . ولذلك نصب بعضهم الأرجل توجيهها منه الى أن الغرض غسلهما ، وانكارا للمسح عليهما ، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله بعموم مسحهما بالماء ، وخفضها بعضهم توجيهها منه الى أن الغرض مسح الأرجل .

ولما قلنا في تأويل ذلك انه معنى به عموم مسح الرجلين بالماء كره بعضهم للمتوضيء الاجتزاء بادخال رجليه في الماء دون مسحهما بيده أو بما قام مقامها ، توجيهها منه الى أن المراد مسح الرجلين جميعهما الى الكعبين دون بعضها مع غسلهما بالماء .

فالمراد بالمسح اذا العموم ، وفي هذا معنى الغسل والمسح ، وعلى هذا فالقراءتان صحيحتان .

ولكن أعجب القراءتين الى "قراءة من قرأ ذلك خفضا ، لما وصفت من جمع المسح المعنيين اللذين وصفت ، ولأنه بعد قوله : « وامسحوا برءوسكم » فالعطف على الرءوس مع قربه منه أولى من العطف على الأيدي ، وقد فصل بين الأيدي والأرجل بجملته « وامسحوا برءوسكم » .

فان قال قائل : ما الدليل على أن المراد بالمسح في الرجلين العموم دون أن يكون خصوصا نظير قولك في المسح بالرأس ؟

قيل : الدليل تظاهر الأخبار عن رسول الله أنه قال « ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار » ولو كان مسح

بعض القدم مجزيا عن عمومها بذلك لما كان لها الويل بترك ما ترك مسحه منها بالماء بعد أن يمسح بعضها ، لأن من أدى فرض الله عليه فيما لزمه غسله منها لم يستحق الويل ، بل يجب أن يكون له الثواب الجزيل ، فوجوب الويل لعقب من ترك غسل عقبه عند وضوئه ، أوضح الدليل على وجوب فرض العموم بمسح جميع القدم بالماء ، وصحة ما قلنا في ذلك ، وفساد ما خالفه .

ثم ناقش الطبرى ما روى أن رسول الله توطأ ، ومسح على نعليه فقال : ان الخير ليس فيه ما يدل على أن النبى توطأ بعد حدث يوجب الوضوء للصلاة ، فالمسح على النعلين أو القدمين جائز في هذه الحالة ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك اذا توطأ لغير حدث (١) .

٤ — ومن هذه الآراء الفقهية أنه جزم بأن المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الأول الا اذا عقد عليها رجل آخر ، ثم واقعها ثم طلقها .

قال فى تفسير قوله تعالى :

« فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » .

أى النكاحين عنى الله بقوله « حتى تنكح زوجا غيره » الجماع ؟ أم العقد ؟ المراد كلاهما ، لأن المرأة اذا نكحت

---

(١) التفسير ٨١/٦ .



زوجا نكاح تزويج ثم لم يظأها ، ولم يجامعها حتى يطلقها  
لم تحل للأول . وكذلك ان وطئها واطىء بغير عقد لم تحل  
للأول ، لاجتماع الأمة جميعا .

فاذا كان ذلك كذلك ، فالمعنى أنها لا تحل لزوجها  
الأول حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا ، ثم يجامعها  
فيه ، ثم يطلقها . ثم أورد أحاديث تؤيد هذا التأويل ، منها  
أن رسول الله سئل عن رجل طلق امرأته ، فتزوجت رجلا  
غيره ، فدخل بها ، ثم طلقها قبل أن يواقعها ، أتحل لزوجها  
الأول؟ فقال رسول الله : لا تحل لزوجها الأول حتى يذوق  
الآخر عسینلتها ، وتذوق عسینلته (١)

## ١٠ — تصويب رأى السلف

وكان أحيانا يعرض آراء المتكلمين ، ويسميهـم أهل  
الجدل ، ويناقشها ، ويصوب الرأى السلفى الذى يدين به .  
١ — من هذا أنه استبعد رأى المعتزلة فى أن المراد بيد  
الله نعمته أو ملكه أو قوته ، وصوب أن المراد باليد صفة من  
صفاته ، لكنها ليست بجارحة كجوارح البشر .

ذكر فى قوله تعالى :

« وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا  
بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء »

---

(١) التفسير ٢/ ٢٩٠ .

يعنون أن خير الله ممسك وعطاءه محبوب من عن الاتساع  
عليهم ، كما قال تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك  
ولا تبسطها كل البسط » وانما وصف تعالى اليد بذلك  
والمعنى العطاء ، لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب أن  
يكون بأيديهم ، فجرى الاستعمال في الوصف بالجلود أو  
بالبحل بالاضافة الى اليد . كما قال الأعشى في المدح :  
يداه يدا مجد فكف مفيدة

وكف اذا ما ضنّ بالزاد تنفق

ومثل ذلك في كلام العرب وأشعارها أكثر من أن يحصى ،  
فخطبهم الله بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم في كلامهم ،  
فقال ان اليهود قالوا ان الله يبخل علينا ، ويمنعنا فضله ،  
فلا يفضل ، كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ،  
ولا بذل معروف . تعالى الله عما قال أعداء الله .

فقال الله يكذبهم ويخبرهم بسخطه عليهم « غلت أيديهم »  
أي أمسكت أيديهم عن الخيرات ، وقبضت عن الانبساط  
بالعطيات ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان بالبدل  
والعطاء ، وأرزاق العباد .

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

وبعد أن ذكر آراءهم المتفقة مع هذا التأويل شرع يناقش  
المتكلمين فقال : واختلف أهل الجدل في تأويل قوله « بل  
يداه مبسوطتان » قال بعضهم : عنى بذلك نعمته مبسوطتان ،

بمعنى يد الله على خلقه ونعمه عليهم ، لأن العرب تقول الك عندى يد ، يعنون بذلك نعمة .

وقال آخرون من أهل الجدل : عنى بذلك القوة ، نظير قوله تعالى « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدي » .

وقال آخرون منهم : بل يده ملكه ، ومعنى قول اليهود « يد الله مغلولة » ملكه وخزائنه ، كقول العرب للملوك ، هو ملك يمينه ، وفلان بيده عقدة نكاح فلانة ، أى يملك ذلك ، وكقوله تعالى « فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » .

وقال آخرون منهم : يد الله صفة من صفاته ، هى يد ، غير أنها ليست بجارحة كجوارح بنى آدم ، لأن الله تعالى أخبر من خصوصية آدم بما خصه به من خلقه اياه بيده ، والا لم يكن مخصصيته آدم بذلك وجه مفهوم ، اذ كان جميع خلقه مخلوقين بقدرته ومشئته ، وهو لجميعهم مالك ، واذ خص آدم بأنه خلقه بيده ، دون غيره من عباد الله ، كان معلوما أنه انما خصه لمعنى فارق غيره من سائر الخلق .

وبهذا يبطل تفسير اليد بالقوة والنعمة والملك فى هذا الموضع ، ولو أن المراد باليد النعمة لكان الرد عليهم بل يده مبسوفة ، ولم يقل بل يدها مبسوفتان ، لأن نعمة الله لا تحصى بكثرة ، وبذلك جاء التنزيل فى قوله تعالى :

« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » . قالوا : ولو كانت نعمتين كانتا محصاتين . وقالوا : فان ظن ظان أن النعمتين

بمعنى النعم الكثيرة فذلك خطأ ، لأن العرب قد تخرج الجميع بلفظ الواحد ، كقوله تعالى « والعصر ان الانسان لفى خسر » وقوله « وكان الكافر على ربه ظهيرا » فلم يرد بالانسان والكافر انسانا بعينه ولا كافرا بعينه ، بل عنى به جميع الانس ، وجميع الكفار ، ولكن الواحد أدى عن جنسه ، كما تقول العرب ، ما أكثر الدرهم فى أيدي الناس . فأما اذا ثنى الاسم فلا يؤدى الا عن اثنين بأعيانهما دون الجميع ، قالوا : وخطأ فى كلام العرب أن يقال ما أكثر الدرهمين فى أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم فى أيديهم ، وبهذا تبين خطأ من قال : اليد النعمة ، وصحة من قال : انها صفة لله .

ولم يعترض الطبرى على هذا الرأى، الأخير بشىء (١) ، بل هو يؤيد ما ذكره أولا .

٢ - وكذلك صوب رأى السلف فى رؤية الله يوم القيامة ، ورد على المعتزلة الذين أنكروا هذه الرؤية (٢) .

(١) التفسير ١٩٣/٦ .

(٢) التفسير ١٩٩/٧ - ٢٠٣ .

## ١١ - الأدلة برأيه

كثيرا ما أعلن رأيه ، فرفض رأيا ، ورجح رأيا ، مدلا على أسباب الرفض والترجيح ، معللا لتصويب ما ذهب اليه .  
١ - من أمثلة الرفض أنه استبعد رأيا لمجاهد مع ثقته به ووصف رأيه بأنه فاسد ، ومخالف للاجماع .

قال في تفسير قوله تعالى :

« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » .

ولقد عرفتكم الذين تجاوزوا حدى ، وركبوا ما نهيتهم عنه في يوم السبت ، وعصوا أمرى ، فمسختهم قردة بمعصيتهم .

وذكر عن ابن عباس أن الله حرم عليهم في يوم السبت ما أحل لهم في غيره ، من صيد الحيتان وأكلها ، فكانت تقبل يوم السبت الى ساحل بحرهم ، فاذا انتهى السبت مضت ، فاجترأ بعضهم على صيدها يوم السبت ، فمسخهم الله قردة ، الا الذين كانوا ينهاون عن سوء .

وكذلك عن قتادة والسدى :

ثم ذكر عن مجاهد أن الله لم يمسخهم ، انما هو مثل ضربه الله لهم ، كما ضرب مثل الحمار يحمل أسفارا .

وعلق على رأى مجاهد بقوله : هذا القول مخالف الظاهر ما دل عليه كتاب الله ، وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه

جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، كما أخبر أنهم قالوا لنبيهم أرنا الله جهرة ، وأن الله أصعقهم عند مسألتهم ذلك ، وأنهم عبدوا العجل ، فجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وأنهم أمروا بدخول الأرض المقدسة ، فقالوا لنبيهم « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » .

فابتلاهم بالتيه .

ومن ذكر شيئا من ذلك وأقر بآخر سئل البرهان على قوله ، وعورض فيما أنكر من ذلك بما أقر به ، ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو أثر صحيح .

هذا مع خلاف قول مجاهد لقول جميع الحجة<sup>(١)</sup> التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه ، وكفى دليلا على فساد قول مجاهد اجماعها على تخطئته<sup>(٢)</sup> .

والحق أن رأى مجاهد جدير بالاعتبار لا بالانكار ، وقد فسر الزمخشري الآية بأنهم جمعوا بين الصغار والطرء من رحمة الله . وهذا هو المفهوم من الآية ، وكان على الطبرى ألا ينكره ويحمل على من ذهب إليه .

٢ — ومن الترجيح ما ذكره في قوله تعالى :

« كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله  
الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، فما استقاموا لكم

---

(١) يريد بجميع الحجة أصحاب الحجة والأدلة .

(٢) التفسير ١/ ٣٦٤ .

فاستقيموا لهم ، ان الله يحب المتقين . كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا لولا ذمة ، يرضونكم بأفواههم ، وتأبى قلوبهم ، وأكثرهم فاسقون .

فقد ذكر اختلاف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله : « الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » أهم قوم من جذيمة من الديل أم من جذيمة بكر من كنانة أم من قبائل بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية الى المدة التي كانت بين رسول الله وقريش ، فلم ينقضها الا هذا الحي من تريش وبنو الديل من بكر ، أم هم قريش ، أم هم قوم من خزاعة ؟ ثم علق على هذا بقوله :

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال : هم بعض بنى بكر من كنانة ، ممن كان أقام على عهده ، ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش يوم الحديبية من العهد مع قريش حين نقضوه بمعوثتهم حلفاءهم من بنى الديل على حلفاء رسول الله من خزاعة .

وانما قلت هذا القول أولى الأقوال بالصواب ، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين باتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام ما استقاموا على عهدهم . وقد بينا أن هذه الآيات انما نادى بها على في سنة تسع من الهجرة ، وذلك بعد فتح مكة بسنة ، فلم يكن يمكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر

يومئذ بينه وبين رسول الله عهد، فيؤمر بالوفاء له بعهده .  
ما استقام على عهده ، لأن من كان منهم من ساكنى مكة كان  
قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات .

ثم ذكر خلاف المفسرين في معنى الالّ أهو الله أم القرابة  
أم الحلف والعهد ؟

ثم علق بقوله :

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب أن الالّ  
يشتمل على معان ثلاثة : وهى العهد والعقد والحلف ،  
والقرابة ، والله .

فاذا كانت الكلمة تشمل هذه المعانى الثلاثة ، ولم يكن  
الله خص من ذلك معنى دون معنى ، فالصواب أن يعم ذلك  
معانيها الثلاثة ، فيقال : لا يرقبون في مؤمن الله ولا قرابة  
ولا ميثاقا .

ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة قول بن مقبل :  
أفسد الناس خُلف خلفوا

قطعوا الالّ وأعراق الرحم

بمعنى قطعوا القرابة .

وقول حسان بن ثابت :

لعمرك ان لك من قریش

كالّ السّقب من رأل النعام

وأما معناه اذا كان بمعنى العهد فقول القائل :



وجسدناهم كاذبا لهم

وذو الال والعهد لا يكذب<sup>(١)</sup>

٣ — وفى قوله تعالى : « وفديناه بذبح عظيم » .

ذكر الخلاف متصلا فى أيهما الذبيح اسحاق أم اسماعيل ؟

ثم عقب بقوله :

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب قول من قال هو اسحاق ، لأن الله قال : « وفديناه بذبح عظيم » فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذى بشر به ابراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين ، فقال : « رب هب لى من الصالحين » .

فإذا كان المفدى بالذبح من ابنه هو المبشر به ، وكان الله تبارك اسمه قد بين فى كتابه أن الذى بشر به هو اسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ، فقال جل ثناؤه : « وبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » وكان فى كل موضع من القرآن ذكر تبشيريه اياه بولد ، فانما هو معنى به اسحاق ، كان بينا أن تبشيريه اياه بقوله « فبشرناه بغلام حليم » فى هذا الموضع نحو سائر أخباره فى غيره من آيات القرآن . وبعد ، فان الله أخبر جل ثناؤه فى هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم ، عن مسأله اياه أن يهب له من الصالحين ، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك الا فى حال لم يكن له

---

(١) التفسير ٥٩/١٠ . السقب : ولد الناقة . الرال : ولد النعام .

فيه ولد من الصالحين ، فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر فيه سائر القرآن ، أنه بشره به ، وذلك لا شك أنه اسحاق ، اذ كان المفدى هو المبشر به . وأما الذي اعتل به من أعتل في آية اسماعيل أن الله قد كان وعد ابراهيم أن يكون له من اسحاق ابن ابن فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي تقدم ، فان الله انما أمره بذبحه ، بعد أن بلغ معه السعى ، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد كان ولِدَ لاسحاق منها أولاد فكيف الواحد؟. وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدى من ولد ابراهيم بقوله : « وبشرناه باسحاق نبيا » ولو كان المفدى هو اسحاق لم ييشر به بعد ، وقد ولد وبلغ معه السعى ، فان البشارة بنبوة اسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار وجاءت ابراهيم واسحاق بعد أن فُدى تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح . وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام الى مكة . وقد روى عن جماعة من أهل العلم أن ابراهيم انما أمر بذبح ابنه اسحاق بالشام وبها أراد ذبحه (١) .

٤ — وفي قوله تعالى :

« فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم » .

(١) التفسير ٤٨/٢٣ — ٥٥ .

ذكر رأيين :

أولهما أن النبي دعا على قريش بسنين كسنى يوسف ،  
فجهدوا وجاعوا ، وكانوا يرفعون أبصارهم الى السماء ،  
فلا يرون الا الدخان ، ومن القائلين بهذا ابن مسعود .

ثانيهما : أن الدخان علامة من علامات القيامة يملأ  
ما بين المشرق والمغرب . ومن رواه حذيفة بن اليمان عن  
رسول الله ( حدثني عاصم بن رواد بن الجراح قال :  
حدثني أبي قال : حدثنا سفيان بن سعيد الثوري قال :  
حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال : سمعت  
حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله ..

وعقب الطبرى على هذا بقوله : وأولى القولين في ذلك  
ما روى عن ابن مسعود ، ان لم يكن خبر حذيفة صحيحا .  
وان كان صحيحا فرسول الله أعلم بما أنزل الله عليه ، وليس  
لأحد مع قوله الذى يصح عنه قول .

وانما لم أشهد له بالصحة ، لأن محمد بن خلف  
العسقلاني حدثني أنه سأل روادا عن هذا الحديث هل  
سمعه من سفيان ؟ فقال له : لا . فقال له : فقرأته عليه ؟  
قال : لا . فقال له : فقرئ عليه وأنت حاضر فآقر به ؟ فقال :  
لا . فقال له : فمن أين جئت به ؟ قال : جاءني به قوم فعرضوه  
عليّ وقالوا لى اسمعه منا ، فقرأوه على ، ثم ذهبوا ، فحدثوا  
به عنى . وانما قلت ان قول ابن مسعود أولى بتأويل الآية ،  
لأن الله جل ثناؤه توعد بالدخان مشركى قريش ، ولأن قوله

لنبيه ، « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » في سياق خطاب الله كفار قريش ، وتقريعه إياهم بشركهم في قوله : « لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين . بل هم في شك يلعبون ، فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » وهذا أمر له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه ، وتهديد للمشركين ، فهو أشبه بوعيد لهم من أن يكون وعيدا مؤخرا لغيرهم (١) .

هـ — وما جاء في قوله تعالى « ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم . سنُعَذِّبُهُمْ مُرَّتَيْنِ ، ثم يردون إلى عذاب عظيم » . قال في تفسيرها : سنُعَذِّبُ هؤلاء المنافقين مرتين ، أحدهما في الدنيا والأخرى في القبر . ثم ذكر اختلاف أهل التأويل في المراد بعذاب الدنيا ، أهو فضيحتهم وتبيين سرائرهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أم هو الجوع والقتل ؟ أم هو مصائبهم في أموالهم وأولادهم ؟ أم هو الحدود ؟ أم أخذ الزكاة منهم ؟ أم غيظهم من عزة الإسلام ؟ ثم قال : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندى أن يقال إن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين ، ولم يضع لنا دليلا تتوصل به إلى علم صفة ذنك العذابين ، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين

---

(١) التفسير ٢٤/٦٨ .

ما أنبئنا عنهم ، وليس عندنا علم بأى ذلك هو المراد . على أن فى قوله جل ثناؤه « ثم يردون الى عذاب عظيم » دلالة على أن العذاب فى المرتين كليهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من احدى المرتين أنها فى القبر (١) :

## ١٢ - التنايل من الأساطير

قلل من ذكر الاسرائيليات والنصرانيات والأساطير ، لأنها كما ذكر مرات لا قيمة لها .

١ - كما قال فى المائدة التى نزلت على عيسى ، وهل كان عليها طعام ، أو لم يكن عليها طعام (٢) .

٢ - وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة يوسف « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » أما الدراهم المعدودة فانه يعنى عز وجل أنهم باعوه بدراهم غير موزونة ناقصة غير وافية لزهدهم فيه .

وقيل انما قيل معدودة ليعلم بذلك أنها كانت أقل من الأربعين ، لأنهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهما ، لأن أقل أوزانهم وأصغرها كان الأوقية ، وكان وزنها أربعين درهما ، فدل بقوله معدودة على قلة الدراهم التى باعوه بها .

(١) التفسير ٩/١١

(٢) التفسير ٨٢/٧

قال بعضهم : كان عشرين درهما :  
وقال بعضهم : كان « اثنين وعشرين درهما » أخذ كل  
واحد من اخوة يوسف وهم أحد عشر رجلا درهمين منها .  
وقال آخرون : بل كانت أربعين درهما .  
ثم علق بقوله :

والصواب أن يقال : ان الله أخبر أنهم باعوه بدرهم  
معدودة غير موزونة ، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ،  
ولا وضع عليه دلالة في كتاب ، ولا خبر من الرسول . وقد  
يحتمل أن يكون الثمن عشرين ، ويحتمل أن يكون اثنين  
وعشرين ، ويحتمل أن يكون أربعين ، ويحتمل أن يكون  
أقل من ذلك وأكثر ، وأى ذلك كان فانها كانت معدودة غير  
موزونة ، وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقح في  
دين ، ولا في الجهل به دخول ضرر فيه ، والايمان بظاهر  
التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه (١) .

٣ — وقال في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة :

« فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ويريكهم  
آياته لعلكم تعقلون » اختلف العلماء في البعض الذي ضرب  
به القتيل من البقرة ، وأى عضو كان ذلك منها ؟  
فقال بعضهم : انه الفخذ ، وقال بعضهم : انه البضعة  
التي بين الكتفين ، وقال غيرهم انه عظم من عظامها .

وعلق بقوله : والصواب أن الله أمرهم أن يضربوا  
القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب ، ولا دلالة في الآية  
ولا خبر تقوم به حجة على أى أبعاضها أمر القوم أن يضربوا  
القتيل به .

ولا يضر الجهل بأى ذلك ضربوا القتل ، ولا ينفع العلم  
به ، مع الاقرار بأن القوم قد ضربوا القتل ببعض البقرة  
بعد ذبحها ، فأحياء الله (١) .

## قيمت

لعله قد تبين من مصادره ومن منهجه أنه السجل الجامع  
الأمين لما روى عن النبي وعن الصحابة والتابعين من آراء  
في التفسير . وهو بهذه الصبغة ينفرد بين كتب المفسرين ،  
وينهض وحده بأسعاف الباحثين اذا ما أرادوا التعرف على  
آراء السلف . وهو الى هذا حافل بآراء في اللغة والفقه  
والتاريخ والنحو والقراءات ، وثرى بأشعار من الجاهلية  
والاسلام .

ومن الانصاف للطبرى العظيم أن نشهد له بأنه لم يكن  
مسجل آراء وأسانيد فحسب ، بل كان يشفع بهذا التسجيل  
رأيه ، ويدلل عليه ، فكان يرفض ، ويعلل لرفضه ، وكان  
يرجح ويدلل على ترجيحه ، وكان يؤيد ويبرهن على تأييده .

(١) التفسير ٢٨٦/١ .

واذا كان منهجه في كتاب التاريخ قد اتسم بالتسجيل  
المحايد ، فإن منهجه في كتاب التفسير قد اتسم بالتسجيل  
والتعليق . وابداء الرأي .  
لهذا عرف القدماء قدره ، وعظموا مكانته .

### مكانته

قال تلميذه أبو بكر أحمد بن كامل : قرأ الطبرى تفسيره  
علينا سنة ٢٧٠ ، واشتهر الكتاب ، وارتفع ذكره ، في وقت  
كان يحيا فيه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو العباس  
محمد بن يزيد المبرد ، وهما معقلان لأهل الاعراب والمعاني .  
وكان يحيا في ذلك الوقت غيرهما مثل أبى جعفر  
الرستمي ، وأبى حسن بن كيسان ، والمفضل بن سلمه ،  
والجعد ، وأبى اسحاق الزجاج ، وغيرهم من النحويين  
وفرسان هذا اللسان .

وقد حمل كتاب التفسير شرقا وغربا ، وقرأه كل من  
كان في وقته من العلماء ، وكل فضله وقدمه (١) .  
وقال القفطى : لم ير أكبر من تفسير الطبرى ، ولا أكثر  
فوائد (٢) .

وقال السيوطى : كتاب الطبرى في التفسير أجل التفاسير  
وأعظمها ، فانه يتعرض لتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها

(١) معجم الأدباء ١٨/٦٢ .

(٢) انباه الرواة ٣/٨٩ .



على بعض ، وللاعراب ، وللاستنباط ، فهو يفوق بذلك  
تفاسير الأقدمين (١)

وقال أيضا : ان الطبرى رأس المفسرين على الإطلاق ،  
وانه جمع فى تفسيره بين الرواية والدراية ، ولم يشاركه فى  
ذلك أحد قبله ولا بعده (٢)

وهكذا يشيد به كل من أرخوا للطبرى من تلاميذه  
ومن غيرهم على تعاقب الأعصار ، وتباعد الأزمان ، وتعدد  
الأقاليم .

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن .

(٢) طبقات المفسرين ٣٠ .

## الفصل الثامن

### الطبرى المؤرخ

« تاريخ الأمم والملوك »

### تطور المنهج التاريخي

كان التاريخ قبيل الطبرى وفي عصر الطبرى قد خطا خطوتين واسعتين في ميدان تطوره :

أولاهما هي استقلاله وانفصاله من الحديث في القرن الثانى ، منذ تخصص كثير من المؤرخين في موضوعات معينة ، اشتهروا بمعرفتها ، وجمعها ، وتدوينها . فمحمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ يشتهر بالأنساب ، وعوانة بن الحكم الكلبي المتوفى سنة ١٤٧ يدون أخبار بنى أمية ، وأبو مخنف لوط بن يحيى المتوفى سنة ١٥٧ يؤلف في حرب الردة وفي موقعة الجمل وفتوح الشام ومقتل عثمان ومقتل على الخ ، وسيف ابن عمر المتوفى سنة ١٧٠ يؤلف في الفتوح ، وهشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ يدون أخبار الأوائل وأيام العرب ، وأنسابهم ، وأصنامهم ، ويؤلف في بعض أخبار الاسلام .

وكان بعضهم قد تخصص في تواريخ الأقاليم ، فكان أبو مخنف أعلم من غيره بأمور العراق وأخبارها وفتوحها ،

وكان المدائني أعرف بأمور فارس وخراسان والهند ، وكان الواقدي أدري بالسيرة النبوية وتاريخ الحجاز ، وهؤلاء الثلاثة أكثر من غيرهم علما بفتوح الشام <sup>(١)</sup> . ثم اتضح هذا التخصص حينما انقسمت الدولة العباسية منذ منتصف القرن الثالث ، وتعددت الممالك والامارات والدويلات ، وكثرت العواصم والحواضر التي نافست بغداد ، فازدانت بالعلماء أصفهان وغزنة والرقي وبكئخ وحلب والقاهرة والقيروان وقرطبة .

وكان من أثر هذا الاستقلال أن ازدهر التاريخ الاقليمي ، وأن كثرت كتب التراجم والطبقات .

فابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ ألف في فتوح مصر والمغرب ، والبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ ألف في أنساب الأشراف وفي فتوح البلدان ، وابن يونس ( ٢٨١ — ٣٤٧ ) أرخ لحوادث مصر ورجالها ومن طرأ عليها من الغرباء ، والكندي ( ٢٨٣ — ٣٥٠ ) ألف كتابا في ولاية مصر وقضاها ، وكتابا في خططها ، وكتابا في موالها <sup>(٢)</sup> .

على أن التأليف في التاريخ العام لم يتوقف عن مساهمة هذه الاتجاهات ، فابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ ألف كتابه المعارف وغيره .

(١) الفهرست ١٣٧ وتاريخ بغداد ٤٥/١٤ ووفيات الأعيان ١٤٠/٢ و ١٩٥ .

(٢) نم أرخ الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ لبغداد وأعلامها ، وأرخ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ لدمشق ورجالها .

وهناك آخرون دونوا تاريخ العالم منذ الخليفة ،  
وتعرضوا لتاريخ الشعوب ، وبخاصة الفرس والروم ،  
كاليعقوبى المتوفى سنة ٢٧٨ ( أو ٢٨٤ ) صاحب التاريخ  
المعروف باسمه ، والدينورى المتوفى سنة ٢٩٠ مؤلف الأخبار  
الطوال .

وأما الخطوة الأخرى فقد كانت تمثل المكانة العالية  
للتاريخ والمؤرخين ، اذ تعددت مصادره الموثوق بها فى القرن  
الثالث ، فصار لا يعتمد على الأساطير والأخبار التى  
لا ضابط لها <sup>(١)</sup> ، بل يعتمد على كتب مدونة فى السيرة

---

(١) كان كثير من الأخبار القديمة وليد الوضع والاختلاق ،  
وكان مما دونه الوعاظ وأذاعوه باطلا لا أصل له ، نمقه خيالهم ،  
أو سمعوه من أهل الكتاب . وهذا هو السبب فى قول الامام  
أحمد بن حنبل : ثلاثة لا أصل لها : التفسير والملاحم والمغازى  
( الاتقان للسيوطى ٢/٢٢٠ ) وهو يريد التفسير المحشـو  
بالأساطير ، والتفسير المعتمد على رأى . ومن هنا ضعف علماء  
الحديث من يشتهر بالأخبار من المحدثين مثل محمد بن اسحاق ،  
فقد كان محدثا ثم أخباريا ينقل عن اليهود والنصارى ويسميهم  
أهل العلم الأول .

كذلك لم يرتضوا من الفقيه أن يشتهر بالأخبار ، فقد ذكر  
ابن خلكان أن أبا يوسف كان يحفظ المغازى وأيام العرب ، وأنه  
مضى ليستمع لابن اسحاق أو غيره ، وتخلف عن مجلس أبى  
حنيفة ، فلما أتاه قال له أبو حنيفة : يا أبا يوسف ، من كان  
صاحب راية جالوت ؟ فقال أبو يوسف : انك امام ، وإن لم  
تمسك عن هذا سألتك والله على رموس الملائكة : أيهما كان أولا  
وقعة بدر أم وقعة أحد ؟ فانك لاتدرى أيهما كانت قبل الأخرى .  
فأمسك عنه أبو حنيفة ( وفيات الأعيان ٢/٤٥٢ ) .

وتاريخ الأقاليم والتاريخ العام ، وعلى وثائق وسجلات ،  
وعلى كتب مترجمة من اللغات الأجنبية إلى جانب اعتماده على  
المشاهدة والمشاركة والرحلات .

ولم يعد المؤرخ يسمى أخباريا ، كما كان يسمى من قبل ،  
واقصر مدلول الأخبارى على راوى القصص وال نوادر  
والحكايات .

وبهذا صار التاريخ علما قيما لا يستكف العلماء والفقهاء  
من التوفر على دراسته ، ولا يتحامون التألف فيه ، وأصبح  
المؤرخون ذوى مكانة عالية بين العلماء .

## موضوع الكتاب

ينبىء اسم الكتاب عن موضوعه ، سواء أكان اسمه  
( تاريخ الأمم والملوك ) كما نجد على النسخة المطبوعة <sup>(١)</sup> ،

---

(١) طبع فى ليدن من سنة ١٨٧٩ الى ١٨٩٨ فى ٢٨ مجلدا  
بتحقيق الأستاذ دى غويه ومستشرقين آخرين مع مقدمه  
باللاتينية وفهارس بالعربية وتعليقات فى جزأين .  
وطبع مرة أخرى فى ليدن انتهت سنة ١٩٠١ .  
وطبع بمصر بالمطبعة الحسينية سنة ١٣٣٩ ( ١٩٢٠ ) .  
وطبع مرة ثانية بمصر بمطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٨ ( ١٩٣٩ )  
ويطبع الآن بدار المعارف بمصر بتحقيق الأستاذ محمد  
أبو الفضل ابراهيم :

أم (تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء) كما ذكر ياقوت<sup>(١)</sup>  
ونستطيع أن نقسم الكتاب قسمين كبيرين :  
القسم الأول يتناول ما قبل الاسلام .  
والقسم الثاني يتناول ما بعد الاسلام .

— ١ —

أما القسم الأول فقد تناول فيه بدء الخليقة ، فتكلم  
عن الزمان ما هو ؟ وكم سنة مضت منذ بدء الخليقة ؟ ومتى  
تنتهى ؟

وذكر ابليس وما قيل في حقيقته ، ومكائنه قبل خلق  
آدم ، ثم عصيانه واستكباره أن يسجد لآدم ، وطرده من  
رحمة الله .

وعقب على هذا بالكلام عن آدم ، وامتحان الله إياه بأن  
أباح له ولزوجته أن يأكلا من الجنة ما أرادا غير ثمر شجرة  
واحدة ، فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما أن يأكلا  
ما نهاهما ربهما عنه ، فبدا لهما من سوء آتئهما ما كان خافيا  
عليهما ، فطردهما ربهما من الجنة الى الأرض .

وأورد هنا عدة روايات في أن آدم هبط الى الهند ،  
وروايات أخرى في أنه هبط بسرنديب ، وهبطت حواء بجدة ،

---

(١) معجم البلدان ٤٤/١٨ وذكر أنه وجد اسم الكتاب  
كذلك على جزء من كتاب التفسير للطبرى بخط الفرغانى ،  
وهو ممن درسوا على الطبرى .

ونزل ابليس بميسان ، وأوت الحية الى أصبهان . ثم عرض للأحداث التي كانت في الزمن الذي قضاه آدم على الأرض ، وأولها قتل قابيل أخاه هابيل ، لاختلافهما على الأخت التي يتزوجها كل منهما ، ولم يفته أن يذكر هنا رواية أخرى تقول ان أحدهما كان صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، وانهما أمرا بتقريب قربان ، فقتل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر .

كذلك لم يفته أن يذكر أن القاتل والقتيل في رواية أخرى كانا من بنى اسرائيل ، ولم يكونا ابني آدم من صلبه . وبعد أن أطلال في أمور تتصل بآدم ، فصل القول في موته . وفي سببه حينما مات .

وذكر بعد ذلك الأحداث التي كانت في أيام أبناء آدم منذ ملك ابنه شيث .

وعرض في هذا القسم للأنبياء نوح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق وإيوب وشعيب ويعقوب ويوسف وموسى وإلياس وداود وسليمان وهود وصالح ويونس وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

وأما الأمم التي أرخ لها فهم الفرس والروم والعرب واليهود ، فذكر تاريخ الفرس منذ زمن قديم ، وفصل المقال في منوشهر ومن بعده الى كيقباد ، وكيقاوس ، وكبخسرو ، ولهراسب ، وبختنصر <sup>(١)</sup> ، وتحدث عن غزوة بختنصر

(١) قال في ٢٩١/١ أن بختنصر هو نبوخذ نصر .

لبنى اسرائيل ، ثم تحدث عن بشتاسب وما كان في عهده ،  
وعن أردشير بهمن ، ودارا الأكبر ، وابنه دارا الأصغر ،  
وهزيمة الاسكندر له . وعن أردشير بن بابك ، وسابور ،  
وهرمز ، وبهرام ابنه ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام الملقب  
بشاهنشاه ، ونرسی بن بهرام ، وهرمز بن نرسی ، وسابور  
ذی الأكتاف ، وأردشير بن هرمز ، وسابور بن سابور  
ذی الأكتاف ، وبهرام بن سابور ، ويزدجرد بن بهرام ،  
وبهرام جور ، ويزدجرد بن بهرام جور ، وفيروز بن يزدجرد ،  
وقباد بن فيروز ، وكسرى أنوشروان ، وهرمز ابنه ، وكسرى  
أبرويز ، وهو الذي حدثت في زمنه موقعة ذی قار .

ثم تلاه ملوك آخرون الى يزدجرد بن شهريار بن كسرى ،  
وهو الذي فتح العرب بلاد الفرس في زمنه .

وتحدث عن أنبياء بنی اسرائيل ، وعن قصة الخضر  
مع موسى ، وعن هارون ، وعن رؤساء بنی اسرائيل بعد  
يوشع بن نون ، وعن الياس بن ياسين ، وعن شمويل بن  
بالي ، وتغلب العمالقة هم وملكهم جالوت على بنی اسرائيل ،  
ثم خلاصهم على يد النبي داود وقتله جالوت .

وذكر غزوات سليمان بن داود ، وعلاقته ببليقيس ،  
وتفرق المملكة بعده ، الى أن هجم عليهم سنحاريب ملك  
بابل ، ونجاهم الله منه ، ثم تحدث عن غزوة بختنصر  
لبنى اسرائيل ، وتخريبه بيت المقدس ، وتفرق بنی اسرائيل ،  
ونزول بعضهم بالحجاز يثرب ، ووادی القرى وغيرها .



وذكر ملوك الروم منذ المسيحية الى الاسلام .  
وتحدث عن عاد وقوتهم وظلمهم وعصيانهم نبهم هود ،  
واهلاك الله لهم .

وتحدث عن ثمود ، وعتوهم وكفرهم ومعصيتهم نبهم  
صالحا ، وهلاكهم بسبب عصيانهم ، وكذلك ذكر طسم ،  
وجديس ، وذكر جرهم ، واصهار اسماعيل اليهم .  
وتحدث عن غزو بختنصر للعرب في زمن معد بن عدنان .  
وذكر ملوك اليمن وعلاقتهم بالحش ثم بالفرس .  
وتحدث عن بعض المشهورين من الأفراد مثل عمرو بن  
الظرب والزباء .

ثم ذكر أجداد النبي عليه الصلاة والسلام من عدنان الى  
عبد المطلب ، وذكر طرفا من أخبار الرسول قبل أن يبعث .

#### — ٢ —

وأما القسم الثاني فقد تناول فيه حياة رسول الله ،  
وأخباره وغزواته ، ثم ذكر تاريخ الخلفاء الراشدين  
وفتوحهم ، وجعل يتبع تاريخ المسلمين بعد ذلك في الدولة  
الأموية ، والدولة العباسية الى سنة ٣٠٢ هـ .  
وكان فراغه من تأليفه سنة ٣٠٣ هـ بعد أن ألف كتابه  
في التفسير ودرسه لتلاميذه (١)

---

(١) كتاب التاريخ ٤٥/١ ومعجم الأدباء ٤٢/١٨ ، ٦٢

## أهم مصادره

استقى من عدة مصادر اطمأن الى أنها حجة في موضوعاتها موثوق بها .

١ — فاعتمد في تاريخ الرسل والأنبياء على كتب التفسير وكتب السير وبخاصة سيرة ابن اسحاق ، وكتاب المبتدأ لوهب بن منبه (١) .

٢ — واستمد تاريخ الفرس من ترجمات عربية يكتب فارسية ، وبخاصة كتب ابن المقفع ، كما استمد من كتب هشام الكلبي الذي كان يعتمد في تاريخ ملوك فارس والحيرة على وثائق ومدونات (٢) .

٣ — وعول في تاريخ الروم على ما نقله من كتب نصارى الشام الذين كانوا يعرفون تاريخ الدولة الرومانية والامبراطورية البيزنطية من وثائق صحيحة كما سأبين .

٤ — ونقل تاريخ اليهود من مصادر بعضها كتب اسرائيلية ، فقد أورد في قصة يوسف ما يدل على هذا في قوله :

ذكر بعض أهل التوراة أن في التوراة أن الذي كان من

---

(١) رواه عبد المنعم بن ادريس بن سنان المتوفى سنة ٢٢٨ وهو حفيد المؤلف ( الفهرست ١٣١ - ١٣٨ ) وقد نقل الطبرى منه مباشرة أو عن سيرة ابن اسحاق .  
(٢) تاريخ الطبرى ٣٧/٢ .

أمر يوسف واخوته والمصير به الى مصر وهو ابن سبع عشرة سنة ؛ وأنه أقام في منزل العزيز الذى اشتراه ثلاث عشرة سنة ، فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر الريان بن الوليد ، وأنه مات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين ، وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة ، وأن يعقوب دخل مصر في سبعين اسافا من أهله (١) .

ولكنى لم أجد في التوراة هذا التفضيل الذى ذكره الطبرى .

٥ — وإعتمد في تاريخ العرب قبل الاسلام على ما كتبه عبيد بن شربة الجهمي ، ومحمد بن كعب القرظي ، ووهب ابن منبه ، وهشام الكلبى ، وابن اسحاق .

٦ — أما السيرة النبوية فقد عول فيها على مؤلفات أبان ابن عثمان بن عقان ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وشرحبيل ابن سعد ، وموسى بن عقبة ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وابن شهاب الزهرى ، ومحمد بن اسحاق .

٧ — فاذا ما انتقل الى حروب الردة والفتوح استمد من سيف بن عمر الأسدى ، والمدائنى .

٨ — وكانت مصادره في أخبار موقعة الجبل وموقعة صفين ما كتبه أبو مخنف ، والمدائنى ، وسيف بن عمر .

---

(١) كتاب التاريخ ١٧٢/١

٩ - ثم كان اعتماده في تاريخ بنى أمية على مدونات  
عوانه بن الحكم الكلبى ، وأبى مخنف ، والمدائنى ،  
والواقدى ، وعمر بن شبة ، وهشام الكلبى .

١٠ - فإذا ما جاء دور بنى العباس عول على كتب  
أحمد بن أبى خيثمة ، وأحمد بن زهير ، والمدائنى ، وعمر  
ابن راشد ، والهيثم بن عدى ، والواقدى (١) .  
وكان لهؤلاء كتب كثيرة متداولة .

فلسيف بن عمر كتاب الفتوح الكبير ، وكتاب الردة ،  
وكتاب فى موقعة الجمل ومسير عائشة وعلى (٢) .  
وللمدائنى كتاب فى الردة (٣) .

ولعمر بن شبة البصرى مؤلفات منها كتاب الكوفة ،  
وكتاب مكة ، وكتاب البصرة ، وكتاب المدينة (٤) .

---

(١) وهناك غير هؤلاء لكنه لم ينقل منهم كثيرا ، مثل ابن  
طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ فقد نقل من كتابه ( تاريخ بغداد )  
ولكنه لم يذكر اسم المؤلف الا مرة واحدة فى حوادث سنة ٢٥٠  
وقد طبع الجزء الأول والسادس من هذا الكتاب سنة ١٩٠٨  
بمدينة ليبزج ثم طبع بالقاهرة وهو الجزء المعروف من الكتاب  
( من مقال الدكتور جواد على بجملة المجمع العلمى العراقى ) .

(٢) الفهرست ١٣٧ .

(٣) الفهرست ١٣٧ .

(٤) وفيات الاعيان ٤٧٨/١ والفهرست ١٦٣ وتاريخ

الطبرى ١٦٦/٦ .

## منهج

انفرد الطبرى بمنهج فى تاريخه ، موسوم بسمات  
خاصة ، على ما به من مزايا وعيوب

### ١ — التعويلات على الروايات

فقد عول على الرواة فى أكثر ما دونه ، وحجته فى ذلك  
أن المؤرخ لا يصح له أن يستند الى المنطق والقياس  
والاستنباط ، وان حسن ذلك منه فى قليل من المواضع .  
قال فى مقدمة كتابه :

وليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل  
ما أحضرت ذكره فيه انما هو على ما رويت من الأخبار  
التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها الى روايتها  
فيه ، دون ما أدرك بحجج العقول ، واستنبط بفكر  
النفوس .. الا القليل اليسير منه .

فما يمكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين  
مما ينكره قارئه ، أو يستشعنه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف  
له وجهها فى الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه  
لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقليه  
الينا ، وأنا انما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا (١) .

---

(١) مقدمة كتاب التاريخ ٥/١ .

لهذا دون الأخبار على عهدة رواتها ، وعرضها عرضا موضوعيا محايدا ، وعزا كل رواية الى صاحبها ، ولم يقتصر على ما يوافق فكره ، أو رأيه ، ولم يعلق بترجيح أو تفنيد أو ابطال ، بل ترك للقارىء أن يميز ويحكم ويختار . وكان قليلا ما يدلى برأيه ، ويرجح رواية على أخرى ، اذا ما تبين له وجه للترجيح .

من ذلك أنه أورد الخلاف في الذبيح أهو اسماعيل أم اسحاق ، وقدم لهذا الخلاف وعقب عليه برأيه أن الذبيح اسحاق ، فقال :

غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عن رسول الله أنه قال هو اسحاق أوضح وأبين من الرواية التي رويت عنه أنه قال هو اسماعيل .

وقال : وأما الدلالة من القرآن التي قلنا انها أصح فقوله تعالى مخبرا عن دعاء خليله ابراهيم حين فارق قومه مهاجرا الى ربه الى الشام مع زوجته سارة « قال اني ذاهب الى ربي مبتهدين ، رب هب لي من الصالحين » وذلك قبل أن يعرف هاجر ، وقبل أن تصير له أم اسماعيل ، ثم أتبع الله الخبر عن اجابته دعاء ابراهيم ، وتبشيريه بسلام حليم ، ثم عن رؤيا ابراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعى ، ولا يعلم في كتاب الله عز وجل تبشير لابراهيم بولد ذكر الا باسحاق . وذلك قوله « وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » وقوله

« فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام حليم ،  
فأقبلت امرأته في سريرة فصكت وجهها وقالت عجوز  
عقيم » .

ثم ذلك كذلك في كل موضع ذكر فيه تبشير ابراهيم  
بغلام ، فانما ذكر تبشير الله اياه به من زوجته سارة ،  
فالواجب أن يكون ذلك في قوله « فبشرناه بغلام حليم »  
نظير ما في سائر سور القرآن من تبشيره به من زوجته  
سارة .

وأما اعتلال من اعتل بأن الله لم يكن يأمر ابراهيم بذبح  
اسحاق ، وقد أتته البشارة من الله قبل ولادته بولادته وولادة  
يعقوب من بعده فانها علة لا توجب صحة ما قال ، لأن الله  
انما أمر ابراهيم بذبح اسحاق بعد أن أدرك اسحاق السعى .  
وجائز أن يكون يعقوب قد ولد قبل أن يؤمر ابراهيم  
بذبح اسحاق (١) .

(١) التاريخ ١٣٥/١ - ١٣٩ والتفسير ٨٦/١٢ ويتفق معه  
في هذا الرأي ما رواه نهار العبدى عن النبى صلى الله عليه وسلم  
( أسد الغابة ٤٣/٥ ) وما ذكر أبو العلاء المعرى في قوله :  
فلو صح التناسخ كنت موسى  
وكان أبوك اسحاق الذبيحا

( سقط الزند ٦٤/١ ) .  
وما ذكره الجيلاني في كتاب الغنية ٤٠/٢ .  
ويخالفه ما ذكره أمية بن أبى الصلت في ديوانه ٢٩ .  
وما ذكره ياقوت في معجم البلدان ٥٥٧/٣ .  
وابن قيم الجوزية في كتابه ( هداية الحيارى من اليهود  
والنصارى ) صفحة ١٠٢ .

## ٢ - احرص على السند

ذكر في كل حادثة ما قيل فيها من روايات ، وذكر سند كل رواية موصولا الى صاحبه على طريقة علماء الحديث ، فاذا نقل من كتاب ذكر اسم مؤلفه مثل قال ابن الكلبي ، أو قال محمد بن اسحاق ، أو قال الواقدي ، أو ذكر ابن الكلبي . وقلمنا كان يذكر اسم الكتاب ، واذا سمع من انسان مشافهة ، قال حدثني فلان ، فاذا اشترك معه في السماع آخرون قال : حدثنا فلان ، وسلسل السند الى مصدره الأول .

وكان يعتمد أحيانا على المراسلة ، فيقول مثلا كتب الى السدي عن فلان عن فلان الخ .

وقد حرص على السند والرواية المتصلة الا في بعض مواضع يظهر أنه اعتمد فيها على النقل من كتب ، أو بطريق الاجازة من كتب ، فأهمل اسم المحدث كقوله : حدثت عن فلان ، أو ذكر عن فلان أنه قال . أو ذكر كذا بالبهاء للمجهول .

وهذه الصيغة كثيرة الترداد في تاريخ الفرس ، اذ أنه ذكر كثيرا من أقوال هشام بن الكلبي ، والظاهر أنه أخذ من كتبه .

ونجد في الأجزاء الأخيرة من الكتاب صيغا تدل على تساهل في السند ، كقوله : ذكر لي بعض أصحابي ، وذكر لي



جماعة من أصحابنا ، وذكر من رآه وشاهده ، وحدثني  
جماعة من أهل كذا .

وربما كان مبعث التساهل هنا خوفاً على محدثيه الأحياء  
من غضب الساسة ، لأن في رواياتهم ما يعرض لغضب  
السلطان .

على أن السند يقل في الأجزاء الأخيرة من الكتاب من  
الجزء التاسع إلى الحادي عشر حتى ليندر في صفحات  
متواليات .

### ٣ - نظام السنين

في القسم الأول من الكتاب الخاص بما قبل الاسلام  
عرض الحوادث غير مرتبة على حسب السنين ، اذ كان ذلك  
غير مستطاع ، فبدأ بالخلقة ثم بالأنبياء وما في عهودهم  
من أحداث ، ثم بالملوك الذين عاصروهم وما كان في زمانهم  
من حروب وحوادث ، ثم ذكر الأمم التي جاءت بعد الأنبياء  
إلى أن ظهر الاسلام .

وفي القسم الخاص بالاسلام وما بعده راعى ترتيب  
الحوادث ترتيباً زمنياً عاماً بعد عام منذ الهجرة إلى سنة ٣٠٢  
فذكر في كل سنة ما وقع فيها من حوادث تستحق الذكر .  
فاذا كانت الحادثة تستغرق سنوات جزأها ، أو أشار إليها ،  
ثم عاد إليها بالتفصيل في موضعها الملائم .

وهذه الطريقة هي طريقة الحوليات المعتمدة على  
توقيت الأحداث بالسنين والشهور والأيام « وهذا ضابط  
انفرد به مؤرخو المسلمين عن نظرائهم من اليونان والرومان  
وأوروبا في العصور الوسطى ، قال المؤرخ الانجليزى بسكل  
Buckle : « ان التوقيت على هذا النحو لم يعرف في  
أوروبا قبل عام ١٥٩٧ م » (١) .

ولم يكن الطبرى مخترع هذه الطريقة ، فقد سبقه اليها  
بعض مؤرخى المسلمين ، مثل الهيثم بن عدى المتوفى  
سنة ٢٠٧ (٢) وجعفر بن محمد بن الأزهر المتوفى سنة ٢٧٦ (٣)  
وعمار بن وسيمة المصرى المتوفى سنة ٢٨٩ هـ (٤) والواقدى  
المتوفى سنة ٢٠٧ مؤلف كتاب التاريخ الكبير على نظام  
السنوات .

ثم حاكاه في هذا النهج ابن مسكويه وابن الأثير  
وأبو الفداء ، وخالفهم اليعقوبى والدينوى والمسعودى وابن  
خلدون ، اذ كتبوا الحوادث كاملة متصلة وان استغرقت  
سنوات .

---

(١) علم التاريخ عند العرب ٦٧ فصل كتبه الامتاذ  
عبد الحميد العبادى فى كتاب علم التاريخ تأليف هرنشو  
وترجمه العبادى .

(٢) له كتاب فى التاريخ رتبه على السنين ( الفهرست ١٤٦  
ووفيات الأعيان ٢/٢٦٩ ) .

(٣) له كتاب مثله ( الفهرست ومعجم الأدباء ١٨٦/٧ ) .

(٤) حسن المحاضرة ١/٢٦٥ .

## ٤ - الأخبار العامة

أما الأخبار التي لا ترتبط بزمن معين فقد كان يختصم بها الحديث عن كل خليفة ، فبعد أن يذكر الأحداث في عهده مرتبة على السنين يذكر أوصافه وأخلاقه وبعض نوادره .  
كقوله : ان الخليفة المهدي كان طويلا ، لحمه يابس على عظامه ، وكان جعد الشعر ، أما لونه فقد قيل انه كان أسمر ، وقيل انه كان أبيض ، وكان في عينه اليمنى في قول بعضهم نكتة بياض ، وقال بعضهم كان ذلك بعينه اليسرى .  
وكان اذا جلس للمظالم يقول : أدخلوا عليّ القضاة ، فلو لم يكن ردى للمظالم ، الا للحياء منهم لكفى .  
وهكذا يستطرد في ذكر مسائل شتى في نحو عشر صفحات (١) .  
وبعد أن أرخ للحوادث في عهد الرشيد عقب بنبذة من سيرته ، في نحو عشر صفحات ، ذكر فيها أمورا ، منها أنه كان يصلى في كل يوم مائة ركعة ، وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم بعد زكاته ، وكان اذا حج اصطحب معه مائة من الفقهاء ، وأبنائهم ، واذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابعة والكسوة الباهرة ، وكان لا يضيع عنده احسان محسن ، وكان يحب الشعراء والشعر ، ويميل الى أهل الأدب والفقهاء (٢) .

(١) التاريخ ١١٣/١٠ .

(٢) الجزء العاشر ١١٣ .

## ٥ - تسجيل النصوص الأدبية

جرى الطبرى على الاكثار من تسجيل النصوص الأدبية من شعر ، وخطابة ، ورسائل ، ومحاورات ، فى مناسباتها التاريخية .

وهو فى هذا يحاكى سابقيه من المؤرخين والأدباء . ذلك أن رواة الأخبار القدماء كانوا يحرصون على تدوين الشعر المتصل بالموضوع الذى يؤرخونه ، كلفا بالشعر من ناحية ، ورغبة فى توثيق الحادث أو الخبر ، والتشويق اليه من ناحية ثانية ، كما نرى فى كتاب ( التيجان فى ملوك حمير ) لعبيد بن شريفة برواية أبى محمد عبد الملك بن هشام <sup>(١)</sup> ، وفى كتاب ( نهاية الأرب فى أخبار الفرس والعرب ) للأصمعى <sup>(٢)</sup> ، وكتاب ( السيرة النبوية ) لابن هشام مع أنه أغفل كثيرا من الشعر الذى كان ابن اسحاق دونه فى الكتاب ، ولكن بقى فى سيرة ابن هشام ما يقرب من خمسها شعرا . وكتاب ( وقعة صفين ) لنصر بن مزاحم المنقرى <sup>(٣)</sup> .

وكان رواة الأدب يحلون بالتاريخ كثيرا من القصائد ،

---

(١) طبع فى حيدر اباد دكن بالهند سنة ١٣٤٧ وبذيله أخبار عبيد بن شريفة .

(٢) مخطوط بالمتحف البريطانى برقم ٩٠٤ ، ١٢٧٣ .

(٣) نشره الأستاذ عبد السلام هارون .

فيسيئون المناسبات التى قيلت فيها ، أو الأحداث المذكورة بها ، والأشخاص المتصلين بها ، ويتعرضون لأيام العرب فى الجاهلية والاسلام .

كذلك كان اللغويون يعرضون ما يتصل بدراسة الغريب والأمثال واللهجات ، من ذكر الأماكن والقبائل والرجال والحوادث والأخبار والأقاصيص والأيام .

ومن هنا امتزج الأدب بالتاريخ ، وصار من المؤلف أن يكون المؤرخ راوية للأدب ، وأن يكون راوية الأدب مؤرخا كأبى عبيدة ( ٢٠٩ أو ٢٠٨ أو ٢١٣ ) <sup>(١)</sup> والهيثم بن عدى ( ٢٠٩ ) <sup>(٢)</sup> ومحمد بن حبيب ( ٢٤٠ ) <sup>(٣)</sup> والأصمعى ( ٢١٦ أو ٢١٤ ) <sup>(٤)</sup> وأبى سعيد السكرى ( ٢٧٥ ) <sup>(٥)</sup> .

١ — من الخطب التى أوردتها خطبة زياد بالبصرة سنة ٤٥ التى منها <sup>(٦)</sup> : أما بعد فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والفجور — الفجور والتمادى فى المعاصى — الموقد لأهله النار الباقي عليهم سعيها ، ما يأتى سفهاؤكم ، ويشمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ،

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١١٤/٢ جورجى زيدان .

(٢) تاريخ بغداد ٥٠/١٤ .

(٣) الفهرست ١٠٦ .

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ١١٥/٢ .

(٥) تاريخ بغداد ٢٩٦/٧ .

(٦) التاريخ ١٢٤/٦ .

ولا يتحاشى منها الكبير ، كأن لم تسمعوا بأى الله ،  
ولم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب  
الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ..

حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدا  
واحراقا . انى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح الا بما صلح  
به أوله ، لين في غير ضعف ، وشدة في غير جبرية وعنف .  
وانى أقسم بالله لآخذنّ الوكيل بالمولى ، والمقيم  
بالظامن ، والمقبل بالمدير ، والصحيح منكم بالسقيم ، حتى  
يلقى الرجل أخاه ، فيقول : اتجّ سعد فقد هلك سعيّد ،  
أو تستقيم لى قناتكم .

ان كذبة المنبر بقاء مشهورة ، فاذا تعلقتم على بكذبة  
فقد حلت لكم معصيتى .

وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب  
عقوبة ، فمن غرق قوما غرقناه ، ومن حرّق على قوم  
حرقناه ، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفناه  
حيا فيه ..

٢ — ومنها خطبة الحجاج بالكوفة (١) سنة ٧٥ وخطبة  
عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد الأشدق  
بدمشق (٢) ، وخطبة خالد القسرى بمكة (٣) وخطبة للحسين  
ابن على فى أصحابه (٤) ، وخطبة لمحمد بن الحنفية فى جمع

(٢) التاريخ ١٧٥/٧

(٤) التاريخ ٢٢٩/٦

(١) التاريخ ٢١٠/٧

(٣) التاريخ ٨٠/٨

من الكيسانية <sup>(١)</sup> ، وخطبة لعبيدة بن هلال في جماعة من أصحابه الخوارج وجماعة من أنصار عبد الله ابن الزبير <sup>(٢)</sup> ، وخطبة لسليمان بن صرد في جمع من الشيعة <sup>(٣)</sup> ، وخطبة لعبد الله بن الزبير في أهل مكة لما قتل الحسين <sup>(٤)</sup> ، وخطبته لما بلغه نبأ قتل أخيه مصعب <sup>(٥)</sup> .

٣ — وفي الكتاب نصوص كثيرة من الحوار ، كهذا الذي دار بين عبد الله بن الزبير وأمه أسماء حينما حاصره الحجاج بمكة ، ويثس من مؤازرة أصحابه <sup>(٦)</sup> ، وكالحوار الذي دار بين الخوارج والمهلب بن أبي صفرة <sup>(٧)</sup> .

٤ — وبه رسائل شتى ، كرسالة المختار الثقفي الى محمد ابن الحنفية <sup>(٨)</sup> ، ورسائله الى عبد الله بن الزبير <sup>(٩)</sup> ، ورسالة عبد الله بن الزبير الى يزيد بن معاوية <sup>(١٠)</sup> ، ورسالة من مروان ابن محمد الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك <sup>(١١)</sup> ، وكتاب نصر بن سيار الى مروان بن محمد <sup>(١٢)</sup> .

٥ — أما الشعر فكثير كثرة تسترعى النظر .

منه قول حارثة بن بدر في مدح زياد <sup>(١٣)</sup> .

- 
- |                      |                     |
|----------------------|---------------------|
| • (١) التاريخ ٩٧/٧   | • (٢) التاريخ ٥٦/٧  |
| • (٣) التاريخ ٦٩/٧   | • (٤) التاريخ ٢٧٣/٦ |
| • (٥) التاريخ ١٩٠/٧  | • (٦) التاريخ ٢٠٢/٧ |
| • (٧) التاريخ ١٩١/٧  | • (٨) التاريخ ١٢٧/٧ |
| • (٩) التاريخ ١٣٣/٧  | • (١٠) التاريخ ٣/٧  |
| • (١١) التاريخ ٢٩٣/٨ | • (١٢) التاريخ ٩٢/٩ |
| • (١٣) التاريخ ١٢٦/٦ |                     |

ألا مَنْ مبلغ "عنى زياد"  
 فنعم أخو الخليفة والأمير  
 فأنت امام مَعْدَلَة وقصد  
 وحزم حين تحضرك الأمور  
 أخوك خليفة الله بن حرب  
 وأنت وزيره نعم الوزير  
 بأمر الله منصور "معان"  
 إذا جار الرعية لا تجور  
 وقول الطفيل بن عامر بن وائلة في هجاء قطري بن  
 الفجاءة زعيم الأزارقة ، لما هرب من المهلب بن أبي صفرة ،  
 وهزم المهلب زعيم الأزارقة عبد ربه الكبير وقتله (١) :  
 لقد مسنا عبد رب وجئندة  
 عقاب فأمسى سببهم في المقاسم  
 وما قطري الكفر إلا نعامه  
 طريد "يَدَوِّي" ليله غير نائم  
 إذا فرنا هاربا كان وجهه  
 طريقا سوى قصد الهدى والمعالم  
 فليس بمنجيهِ الفرار وإن جرت  
 به الفلك في لَح من البحر دائم :  
 ... وكذلك قول كعب الأشقر في مدح المهلب لما انتصر  
 على الأزارقة (٢) ، وتأيد عندي بن الرقاع العاملي  
 (١) التاريخ ٢٧٤/٨ • (٢) التاريخ ٢٧١/٨ •



لعبد الملك اذ سار لقتال مصعب بن الزبير <sup>(١)</sup> ورتاء هند بنت زيد لحجر بن عدى <sup>(٢)</sup> الشيعى الشهيد ، وتعبير عبدة الكندى لمحمد بن الأشعث لأنه تخلى عن نصره حجر ابن عدى <sup>(٣)</sup> ورتاء عبد الله بن الحر لشهداء كربلاء <sup>(٤)</sup> .  
وقول يزيد بن مفرغ الجميرى فى التهكم بمعاوية لما استلحق زيادا :

ألا أبلغ معاوية بن حرب  
مُغْلَغَلَةً عن الرجل اليماني  
أنغضب أن يقال أبوك عَفٌّ  
وترضى أن يقال أبوك زانى ؟  
فأشهد أن برحمتك من زياد  
كرحمت الفيل من ولد الأتان <sup>(٥)</sup>  
كذلك سجل كثيرا من شعر الخوارج كعيسى بن فاتك <sup>(٦)</sup> ، ومعاذ بن جوين <sup>(٧)</sup> .

- (١) التاريخ ١٨١/٧ . (٢) التاريخ ١٥٧/٦ .  
(٣) التاريخ ١٦٠/٦ . (٤) التاريخ ٢٧٠/٦ .

(٥) التاريخ ١٧٧/٦ مغلغة : رسالة سائرة ذائعة . الرحم : بكسر الراء القراية وهو يشير بقراية الفيل من الحمار الى خرافة كانت معروفة ، فقد زعموا أن الحمار والفيل اجتمعا فى مرعى فطرد الفيل الحمار فقال له : لماذا تطردنى مع اشتباك الرحم بينى وبينك ؟ فقال الفيل : من أين هذا الرحم ؟ قال الحمار من أن بيننا شبها فى شيئين ..... فقبل الفيل هذه القراية ، فسار بها المثل ، فقبل كرحم الفيل من الحمار .

- (٦) التاريخ ١٧٤/٦ .  
(٧) التاريخ ١٠٧/٦ .

## مآخذ عليّة

ليس من السهل أن يسلم كتاب الطبرى من مآخذ  
تتناول المادة والمنهج .

— ١ —

فقد حرص على تسجيل الروايات ، ولم يعدل روايتها  
أو يجرّحهم ، كما كان يصنع علماء الحديث ، ولو أنه  
طبق منهج المحدثين — وقد كان من علماء الحديث — لوثق  
بعض الروايات ، وجرح بعضها . ولعل مرد ذلك الى أن  
الحديث مصدر من مصادر التشريع ، تقام عليه الأحكام ،  
فلا بد من توثيق الروايات أو تضعيفها ، أما التواريخ  
فلا تقام أحكام شرعية عليه .

لكن هذا لا يعفيه من النقد ؛ لأن المؤرخ لا يصح أن  
يعول على الرواية وحدها ، وبخاصة في تاريخ عصره الذى  
عاش فيه وشاهد أحداثه ، فربما كان الراوى ثقة ، ولكنه  
متأثر بعاطفة خاصة تزين له وجهة ما ، أو تصرفه عن حقيقة ،  
وربما الخدع فنقل عن غير ثقة ، أو صدّق أمرا بغير أن  
يحققه ، فلا مندوحة إذا من نقد الروايات والرواة ، والرجوع  
الى الوثائق الأصلية .

وقد كان ابن الكلبي يذهب الى الأذيّار والكنائس  
فيسأل عن المدونات كما قال الطبرى : « وقد حدثت عن

هشام بن محمد الكلبي أنه قال : انى كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة من بيع الحيرة وفيهما ملكهم وأمورهم كلها » (١) .

وهو بهذه النظرة الى التاريخ حصره فى نطاق المعرفة مجردة من العظة والتأسى ، على تقيض نظرة ابن مسكويه فيما بعد ، لأن ابن مسكويه (٤٢١) نظر الى التاريخ على أنه تجارب مرت بالسلف ، يحسن بالخلف أن يطلعوا عليها ، ويسترشدوا بها ، فان أمور الدنيا متشابهة ، وأحوالها متناسبة ، وما يعرفه الانسان من تجارب الماضين كأنه تجارب له ، فيستقبل أموره استقبال الخير ، ويعرفها قبل وقوعها ، فيقابلها بأشكالها ، وشتان بين من كان بهذه الصورة ومن كان غرا لا يتبين الأمر الا بعد وقوعه .

لهذا اقتصر فى تاريخ ما قبل الاسلام على ما له عظة وفائدة ، وعلى ما يتصل بالسياسات ، وعمارات البلدان ، وجمع كلمة الرعية ، واصلاح الجنود وحيل الحروب .  
وغايته أن يكون علم التاريخ علما للوزراء والساسة » فلذلك جمعت هذا الكتاب ، وسميته تجارب الأمم ، وأكثر الناس انتفاعا به أو فرهم قسطا من الدنيا ، كالوزراء ، وأصحاب الجيوش ، وسواس المدن .. ثم سائر طبقات الناس » (٢) .

(١) تاريخ الطبرى ٣٧/٢ .

(٢) مقدمة تجارب الأمم لابن مسكويه .

فلم يتعرض لمعجزات الأنبياء ، ولم يتبسط في أخبار ما قبل الاسلام ، الا في أخبار قومه الفرس .

ولم يكن الطبرى موقفا في الاقتصار على تسجيل الروايات والاكتفاء بالاحالة الى غيره ، لأن التاريخ -- كما قال ابن خلدون -- محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وثبت ، وليس من السواب الاعتماد على النقل ، بل لابد من الاحتكام الى اصول العادة ، وقواعد السياسة ، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الانساني ، وكذلك لابد من قياس الغائب من الأحداث والأسباب بالحاضر ، وقياس الحاضر بالذهاب ، لأن المؤرخ اذا توخى ذلك أمن العثور والبعد عن المزالات والمغالط .

ويزيد ابن خلدون على هذا أن كثيرا من المؤرخين والمفسرين والعلماء وقعوا في أغلاط ، لأنهم اعتمدوا على النقل وحده ، ولم يعرضوا ما نقلوه على طبائع الكائنات ، ولم يقيسوا الأمور على أشباهها ، ولم يحكموا النظر والبصيرة في الأخبار التي دونوها ، ثم يضرب أمثلة على هذا (١) .

ومع هذا فقد أدى الطبرى للتاريخ عملا جليلا ، اذ حفظ هذه الروايات من الضياع ، لأنه لو لم يجمعها هذا الجمع ، وينسقها هذا التنسيق ، لتبددت ، وعفى عليها الزمان .

(١) مقدمة ابن خلدون ٢١٩ .

لهذا قال المؤرخ الانجليزى الأستاذ ترفليان Trevellian  
ان محافظته على الروايات المختلفة هى أعظم ما أهداه الى  
الباحث الحديث ، وبخاصة حينما يريد اعادة النظر فى تاريخ  
الحوادث فى صدر الاسلام .

والروايات التى يعوزها النقد كثيرة فى الكتاب :

١ - منها ما نقله عن هبوط آدم من الجنة الى الهند ،  
وأن حواء هبطت بجدة ، فجاء فى طلبها حتى اجتمعا ،  
فازدلفت اليه حواء . فلذلك سى المكان المزدلفة ، وتعارفا  
بعرفات ، فلذلك سميت عرفات .  
وأورد آراء أخرى فى المكان الذى هبط اليه آدم وحواء  
وابليس والحية .

ومن العجيب أنه علق بسا يؤيد هبوط آدم الى الهند  
بقوله : ان ذلك مما لا يدفع سحته علماء الاسلام وأهل  
التوراة والانجيل ، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء .  
وذكر روايات تنسب الطيب الى أشجار الهند ، لأن آدم  
لما هبط اليها علق بها طيبه .

ثم زاد على هذا أن الجبل الذى أهبط عليه آدم كانت  
ذروته من أقرب ذرى جبال الأرض الى السماء ، وأن آدم  
حين أهبط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه فى السماء ، يسمع  
دعاء الملائكة وتسييحهم ، فكان يأنس بذلك ، وكانت الملائكة  
تهابه . فشكت الى الله ، فنقص من طوله (١) .

(١) السارىخ ٦٠/١ - ٦٣ .

٢ — كذلك روى عن أشخاص عن السدى أن امرأة العزيز قالت : يا يوسف ما أحسن شعرك ! قال : هو أول ما ينثر من جسدى . قالت : ما أحسن عينيك ! قال : هى أول ما يسيل الى الأرض من جسدى . قالت : ما أحسن وجهك ! قال : هو للتراب يأكله . فلم تزل به حتى أطمعته ، فهمت به وهم بها ، فدخل البيت ، وغلقت الأبواب ، وذهب ليحل سراويله ، فاذا هو بصورة يعقوب قائما فى البيت قد عض على اصبعه يقول : يا يوسف لا تواقعها فانما مثلك ماثلهم تواقعها مثل الطير فى السماء لا يطاق ، ومثلك ان واقعته مثله اذا مات وقع على الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ، ومثلك ان واقعته مثل الثور حين يموت ، فيدخل النسل فى أصل قرنيه ، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه . فربط يوسف سراويله ، وذهب ليخرج ، فأدركته ، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه ، فخرقته حتى أخرجته منه وسقط ، وطرحه يوسف ، واشتد نحو الباب .

وقال بعضهم انه رأى صورة يعقوب عاضا على اصبعه . وقال آخرون انه رأى فى الحائط مكتوبا « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » (١) .

ولو أنه علق على هذا لنفاه ، لأنه من الاسرائيليات والأقاصيص التى ولدها الخيال ، فان القرآن الكريم

(١) كتاب التاريخ ١/ ١٧٣ .

— وهو المصدر المتفرد بالتقّة — لم يزد على قوله « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » ، ثم ان القرآن لم يكن قد نزل بعد ، فكيف قرأ يوسف على الجدار قوله تعالى « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » ؟ وليس في التوراة شيء من ذلك التفصيل الذي نسجته الأساطير .

جاء في العهد القديم : قالت له امرأة سيده : اضطجع معي ، فأبى . وقال لها : ان سيدي قد وكل الى يدي كل ماله في بيته ، ولم يمسك عنى شيئا غيرك ، لأنك امرأته ، فكيف أصنع هذا الشر العظيم ، وأخطيء الى الله ؟ وكانت كلما عرضت عليه أن يضطجع معها رفض ، ثم أمسكته من ثوبه ، وقالت : اضطجع معي . فترك ثوبه في يدها ، وخرج هاربا ، فصرخت وزعمت لمن في البيت أنه كان يريد مضاجعتها ، فلما أبت ترك ثوبه وهرب .

ولما جاء سيده أخبرته ، فغضب ووضعه في السجن (١) . على أنه ذكر هذا وغيره في كتابه التفسير ، وزاد عليه قوله : فان قال قائل : كيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو نبي ؟ قيل ان أهل العلم اختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم : كان يوسف ممن ابتلى من الأنبياء بخطيئة ، ليكون على وجل من الله ، اذا ذكرها ، فيجد في طاعته اشفاقا منها ، ولا يتكل على عفو الله ورحمته .

(١) العهد القديم سفر التكوين الاصحاح ٣٩ .

وقال آخرون : بل ابتلاه الله بذلك ليعرفه نعمته عليه  
بصفحه عنه .

وقال غيرهم : بل ابتلاه الله ليجعله اماما لأهل الذنوب  
في رجاء رحمته ، وترك اليأس من عفوه عنهم اذا تابوا .  
ثم عقب على هذا بقوله : أما الذين خالفوا أقوال  
السلف ، وتأولوا القرآن بآرائهم ، فانهم قالوا في ذلك أقوالا  
مختلفة .

قال بعضهم : همت المرأة بيوسف ، وهم بها ليضربها ،  
لولا أنه رأى برهان ربه ، فامتنع عن أذاها ، لأنها ارتدعت  
من قبل نفسها ، والشاهد على صحة هذا قوله تعالى « كذلك  
لنصرف عنه سوء الفحشاء » .

وقال آخرون : معنى الكلام ولقد همت به ، ثم ابتدأ  
الخبر عن يوسف في قوله تعالى « وهم بها لولا أن رأى  
برهان ربه » كأنهم وجهوا معنى الكلام الى أن يوسف  
لم يهيم بها ، ولو لم ير برهان ربه لهم بها .

وعلق على هذا بقوله : ان هذين القولين فاسدان ،  
لأن العرب لا تقدم جواب لولا عليها ، فلا يقولون « لقد  
قمت لولا زيد » وهم يريدون لولا زيد لقمت ، مع خلاف  
هذين القولين لجميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين يؤخذ  
عنهم تأويله .

ثم علق على هذه الأقوال وغيرها في كتابه التفسير  
بما لم يعلق بشيء منه في كتابة التاريخ اذ قال : وأولى



الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر عن همّ يوسف وامرأة العزيز كل منهما بصاحبه ، لولا أن رأى يوسف برهان ربه ، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما همّ به من الفاحشة ، وجائز أن تكون تلك الآية إحدى ما ذكره .

والصواب أن تؤمن بما قاله تعالى ، وأن تترك ما عداه الى عالمه (١) .

٣ — وروى أنهم اختلفوا في الشاهد الذي من أهل زوجة العزيز القائل « ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين » .

فقال بعضهم انه ابن عمها ، وقال بعضهم كان صبيا في

#### (١) التفسير ١٠٨/١٢ - ١١٣ .

وللزمخشري تعليق يشبه تعليق الطبري ويزيد عليه ، لأنه بعد أن ذكر كثيرا مما قيل في أمر يوسف علق بقوله : وهذا أو نحوه مما يورده أهل الحشو . وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم بسبيل ، ولو وجدت من يوسف أدنى زلة لنعيت عليه ، وذكرت توبته واستغفاره ، كما نعيت على آدم زلته ، وعلى داود ونوح وأيوب وذى النون ، ثم ان الله سماه مخلصا ، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام ، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولى القوة والعزم ، ثم استنكر الزمخشري ما قيل من أن يوسف حل تكته ، وتأهب للفاحشة ، ولم يرتدع بنهي ربه ثلاث مرات ، وبالصيحات التي سمعها ثلاثا ، وبغير ذلك مما قيل في نصحه وردعه ، وقال ان أوقع الزناة لو حدث له شيء من ذلك لما بقي له عرق ينبض ، فياله من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه .

( الكشف للزمخشري ٤٦٥/١ ) .

المهد ، وذكروا حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
تكلم أربعة وهم صغار فيهم شاهد يوسف .

وعن ابن عباس أن الأربعة الذين تكلموا وهم صغار :  
ابن ماشطة ابنة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب  
جثرينج ، وعيسى بن مريم (١) .

وهذه تفصيلات من توليد الخيال ، وبحسب المؤرخ أن  
يلتزم الحقائق التاريخية ، ولا يزيد عليهما شيئا مما نسجه  
القصاص . ولو أن الذي شهد كان طفلا في المهد ، وطلق  
قبل سن النطق ، وكان نطقه فيصلا في قضية معضلة كهذه ،  
لقضوا في الوقت نفسه ببراءة يوسف ، ولنجا من السجن  
الذي عاقبوه به زمنا الى أن ظهرت براءته .

على أنى رجعت الى العهد القديم ، فلم أجد شيئا من  
هذا .

٤ - - ومن الأخبار التي لم يكن بد من التعليق عليها  
ما ذكره في أسباب لكبة البرامكة ، فمنها أن الرشيد استكشف  
من دخول يحيى بن خالد عليه بغير إذن ، فاعتذر يحيى بأن  
الخليفة كان قد عوده على ذلك ، فأما وقد كره ما كان يجب ،  
فإن يحيى راض بأن يكون في الطبقة الثانية أو الثالثة من  
أهل الاذن ، فاستحيا الرشيد وقال له : ما أردت ذلك ولكن  
الناس يقولون .

(١) التاريخ ١/١٧٤ .

ومنها أن الرشيد تأثر بوعظ محمد بن الليث في رسالته  
التي قال له فيها : ان يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله  
شيئاً ، وقد جعلته فيما بينك وبين الله ، فكيف أنت اذا وقفت  
بين يديه ، فسألك عما عملت في عباده وبلاده ، فقلت يا رب  
انى استكفيت يحيى أمور عبادك ، أتركك تحتج بحجة  
يرضى بها الله ؟

ومنها أن جعفر أطلق سراح يحيى بن عبد الله بعد أن  
كان الرشيد قد أمر بحبسه .

ومنها أنهم أسرفوا أيما اسراف ، وأنفقوا على قصورهم  
وخدمهم وحشمهم كما ينفق الرشيد ، واستمالوا الشعراء  
والعلماء بالهبات والجوائز .

ولا تخرج الروايات التي ذكرها عن اعتزازهم بدلتهم  
على الدولة ، واعتزازهم بمكائنتهم عند الرشيد ، وبذخهم  
وسرفهم واستهانتهم أحيانا بأمر الخليفة ، وما جره ذلك من  
حسد الناس لهم ، ووشاياتهم بهم .

ثم ذكر رواية أخرى ملخصها أن الرشيد كان يحب أخته  
عباسة وجعفر بن يحيى البرمكى ، وكان يحضرهما اذا  
جلس للشرب ، فعرض على جعفر أن يزوجه عباسة ليحل له  
النظر اليها اذا اجتمعا في مجلسه ، وتقدم اليه ألا يمسها ،  
فزوجها منه على ذلك ، لكنه واقعها وأولدها غلاما ، فخافت  
على نفسها من الرشيد ان علم بذلك ، فبعثت بالغلام الى  
مكة ، ولم يزل الأمر مستورا عن الرشيد حتى أخبرته

بأمرها احدى جواريتها ، فعضب الرشيد على جعفر ، وأمر بضرب عنقه (١) .

ولو أنه احتكم الى طبائع العرب ، والى أخلاق هارون لاستبعد هذه الرواية ، أو فندها تفصيذا ، كما فعل ابن خلدون فيما بعد .

ذلك أن ابن خلدون لم يذكر هذه القصة في كتاب التاريخ (٢) .

أما في المقدمة فقد ذكرها وأبطلها ، فقال :

ومن الحكايات المدخولة للتورخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد بالبرامكة من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى ، وأنه لكلفه بأن يحضرا مجلس شرا به أذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة ، حرصا على اجتماعهما في مجلسه ، وأن العباسة تحيلت عليه في التماس الخلوة ، لما شغفها بحبه ، حتى واقعها في حالة سكر ، فحملت ، ووشى بذلك للرشيد فغضب ، وهيات ذلك من منصب العباسة في دينها وأبويها وجلالها ، وأنها بنت عبد الله بن عباس ، ليس بينها وبينه الا أربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده .

والعباسة بنت محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء بن عبد الله

(١) التاريخ ٧٩/١٠ .

(٢) العبر ٢٢٣/٣ .

ترجمان القرآن ، بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ،  
فهى ابنة خليفة أخت خليفة ، محفوفة بالملك العزيز والخلافة  
النبوية ، قريبة عهد ببداوة العروبة ، وسذاجة الدين البعيدة  
عن عادات الترف ومراتع الفواحش .

فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها ؟ وأين توجد  
الطهارة والذكاء اذا فقدنا من بيتها ؟ وكيف تلحم نسبها  
بجعفر بن يحيى ، وتدنس شرفها العربى بمولى من موالى  
العجم ، رفع قومها من قدره وقدر أهله ؟ وكيف يسوغ من  
الرشيذ أن يصهر الى موالى الأعاجم ، على بعد همته وعظم  
آبائه ؟ ولو نظر المتأمل فى ذلك نظر المنصف ، وقاس العباسية  
بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها من مثله مع  
مولى من موالى دولتها وفى سلطان قومها ، واستنكره ، وليج  
فى تكذيبه .

وأين قدر العباسية والرشيذ من الناس ؟  
وانما نكب البرامكة ، ما كان من استبدادهم على  
الدولة واحتجائهم أموال الجباية .. الخ (١) .  
على أنه كان فى قليل من المواضع ينقد ويعلق مثل قوله :  
قال أبو جعفر : والصحيح عندنا فى ذلك كذا . وقوله :  
أنا أشك فى ذلك . وقوله : وقد زعم بعضهم كذا .  
وهذه الطريقة النقدية هى التى جرى عليها فى التفسير ،

(١) مقدمة ابن خلدون ٢٣٠ .

فلم ينقل من تفسير غير موثوق به ، ولم يستمد شيئا من كتاب محمد بن السائب الكلبي ، ولا من كتاب مقاتل بن سليمان ، ولا محمد بن عمر الواقدي ، لأنهم في رأيه أظناء (١) .

— ٢ —

ذكر العلماء والرواة ، ولم يذكر مؤلفاتهم التي نقل منها ، ولا أكثرهم كتب عدة ، فلا يستطيع الباحث أن يعرف عن أيها نقل .

ولو أنه ذكر أسماء الكتب لسهل على الباحثين الرجوع الى ما بقى منها ، ولصار من الميسور أن نعرف مؤلفات القدماء ، وأن نقب عنها ، وأن نحقق ما سلم من الضياع . فإذا ذكر سيف بن عمر لم نعلم أى كتبه أراد : الفتوح ، أم الردة ، أم موقعة الجمل ؟ وإذا ذكر الواقدي لم نعرف أى كتبه قصد : المغازي ؟ أم الردة ؟ أم التاريخ الكبير ؟

وحين يذكر هشام بن الكلبي لا نستطيع أن نتبين الى أى كتبه رجع ، لأن له كتباً كثيرة في تاريخ العرب قبل الاسلام ، وفي تاريخ الحيرة والعراق واليمن ، وأصلها ابن النديم الى مائة وأربعين (٢) . وأصلها ابن حجر الى مائة وخمسين (٣) .

(١) معجم الأدباء ١٨ .

(٢) الفهرست ١٤٠ .

(٣) لسان الميزان ١٩٦/٦ .

وهكذا الحال مع أبى مخنف لوط بن يحيى ، والواقدي ، وغيرهم من أصحاب المؤلفات .

— ٣ —

كان في سرد الروايات المتخالفة يقطع الرواية اذا ما وصل الى موضع خلاف ، ليذكر الرواية أو الروايات المخالفة ، فاذا ما انتهى من ذكر الخلاف عاد الى استئناف الكلام من حيث توقف وقطع ، مشيرا الى أنه رجع الحديث الى الرواية الأولى . وبهذا كانت الروايات كثيرا ما تتداخل وتتشابك ، حتى ليكرر قوله ( دخل حديث بعضهم في بعض ) وهذه الطريقة تشتت القارئ ، وتشغله بالفروع عن الحادث الأصيل ، على ما فيها من أمانة ودقة .

وكان خيرا منها لو أنه عرض كل رواية عرضا كاملا ، ثم أعقبها بغيرها ، ليستطيع القارئ أن يلم بها مكتملة ، ويوازن بينها ، ويرجع بعضها على بعض .

وكان أحيانا يقطع الرواية الواحدة بأخبار عارضة ، ثم يعود الى استكمالها .

من هذا قوله في مقتل أبى مسلم الخراساني :

حدثني أحمد بن زهير قال : حدثنا علي بن محمد قال :

حدثنا سلمة بن محارب ، ومسلم بن المغيرة ، وسعيد بن أوس ، وأبو حفص الأزدي ، والنعمان أبو السرى ، ومحرز ابن إبراهيم ، وغيرهم ، أن أبا مسلم كتب الى أبى العباس يستأذنه في الحج في سنة ١٣٦ واما أراد أن يصلى بالناس .

فأذن له ، وكتب أبو العباس الى أبي جعفر وهو على الجزيرة  
وأرمينية وأذربيجان أن أبا مسلم كتب الى يستأذن في الحج ،  
وقد أذنت له ، وقد ظننت أنه اذا قدم يريد أن يسألني أن  
أوليه اقامة الحج للناس ، فاكتب الى تستأذني في الحج ،  
فإنك اذا كنت بمكة لم يطع أن يتقدمك .  
فكتب أبو جعفر الى أبي العباس يستأذنه في الحج ،  
فأذن له .

فلما وافى الأنبار قال أبو مسلم : أما وجد أبو جعفر  
عاما يحج فيه غير هذا ؟ واضطغنها عليه .

قال على : قال مسلم بن المغيرة : استخلف أبو جعفر  
على أرمينية في تلك السنة الحسن بن قحطبة .

وقال غيره : استعمل رضيعه يحيى بن مسلم بن عروة ،  
وكان أسود مولى لهم . فخرج أبو جعفر وأبو مسلم الى  
مكة ، فكان أبو مسلم يكسو الأعراب في كل منزل ، ويصل  
من سألته ، وكسا الأعراب البتوت <sup>(١)</sup> والملاحف ، وحفر  
الآبار ، وسهل الطرق ، فكان الصوت له ، فكان الأعراب  
يقولون هذا المكذوب عليه . حتى قدم مكة ، فنظر الى  
اليمانية ، وقال : لنيزك : يا نيزك ، أى جند هؤلاء لو لقيهم  
رجل ظريف اللسان سريع الدمعة .

ثم رجع الحديث الى حديث الأولين ، قالوا : لما صدر  
الناس عن الموسم ، نهر أبو مسلم قبل أبي جعفر فتقدمه ،  
(١) البتوت : جمع بت : الطيلسان من خز ونحوه .



خاتمه كتاب بموت أبى العباس واستخلاف أبى جعفر ، فكتب أبو مسلم الى أبى جعفر يعزیه بأمر المؤمنين ، ولم يهنئه بالخلافة ، ولم يقم فى مكانه حتى يلحقه ولم يرجع ، فغضب أبو جعفر (١) .

— ٤ —

عنى بالتاريخ السياسى وحده ، اذ أرخ للملوك والحروب والقواد ، ولم يسجل الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين قبل عصره وفى عصره .

وقد يخفف من هذا المأخذ أنه ليس بدعا فى هذا الاتجاه بين مؤرخى عصره ، ولا بين مؤرخى العالم قبل العصر الحديث ، فقد نهجوا جميعا هذا النهج ، ومعذرتهم فى عنايتهم بتاريخ الملوك ، أنهم المسيطرون على الشعوب ، ولم يكن للشعوب ولا للرأى العام صوت فى العالم الى القرن الثامن عشر ، حتى نطالب الطبرى بأن يسجل مظاهر قوتها ، ونهضتها ، ونظمها العامة فى الاجتماع والاقتصاد والعادات .

وحسب الطبرى أنه كما قال مارجليوث :  
أدى للتاريخ الاسلامى ، ما أداه أصحاب الكتب الستة  
للمحدث ، اذ اختار من روايات الأخباريين ما صح عنده  
أنه مادة صحيحة للتاريخ ، وزاد على ذلك عملا شاقا ، هو  
ترتيب مواد التاريخ ترتيبا مسلسلا الى عصره .

(١) التاريخ ١٥٩/٩ .

تنقل في أهم الأقطار الإسلامية التي كانت مراكز الثقافة في عصره ، وزار مدنا كثيرة ، لكنه لم يدون تاريخها الذي شاهده ، ولم يسجل شيئا من مشاهداته ، ولم يتحدث عن الخرائب والآثار التي مر بها ، وكانت حديث الناس . وكذلك عاصر كثيرا من الأحداث ، لكنه لم يسجل فيها رأيه . على حين أن المسعودي سجل في كتبه كثيرا من ملاحظاته وتحدث عن عادات الشعوب التي رآها ، وعن عقائدها وأديانها ونظمها الاجتماعية (١) .

اضطره نظام السنين الى تقطيع الحوادث ، وتوزيعها على أوقات حدوثها ، وفي هذا تشتت لها ، وتمزيق لوحدها ، وتصعب على الذي يريد الامام بالحدث الواحد متكاملا .

قد يؤخذ عليه أنه أولى تاريخ المسلمين عنايته ، ففصل القول فيه ، على حين أوجز في تاريخ غيرهم . وهذا حق ، لكن عذره في ذلك أنه مؤرخ مسلم يعنيه

(١) توفي المسعودي سنة ٣٤٦ وله في التاريخ كتابان مروج الذهب واخبار الزمان .

تاريخ المسلمين أكثر مما يعنيه تاريخ سواهم ، وأنه فصل تاريخ الفرس قبل الاسلام الى الحد الذى أسعفته به المصادر ، فلما بلغ الفتح الاسلامى لبلادهم ، صار تاريخ الفرس وتاريخ المسلمين موضوعا واحدا لا يعزل بعضه عن بعض .

وأما الروم فقد نقل عن الثقة معالم تاريخهم الى أن فتح المسلمون مصر والشام ، اذ صارت مصر والشام جزءا من الدولة الاسلامية يشمله تاريخها العام .

ثم انه لم يكن يتوقع منه أن يؤرخ للامبراطورية الرومية الى عصره ، لأنه لا يعنيه ، بل الذى يعنيه علاقتهم بالدولة الاسلامية ، وقد أولاها عنايته .

— ٨ —

وقد يؤخذ عليه أنه ذكر أحيانا خرافات واسرائيليات ، ولم يقدم لها أو يعلق عليها ، بما يدل على تكذيبه لها .

١ — كقوله : حدثنا الحسين بن محمد بن عمرو العبقري قال : حدثنا أبى قال : أخبرنا أسباط عن السدى قال : تزوج اسحاق امرأة فحملت بغلامين فى بطن ، فلما أرادت أن تضع اقتتل الغلامان فى بطنها ، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص ، فقال عيص : والله لئن خرجت قبلى لأعترضن فى بطن أمى ولأقتلنها . فتأخر يعقوب ، فخرج عيص قبله ، وأخذ يعقوب بعقب عيص ، فخرج ، فسمى

( عيص ) ، لأنه عصى فخرج قبل يعقوب ، وسمى يعقوب ،  
لأنه خرج آخذا بعقب عيص .

وكان يعقوب أكبرهما في البطن ، ولكن عيصا خرج  
قبله ، وكبر الغلامان فكان عيص أحبهما إلى أبيه ، وكان  
يعقوب أحبهما إلى أمه .. (١) .

وهذا الذي ذكره قريب مما في التوراة (٢) .

٢ - وذكر أن قاييل لما قتل أخاه هابيل بكاه آدم ، فقال  
فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة عن غياث بن ابراهيم عن  
أبي اسحاق الهمداني عن علي بن أبي طالب :  
تغيرت البلاد ومن عليها

فلون الأرض متغير قبيح

تغير كل ذي لون وطعم

وقل بشاشة الوجه الصبيح

فأجيب آدم :

أبا هابيل قد قتلا جميعا

وصار الحي كالميت الذبيح

وجاء بشيرة قد كان منها

على خوف فجاء بها يصيح (٣)

ولقد كنا نتوقع من الطبرى ألا يذكر هذا الشعر منسوبا

(١) تاريخ الطبرى ١/١٦٤ .

(٢) العهد القديم سفر التكوين . الاصحاح ٢٥ .

(٣) التاريخ ١/٧٢ .

الى آدم ، أو يذكره على سبيل التندر بالقصاص ، والتفكه  
بالأخباريين ، لأن اللغة العربية لم تكن قد ولدت بعد حتى  
ينظم بها آدم شعرا ، ولأنه من المستحيل كل الاستحالة أن  
يقتى ما قاله آدم المذكور على الزمن ، وبيننا وبينه زمن  
طويل ، الى حد لا يعلمه الا الله .

٣ - - وروى بسند متصل الى وهب بن منبه في قصة  
آدم أخبارا مستقاة من التوراة ومن شروح اليهود للتوراة ،  
كقوله : لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن  
الشجرة ، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض ،  
وكان لها ثمر تأكله الملائكة يخلدهم ، وهى الثمرة التى نهى  
الله عنها آدم وزوجته ، فلما أراد ابليس أن يستنزلهما ، دخل  
في جوف الحية ، وكان لها أربع قوائم ، كأنها بخفية من أحسن  
دابة خلقها الله تعالى ، فلما دخلت الجنة خرج من جوفها  
ابليس ، فأخذ من الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته .  
فجاء بها الى حواء فقال : انظرى الى هذه الشجرة ، ما أطيب  
ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها . فأخذت حواء فأكلت  
منها ، ثم ذهبت بها الى آدم فقالت : انظر الى هذه الشجرة ،  
ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها . فأكل منها  
آدم . فبذت لهما سوآتهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة ،  
فناداه ربه : يا آدم أين أنت ؟ قال : أنا هذا يا ربى . قال  
ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك يا رب . قال : ملعونة الأرض  
التي خلقت منها . ثم قال : يا حواء : أنت التي غررت عبدى

فأنك لا تحملين حملا الا حملته كرها ، فاذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا .

وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غر عبدى ، ملعونة أنت حتى تتحول قوائمك في بطنك ، ولا يكون لك رزق الا التراب ، أنت عدوة بنى آدم ، وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه ، وحيث لقيك شذخ رأسك <sup>(١)</sup> .

وهذا شديد الشبه بما ورد في التوراة في الاصحاح الثالث من سفر التكوين .

٤ -- ومن هذه الخرافات قوله ان فزعون مصر في أيام يوسف اسمه الريان بن الوليد <sup>(٢)</sup> ، وفي أيام موسى اسمه فيما ذكروا لى الوليد بن مصعب <sup>(٣)</sup> .  
على أن هذا الضرب نادر في الكتاب ، وهو الى ندرته متصل بأزمان قديمة ، وشعوب بعيدة .

وأغلب الظن أن الطبرى سجل مثل هذه الخرافات لأنها مما سمعه أو قرأه ، ولم يعلق عليها بالتكذيب ، لأنه رسم لنفسه خطة لم يحد عنها ، هي أنه يسجل الروايات ، ولا يعقب برأيه ، وقد قال في مقدمة كتابه انه سيذكر أخبارا عن الماضين ، قد ينكرها القارىء ، أو يستشنعها السامع ،

(١) التاريخ ٥٤/١ والتفسير ١٨٦/١ .

(٢) التاريخ ١٧٢/١ .

(٣) التاريخ ١٩٩/١ .

فليعلم أن اللوم على من نقلت عنهم ، وأنتى انما سجلت  
ما سمعت أو قرأت .

ولكن هذا لا ينهض عذرا له في مجال الدفاع .  
ومهما يكن من شيء فإن هذا الضرب النادر أخف مما  
كان يعتقده ويسجله معاصروه ومن بعدهم من مؤرخى  
الافرنج .

يقول الأستاذ هرنشو Hearnshaw لقد تنصر  
قسطنطين ( ٣٠٦ — ٣٣٧ ) وظهرت المسيحية على الوثنية  
في غضون القرن الرابع الميلادى ، أى قبل الهجرة بقرنين  
ونصف قرن ، فتحول التاريخ الى أيدي القساوسة والرهبان ،  
وبقى في أيديهم زهاء ألف سنة ، ففقد صفاته العلمية التى  
يُتصف بها ، وغدا مشحونا بأخبار الخوارق والكرامات ،  
من زلازل ، وظهور خنازير ، لكل منها ست أرجل ،  
ومخلقات مقدسة متداولة ، وما يشبه ذلك .

ثم يقول : ولا يبدأ تحسن الحالة الا في غضون الحروب  
الصليبية ، حين جلس النصارى عند أقدام علماء المسلمين ،  
يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة ، وعلى الرغم من هذا  
لم يظهر التاريخ الأوروبى الصحيح الا في أواخر القرن  
السادس عشر — أواخر القرن العاشر الهجرى — أى بعد  
وفاة الطبرى بنحو سبعة قرون (١) .

---

(١) علم التاريخ لهرنشو ترجمة العبادى .

## قيمت

لعله قد استبان من موضوعه ومادته ومنهجه أنه كتاب  
جليل القدر ، عظيم القيمة .  
ولستطيع أن نوجز مقومات هذا الحكم في عدة أمور

— ١ —

هو أول كتاب في التاريخ العام ، أكمل به الطبرى  
ما ابتدأه سابقوه من التاريخ للأحداث أو الأقاليم أو طوائف  
الرجال كابن سعد واليعقوبى والديورى والواقدى والبلاذرى  
وابن اسحاق .

وقد ضاع أكثر ما دون سابقوه ، وبقي هو مسجلا  
لما ضاع ، فحفظ تراثا نفسيا جديرا بأن يبقى على مر  
الزمان .

— ٢ —

وهو تمهيد لمن جاءوا بعده ، ومصدر أصيل من  
مصادرهم ، كالمسعودى ، وابن مسكويه ، وابن الأثير ، وابن  
خلدون ، وما زال مصدرا للباحثين الى اليوم .

— ٣ —

على أنه جمع كثيرا من أخبار العرب فى الجاهلية ودونها  
فحفظها من الضياع ، وكان المؤرخون الذين جاءوا بعده



يعولون على ما ذكره ، ولولاه لفقده الباحثون معارف كثيرة  
عن العرب وأحوالهم في جاهليتهم .

— ٤ —

كذلك سجل كثيرا من الحقائق التاريخية عن العصور  
الاسلامية ، موثقة بالاسناد الى أصحابها ، لولاه لعدت عليها  
عوامل الاغفال والنسيان ، فحرم التاريخ هذه الآراء ، لأنه  
دون روايات نقلها من كتب لم يبق الا أقلها ، وروايات  
سمعها من أشخاص ، لو لم يدونها لتوارت في موجات الزمان .

— ٥ —

ذكر في تاريخ الفرس كثيرا من الحقائق لا نجدها في  
غيره لمن يريد أن يدرس تاريخهم ، حتى لقد اعتمد عليه  
لولدكه في معرفة تاريخ الفرس والعرب أيام بني ساسان .  
ولهذا ترجم الى الفارسية في القرن الرابع الميلادي ،  
وترجم الى التركية وغيرها بعد ذلك (١) .

(١) ترجمه الى الفارسية الوزير الساماني الأديب أبو علي  
محمد بن محمد بن عبد الله العلقمي المتوفى في النصف الثاني  
من القرن الرابع ، ومن هذه الترجمة نقل الى التركية مرتين  
اخراهما ما بين سنة ٩٢٨ و ٩٣٨ هـ ولم تطبع الا سنة ١٢٦٠ هـ  
وترجم من الفارسية الى بعض اللغات اللاتينية ، وطبعت الترجمة  
سنة ١٨٦٣ والى الفرنسية وطبع سنة ١٨٧٤

على أنه قد تبين من البحث المفصل في تاريخ الرومان أن الطبرى دقيق فيما ذكره عنهم ، لأنه نقل عن نصارى الشام ، وسمع منهم ، وكانوا هم قد نقلوا من وثائق صحيحة ، وأدوها اليه بأمانة .

فقد ذكر أسماء الأباطرة من الرومان والروم الى نهاية عصر هرقل <sup>(١)</sup> سنة ٦٤١ م ( ٢١ هـ ) وهو العام الذى تم فيه فتح العرب لمصر .

وهؤلاء الأباطرة الذين ذكرهم واحد وستون ، غير من اشتركوا مع أبنائهم ، أو غير أبنائهم ، ومدة حكمهم جميعا ستة قرون وبضع سنوات .

» وقد قابلنا الأسماء التى ذكرها الطبرى بالأسماء التى وردت فى كتب التاريخ المعتمدة ، وقابلنا مدة حكم كل منهم ، فى كتاب الطبرى وفى هذه الكتب ، فذهلنا من المطابقة فى الأسماء والترتيب ومدة الحكم .

---

= وذكر سيدىو فى كتابه تاريخ العرب أن جرجس النصرانى المعروف بالمكن ابن العميد المتوفى سنة ١٢٧٣ م لخصه وذيله .  
( كشف الظنون ٢٩٨ وتاريخ آداب العرب لجورجى زيدان ١٩٩/٢ ومقال فى مواد تاريخ الطبرى للدكتور جواد على بمجلة المجمع العلمى العراقى ١٧٧/١ ومقدمة طبعة دار المعارف للكتاب بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ) .

(١) التاريخ ٢/ ٢٥٠ .

واذا تجاوزنا عن فروق تافهة ، نرجح أنها من أغلاط  
النساخ ، قطعنا بأن النصارى الذين أخذ عنهم كانوا  
يعتمدون على وثائق صحيحة ، ولو أنه أدرك مدى صحة  
علمهم لاستبدل بكلمة زعموا التى صدر بها بعض رواياتهم  
كلمة أخرى توثق علمهم .

ومن الخطأ أن نعتمد على المؤلفات الافرنجية الموجزة  
فى تاريخ الرومان ونخطيء الطبرى . فقد ذكر أن الذى  
خلف طلياريوس هو ابنه جايوس <sup>(٩)</sup> ، وذكرت المؤلفات  
الافرنجية الموجزة أن الذى خلقه هو كاليجيولا .

ولا يحتاج تفسير هذا الخلاف الا الى بحث يسير فى  
المطولات الافرنجية ، نعرف منه أن كايوس نشأ مع أبيه  
بين الجنود ، وكان بسبب صغر سنه ينتعل حذاء عسكريا  
صغيرا ، وكان جنود الرومان يسمون هذا الحذاء كاليجة ،  
ومن هنا لقبوا كايوس بكاليجيولا ، أى متعل الحذاء  
العسكرى الصغير ، وأهمل بعض المؤرخين اسمه الحقيقى ،  
واكتفوا بلقبه ، كما نهمل فى الوقت الحاضر اسم أوليانوف  
Ulianoff ، ونكتفى بالاسم الذى اختاره لنفسه وهو  
لينين Lenin . وكما نهمل اسم جوزيف بروز Joseph broz  
حين نتحدث عن رئيس جمهورية يوغوسلافيا ونستعمل  
الاسم الذى اشتهر به وهو Tito ، لهذا ينبغى ألا نكتفى

بالأسماء التي وردت في الكتب الانرجية الموجزة ، بل لابد من الرجوع الى المطولات لمعرفة أسماء الأبالمة وألقابهم قبل أن نحكم بالخطأ على الطبرى .

أما قول الطبرى أن جايوس هو ابن طليباريوس فحقيقته أن الامبراطور أغسطس تزوج ليفيا I.evi ، وكان لها من زوجها السابق أولاد يهمن منهم طليباريوس Tiberius وأخوة دروسوس Drusus وتبنى أغسطس طليباريوس واختاره ولى عهده ، وفتح دروسوس جزءا من ألمانيا فلقب جرمانيكوس Germanicus فلما مات ورث ابنه عنه لقب جرمانيكوس ، واشتهر به أكثر من شهرة أبيه به .

وبموت دروسوس اشترط أغسطس على طليباريوس أن يتبنى جرمانيكوس الأسفر ، ويجمعه ولى عهده ، ففعل ذلك ، ثم مات جرمانيكوس الأسفر في حياة طليباريوس ، فتبنى طليباريوس ابن جرمانيكوس الأسفر وهو كايوس . وإذا يكون كايوس المتبنى الثانى لطيباريوس ، وابن متبناه الأول ، وكانت عادة التبنى هذه شائعة في المجتمع الرومانى « (١) .

٧

وهو الى هذا كله حافل بالنصوص الأدبية من شعر وخطب ورسائل ومحاورات ، قيلت في مناسبات شتى ، (١) من محاضرة للأستاذ محمد أحمد حسونة .

ولولم يدونها لفقد الدارسون ذخائر مما يعولون عليه في  
الدراسات الأدبية واللغوية .

— ٨ —

فلا غرابة في أن اعتمد عليه المؤرخون من بعده ،  
فاستقوا منه ، كابن مسكويه ( المتوفى سنة ٤٢١ ) وابن  
الأثير ، ( المتوفى سنة ٦٣٠ ) وأبى الفدا ( المتوفى سنة ٧٣٢ )  
وابن خلدون ( المتوفى سنة ٨٠٨ ) .  
قال ابن الأثير في مقدمة كتابه : لقد جمعت في كتابي  
هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد ، فابتدأت بالتاريخ الكبير  
الذي صنفه الامام أبو جعفر الطبرى ، اذ هو الكتاب المعول  
عليه عند الكافة ، والرجوع اليه عند الاختلاف ، فأخذت  
ما فيه من جميع تراجمه ، لم أخل بترجمة واحدة منها .  
وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عدد ،  
كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها ، وربما زاد الشيء  
اليسير أو نقصه ، فقصدت أنم الروايات فنقلتها ، وأضفت  
اليها من غيرها ما ليس فيها ، وأودعت كل شيء مكانه ،  
فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقاً  
واحداً على ما تراه (١) .

(١) مقدمة الكامل لابن الأثير صفحة ٢ .

وكثيرا ما نقل ابن خلدون من كتاب الطبرى ، وصرح  
باسمه ، وبخاصة في أخبار الأنبياء <sup>(١)</sup> ، وتاريخ الفرس <sup>(٢)</sup> ،  
والحيرة <sup>(٣)</sup> . وملوك كندة <sup>(٤)</sup> ، وبنى عدنان <sup>(٥)</sup> .

ثم أكمله بعض المؤرخين ، فقد ذيل عليه عريب بن سعد  
القرطبي ابتداء من سنة ٢٩١ في أخبار بنى العباس الى  
سنة ٣٢٠ ، وطبع التذييل مع تاريخ الطبرى . وذيل عليه  
محمد بن عبد الملك الهمداني الى سنة ٤٨٧ وسمى تذييله  
( تكملة تاريخ الطبرى ) ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة  
باريس .

وبهذا استحق الكتاب حرص القدماء على اقتنائه ،  
واستحق ثناءهم عليه ، فقد كان بخزانة كتب العزيز الفاطمي  
أكثر من عشرين نسخة احداها بخط المؤلف <sup>(٦)</sup> ، وقال  
القفطى : ان كتاب الطبرى في التاريخ أجل كتاب في بابيه <sup>(٧)</sup> .

---

(١) العبر ٣٣/٢ ، ٣٥ ، ٣٨ .

(٢) العبر ١٥٥/٢ - ١٥٩ و ٦٢/٢ - ١٦٨ .

(٣) العبر ٢٥٩/٢ - ٢٦٣ .

(٤) العبر ٢٧٣/٢ .

(٥) العبر ٢٩٨/٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ .

(٦) الخطط للمقريزي ٤١٨/١ .

(٧) انباء الرواة ٨٩/٣ .

## الفصل التاسع

### الطبري الفقيه

بدرج الفقه من لفولته فبلغ مرحلة الشباب في القرن الثالث ، اذ كان الأنسة الأربعة : مالك وأبو حنيفة ، والشافعي ، وابن حنبل ، قد ذاعت مذاهبهم ، وكان لبعض الفقهاء آراء ومذاهب ، كالليث بن سعد والأوزاعي ، ولكن الذبوع لم يقيض لها ، كما قبيض للمذاهب الأربعة . وكانت الصبغة العامة للفقه في القرنين الثاني والثالث أنه يعتمد على الاجتهاد وحرية الرأي .

ثم أعقبت هذه المرحلة مرحلة التقيد بمذهب من المذاهب في القرنين الثالث والرابع ، فكان لكل مذهب فقهاؤ الذين يلتزمون به ، ولا يجرون على الاجتهاد المستقل ، والافتاء بما يهديهم إليه البحث والنظر ، فهم يؤيدون المذهب الذي اعتنقوه ، ويجولون في نطاقه ، وبهذا ينطبق عليهم أنهم مجتهدو مذهب لا أصحاب مذهب (١) .

عاش الطبري أكثر حياته في القرن الثالث ، فدرس المذاهب ، واعتنق مذهب الشافعي ردحا من حياته ، ثم

(١) نم ظهرت طائفة من الفقهاء ، اعتمدوا على ما استنبطه سابقوهم من مجتهدى المذهب ، ورجحوا ما اختاروه من أوجه الخلاف ، وهؤلاء هم مجتهدو الفتيا .

استقل بمذهب خاص اختاره لنفسه ، واحتج له في كتابه  
( لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام ) واعتنقه بعض  
تلاميذه ، وروجوا له ، ونافحوا عنه ، كما سبق ، ثم انقطع  
أتباع مذهبه بعد القرن الرابع (١) .  
لكن كتبه التي ألفها في مذهبه فقدت ، فلا نعرف من  
آرائه الا ما ذكره في كتابه ( اختلاف الفقهاء ) أو في تفسيره  
للقرآن الكريم ، أو ما حكاه عنه الفقهاء والمؤرخون .

## كتابه ( اختلاف الفقهاء )

### موضوعه

تناول فيه (٢) عدة أحكام فقهية ، كالمدبر ، وما يتعلق  
بتدبيره وتحريره ، والبيع ، وخيار البيع ، وفسخ البيع ،  
والربح الجائز ، وبيع الغائب المضمون بالصفة ، والبيع الى  
أجل مجهول ، والبيع حالا ، والرهن ، والكفيل في بيع  
الغائب ، والستلم في الموزون والمكيل .

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ( من مقدمة  
اختلاف الفقهاء ) .

(٢) نشره الدكتور فريدريك كرن الألماني . مطبعة  
الموسوعات والترقي بمصر سنة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م .  
وهو الذي سبق في ( مؤلفاته ) باسم اختلاف علماء  
الأمصار .



وتحدث عن المزارعة والمساقاة ، وعن الغصب ، وحكم  
المغضوب اذا خلطه الغاصب بشيء من ماله لا يتميز ، وعن  
المسلم اذا ألتف خمر ذمى ، وعن الكفالة بالنفس ، وما تصح  
به الكفالة وتلزم ، وكفالة المرتد والحري والمريض  
والعبد .. الخ

## طريقته

ذكر فى كل مسألة آراء الفقهاء ، وهم : أبو حنيفة ،  
وأبو يوسف ، ومحمد ، والشافعى ، ومالك ، والأوزاعى ،  
والثورى ، وسعيد بن المسيب ، وابن أبى ليلى ، وإبراهيم  
النخعى ، وأبو ثور ، والحسن البصرى ، وابن عباس ، وابن  
شبرمة ، وأنس بن مالك ، والضحاك بن مزاحم ، والعلاء  
ابن زياد ، وغيرهم .

وكثيرا ما كان يسجل أدلتهم مفصلة .

وفى بعض المواضع عقب على آرائهم برأيه ، مسبقا  
بقوله : قال أبو جعفر ، أو بقوله : والصواب عندنا فى  
ذلك كذا .

وكان الغرض الأول من هذا الكتاب أن يتذكر به  
أقوال من يناظره ، ثم التشر ، وطلب منه ، فقرأه على  
أصحابه .

وكان الطبرى يفضل كتاب الاختلاف ، وهو أول  
ما صنف من كتب ، وكان يقول كثيرا : لى كتابان لا يستغنى

عنهما فقيه : الاختلاف ، واللطيف . ولم يستقص فيه اختياره  
وآراءه ، لأنه جود ذلك في كتابه اللطيف .

والذى يرجع الى هذا الكتاب يتبين منهجه في تأليفه .  
فقد ذكر فيه آراء الفقهاء ، كما ذكر في كتاب التفسير  
، آراء العلماء ، فدل بهذا على سعة علمه بالمذاهب الفقهية ،  
لكنه لم يعتمد على السند كما فعل في كتاب التفسير  
والتاريخ ، بل كان يورد الراى منسوباً الى صاحبه مباشرة ،  
كأن يقول : قال الأوزاعى ، أو قال مالك بن أنس ، أو قال  
أبو ثور ، ثم يذكر في نهاية الراى راويه ، كأن يقول : حدثنى  
بذلك العباس عن أبيه عنه ، أو حدثت بذلك عن معاوية ،  
عن أبى اسحاق عنه ، أو حدثنا بذلك الربيع ، على أنه  
لم ينهج هذا المنهج فيما نقله عن أبى حنيفة وأصحابه .

## مناج من ( اختلاف الفقهاء )

### ١ - بيع الغائب المضمون بالصفة

١ - قال مالك والأوزاعى والثورى والشافعى  
وأبو حنيفة وأصحابه وأبو ثور : لا بأس بشراء الموصوف  
المضمون على بائعه فيما سنذكره في كتابنا هذا في أماكنه  
ان شاء الله وهو السِّلَم (١) .

(١) السلم : بيع النمار بوصفها قبل نضجها لتسلم بعد  
النضج .

٢ — وقال سعيد بن المسيَّب : لا يجوز السَّلم في شيء من الأشياء . أخبرني بذلك يونس بن عبد الأعلى . قال : أخبرنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، قال : كان الناس يخالفون سعيد ابن المسيب في عشر خصال مذرفوه . كان يقول : لا يسلف في شيء من الأشياء ، ثم ذكر الخصال العشر ، وقد روى عن سعيد خلاف هذا القول .

٣ — وعلة مجوزي السَّلم ما حدثنا به سفين بن وكيع قال : حدثنا ابن عثية ، وحدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع ، عن سفين ، عن ابن أبي بَجْنَح ، عن عبد الله بن كثير ، عن أبي المنهال ، عن ابن عباس ، قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وهم يسلفون في الثمر العام والعامين والثلاثة .

فقال : من أسلم ثمرا فليسلم في كيل معلوم الى أجل معلوم .

حدثني أبو عيسى موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال : حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة قال : حدثنا أبو اسحاق الشيباني عن محمد بن أبي المجالد قال : أرسلني أبو بَرْدَةَ الأشعري وعبد الله بن شداد الى عبد الله بن أبي أوفى فقالا : سله هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم على عهده يسلفون في الحنطة والشعير والزبيب ؟ فقال عبد الله : كنا نسلم الى نبط الشام في الحنطة والشعير

والزبيب الى أجل معلوم ، فقلت : فمن كان له زرع ؟ قال :  
 لم نسألهم عن ذلك . قال : ثم أرسلاني الى عبد الرحمن بن  
 أبزى فسألته عن مثل ذلك ، فرد مثل رده . فقال : كان  
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلفون في كيل  
 معلوم الى أجل معلوم ، ولم تكن نسألهم ألهم حرث أم لا ؟ .  
 ٤ — وعلة من ذهب مذهب سعيد بن المسيب ، ما حدثنا  
 به حميد بن مسعدة قال : حدثنا يزيد بن زريع عن  
 أيوب عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن رسول  
 الله أنه قال : لا يحل بيع ما ليس عندك .

٥ — قال أبو جعفر : وهذا محتمل أن يكون نهيا عن  
 بيع ما ليس عنده من الأعيان التي ليست مضمونة عليه ،  
 وليس يستحيل أن ينهى عن بيع ما ليس عنده مما لم يكن  
 مضمونا عليه ، ويجوز ما كان مضمونا عليه بصفة ، وإذا كان  
 ذلك جائزا كان المفسر مبينا عن المجمل (١) .

## ٢ — حكم إمسام بياض خمر الزمى

- ١ — قال مالك : عليه قيمتها ( حدثني بذلك يونس ،  
 عن ابن وهب ، عن مالك ) .
- ٢ — وقال الشافعي : لا شيء على من أهلك خمر المسلم

(١) اختلاف الفقهاء ٦٨ .

أو نصراني ، وكذلك ان قتل له خنزيرا ( حدثني بذلك الربيع عن الشافعي ) .

٣ — وقال أبو حنيفة وأصحابه : ان اغتصب النصراني خمرًا لنصراني فاستهلكها ، حكم عليه بقيمتها ، فان أسلما لم يحكم عليه بشيء . وان أسلم أحدهما لم يحكم على المسلم ولا له بقيمة خمر . وان كان خنزيرا فأسلما أو أسلم أحدهما ، فانه يقضى بينهما بالقيمة ( رواية أبي يوسف عن أبي حنيفة ) ولكن روى محمد عن زفر ، وعافية عن أبي حنيفة أنه كان يقول : ان أسلم المغصوب فطلب الخمر لم يقض له به ، وان أسلم الغاصب فعليه قيمة الخمر ، وان أسلما جميعا بطلت ( وهو قول محمد ) وقالوا : ان اغتصب مسلم خمرًا لذمي كانت عليه قيمتها ، ولا يكون عليه خمر مثلها ، وان اغتصب مسلم خمرًا لذمي فجعلها خلا ، كان له أخذها أو قيمة الخل ، وان اغتصبه جلد ميتة فدبغه ثم استهلكه ، لم يكن عليه شيء ( في قول أبي حنيفة ) .

والفرق عنده بين الخمر اذا صارت خلا والجلد اذا دبغ ، أن صاحب الخل لو أصاب خلّه كان له أخذه ، ولم يغرم شيئًا ، وأن صاحب الجلد لو أصاب الجلد ، كان له أخذه ويغرم ما زاده الدبغ .

وقال أبو يوسف ومحمد : عليه ان استهلكه قيمة الجلد ، ويعطيه صاحب الجلد قيمة الدباغ .

٤ — وقال أبو ثور : ان اغتصب الذمي خمرًا لذمي ،

ثم تقاضيا إلينا لم نحكم إلا بما نحكم به بين المسلمين ،  
ولا نحكم بضمن خمر ولا خنزير ولا حرام .  
وان اغتصبها مسلم من مسلم واستهلكها ، فلا شيء عليه .  
وان اغتصبه جلد ميتة مما يؤكل لحمه فدبغفه فهو  
للمغصوب منه ، وان استهلكه كانت عليه قيمته ، وذلك أنه  
لما دبغفه حل بيعه ، وكان بالدباغ متطوعا لا شيء عليه ،  
فلما استهلكه بعد أن حل كان له قيمة ، والخمر لا قيمة لها ،  
فلا يحل بيعها (١) .

### ٣ — حكم كفالة الحربى المستأمن

إذا دخل الحربى دار الاسلام بأمان تاجرا ، فكفل فيها  
بمال أو نفس ، أو كفل له فيها مسلم أو ذمى بمال أو نفس ،  
فذلك كله جائز فى قول الجميع من أهل الحجاز والعراق .  
فان لحق الحربى بدار الحرب وقد كفل بالمال أو النفس ،  
ثم خرج الى دار السلام ، كان مأخوذاً بذلك كله ،  
وكذلك قال أبو حنيفة وأصحابه .

وان سبى بعدما رجع الى دار الحرب أو أسر لم يتبع  
بشيء من ذلك ما دام رقيقا ، لأنه لا مال له فى حال العبودية  
يجوز حكمه فيه ، وأنه ليس للحاكم فى الكفالة بالنفس

(١) اختلاف الفقهاء ١٦٠ .

حبسه بها ، اذا كان فى حبسه على مولاه مضرة بسبب حق  
لزمه فى حال ما كان حرا ، ولكنه ان عتق يوما من الدهر كان  
للمكفول له اتباعه بالكفالة التى كان كفل بها قبل الأسر  
والسباء ، بنفس كان ذلك أو بمال .

وقال أبو حنيفة وأصحابه :

ان سبى أو أسر بطلت كفالته فيما له وفيما عليه ، فى  
النفس وفى المال (١) .

## الفصل العاشر ألوان من آرائه

الطبرى صاحب عقل خصب ، وذو شغف بالاطلاع والبحث والدرس ، وذو ألوان شتى من الثقافة ، فهو محدث ، ومفسر ، ومؤرخ ، وفقه ، ونحوى ، ولغوى ، ومتأدب ، ومتطبب .

وله فى كل فرع من هذه الثقافة آراء ، بعضها عن استقلال مطلق ، وبعضها عن موازنة ومقارنة وترجيح . وقد سبق ما يتصل منها بالتاريخ والتفسير فى تحليل كتابيه . وهذا فى اجمال طرف من آرائه الفقهية والمتصلة بالفقه والعقيدة .

### ١ - سلفيته

ولعلنى لا أعدو الصواب اذا ما ذهبت الى أنه كان سلفى العقيدة والتفكير فى كل آرائه .

واذا كان بعض خصومه قد اتهموه بغير ذلك ، فانهم لم يستطيعوا أن يقيموا دليلا على صدق دعواهم . وقد وصفه تلميذه عبد العزيز بن محمد الطبرى بما يؤيد نزعة السلفية ، ويؤكد مخالفته للمعتزلة فى عدة مسائل .



فهو يذهب في جل مذهبه الى ما عليه الجماعة من السلف ، وأهل العلم المتمسكين بالسنن ، فيمضى على مناهجهم لا يعبأ بلومة لائمه .

وقد خالف المعتزلة في جميع ما خالفوا فيه الجماعة .  
خالفهم في قولهم بقدرة العباد .  
وخالفهم في قولهم بخلق القرآن .  
وخالفهم في قولهم بابطال رؤية الله يوم القيامة .  
وناقضهم فيما ذهبوا اليه من تخليد أهل الكبائر في النار .

وغاير مذهبهم في ابطال شفاعة رسول الله .  
ولم يقرهم على أن استطاعة العبد سابقة على فعله .  
وكان يعتقد أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه .

وأن جميع ما في العالم لا يكون الا بمشيئة الله <sup>(١)</sup> .  
وهذا مثال مما خالف فيه المعتزلة ، فقد ذهبوا الى أن الناس لن يروا خالقهم سبحانه وتعالى يوم القيامة ، لأن رؤيته تحده وهو غير محدود . وذهب السلف الى امكان هذه الرؤية ، ومنهم الطبرى ، ففى قوله تعالى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخير » .

(١) معجم الأدباء ٨١/١٨ وتفسير الطبرى فى مواضع كثيرة منها ١٩٣/٦ ، ٩٧/١٥ ، ١٠٤/٣٨ ، ٢٠٠/٧ .

ذكر الآراء المختلفة في تفسير الآية ، وهي قول بعضهم : لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها ، وقول آخرين : لا تراه الأبصار وهو يراها ، وقول غيرهم : لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا ، وأما في الآخرة فانها تدركه ، وأصحاب هذه المقالة على أن الإدراك في الآية يراد به الرؤية . وقول فريق رابع : لن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة ، ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونها بها .

ثم علق على هذه الآراء بقوله : والصواب ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله أنه قال : سترون ربكم يوم القيامة ، كما ترون القمر ليلة البدر ، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب .

فالؤمنون يرونه ، والكافرون يومئذ عنه محجوبون ، كما قال جل ثناؤه « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » . فأما ما اعتل به منكرو الرؤية بالأبصار من أنها لا ترى الا ما باينها ، وكان بينها وبينه فضاء وفرجة ، وهذا غير جائز لأن فيه اثبات حد لله ونهاية ، فانه مردود عليهم ، لأنهم لا يعلمون موصوفا بالتدبير سوى الخالق الا مماساً لهم أو مبايناً ، والله سبحانه وتعالى لا مماس لهم ولا مباين ، وهو موصوف بالتدبير والفعل ، فلماذا ينكرون أن تكون الأبصار لا ترى الا ما باينها ، وكانت بينها وبينه فرجة ، وقد تراه وهو غير مباين لها ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء .

فان احتجوا بأن الأبصار لا تدرك الا الألوان ، قيل  
لهم ماذا يمنع من أن تدرك غير ذى لون ؟  
وختم كلامه بقوله : ان منكرى الرؤية لا يرجعون من  
قولهم الا الى ما لبس عليهم الشيطان ، مما يسهل على أهل  
الحق البيان عن فسادهم ، وانهم لا يرجعون فى قولهم الى آية  
من التنزيل محكمة ، ولا رواية عن رسول الله صحيحة  
ولا سقيمة ، فهم فى الظلمات يخطون ، وفى العمياء يترددون ،  
نعوذ بالله من الحيرة والضلالة (١) .

ويظهر أنه كان يتشدد فى نزوعه السلفى ، حتى لقد ذكر  
تلاميذه أنه كفر المخالفين لآراء السلف ، وكفر الذين اجترأوا  
على تكفير الصحابة من الخوارج والرافضة .  
ولقد كان المتوقع من الطبرى وهو العالم الثقة المتزن  
ألا يتعصب لمذهب السلف فى كل شئ ، وألا يقضى بالكفر  
على من خالفوه ، لأن التكفير تهمة بشعة لا يصح أن تلصق  
بمؤمن ، ومن أسف أن بعض المسلمين استسهلوا هذه  
التهمة ، وكانوا يصوبونها الى مخالفيتهم فى المذهب السياسى  
أو الدينى .

سأله أبو بكر بن كامل : من سبقك الى تكفير أهل  
الأهواء ؟ فقال الطبرى : سبقنى امامان عادلان ، عبد الرحمن  
ابن مهدى ، ويحيى بن سعيد القطان .

(١) التفسير ١٩٩/٧ - ٢٠٣ .

كان الطبرى يكفر المخالفين الخارجين على المذاهب ، لأن أدلة العقول تدفع ، فكر القائلين بالقدر ، وكفر الروافض والخوارج الذين حكموا بالكفر على أصحاب رسول الله ، وكان لا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم . وقد ذكر ذلك فى كتابه فى الشهادات ، وفى الرسالة ، وفى أول ذيل المذيل . وكان لا يورث من هؤلاء الذين حكم بكفرهم ، ذكر ذلك فى مسند أسامة بن زيد عند كلامه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يورث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم ، ولا يتوارث أهل ملتين شتى<sup>(١)</sup> .

## ٢ - بغضه للبدع

وكان يبغض الابتداع فى الدين . قال أبو بكر بن كامل : حضرت أبا جعفر حين حضرته الوفاة ، فسألته أن يجعل كل من عاداه فى حل<sup>٢</sup> ، وأن يصفح عمن تجنوا عليه ، وكنت أقصد أبا الحسن بن الحسين الصوفاء ، اذ كنت قرأت عليه القرآن . فقال أبو جعفر : كل من عادانى وتكلم عنى فى حل ، الا رجلا رمانى ببدعة . وكان الصوفاء من أصحاب أبى جعفر ، وكانت فيه سلامة ، ولم يكن من أصحاب الضبط والتدقيق ، فلما أُملى أبو جعفر « ذيل المذيل » ذكر أبا حنيفة وأطراه ، ووصفه

(١) معجم الأدباء ١٨/٨٣ .

بالعلم والورع ، فاغتاز الصواف ، لأن أبا جعفر مدح  
أبا حنيفة ، وأهمله ، فجعل يتهجم على أبى جعفر ، ويبسط  
لسانه فيه .

ويقول ابن كامل : ان الطبرى كان اذا عرف من انسان  
بدعة أبعداه واطرحه (١) .

### ٣ - هل كان جبريًا ؟

قال عبد العزيز بن محمد الطبرى : ان أبا جعفر كان  
يزعم أن أفعال العباد خَلَقَ اللهُ ، وأن الله من " على أهل  
الايمان بالاستطاعة التى وفقهم بها لطاعته ، وأنه ختم على  
قلوب الكفار مجازاة لهم على كفرهم .

وعلق ياقوت على هذا بأنه ردىء جدا ، لأنه اذا كان  
ختم قبل الكفر فقد ظلم ، وان كان ختم بعد الكفر فقد ختم  
على مختوم ، وهذا لم يقل به أحد من أهل السنة والجماعة ،  
انما هو من أقوال الروافض والمعتزلة (٢) .

لكن هذا الوصف محتاج الى مناقشة ، لأن الذى يظهر  
من تفسير الطبرى ومناقشاته للمعتزلة أنه لا يدين بالجبر .  
فاذا ما رجعنا الى ما قاله الطبرى فى تفسير بعض الآيات  
المتعلقة بالايمان والكفر ، والهدى والضلال ، والفجور

(١) معجم الأدباء ١٨/٨٤ .

(٢) معجم الأدباء ١٨/٨٢ .

والتقوى ، لتعرف مذهبه ، لم نستطع أن نقضى بأنه جبرى ،  
ولم نستطع أيضا أن نقضى بأنه معتزلى ، لأن كلامه لا يشف  
عن مذهب واضح ، وإن كان يدور على أساس ثابت هو أن  
علم الله سابق لأفعال العباد ، ويبيده التوفيق والخذلان ،  
والهدى والضلال .

١ -- قال فى تفسير قوله تعالى :

« ونفس وما سواها ، فآلهمها فجورها وتقواها » .  
بين لها ما ينبغى أن تأتى أو تذر من خير أو شر أو طاعة  
أو معصية . ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ..  
وقال آخرون : بل المعنى أن الله جعل فيها ذلك من  
فجور ومن تقوى . وعقب على هذا برواية عن عمران بن  
حصين فى قوله لأبى الأسود الدبلى : أرأيت ما يعمل  
الناس فيه ويتكادحون ، أشياء قضى عليهم من قدر سابق ،  
أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام .  
وأكدت به عليهم الحجة ؟  
قال الدبلى : بل شيء قضى عليهم . قال عمران : فهل  
يكون ذلك ظلما ؟

قال الدبلى : ففرغت منه فزعا شديدا ، وقلت ليس شيء  
إلا وهو خلقه وملك يده ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .  
قال عمران : سددك الله ، إنما سألتك لأخبر عقلك . إن  
رجلا من مزينة أو جهينة أتى النبى فقال : يا رسول الله ،  
أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون ، أشياء قضى عليهم

ومضى عليهم من قدر سابق أو فيما يستقبلون مما آتاهم به  
 نبئهم ، وأكدت به عليهم الحجة ؟  
 قال : في شيء قد قضى عليهم .  
 قال فقيم نعمل ؟ قال : من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين  
 يهينه لها ، وتصديق ذلك في كتاب الله . « ونفس وما سواها ،  
 فألهمها فجورها وتقواها » (١) .

٢ — وقال في تفسير قوله تعالى :

« ان الذين كفروا وظلموا ، لم يكن الله ليغفر لهم ،  
 ولا ليهديهم طريقا ، الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا ، وكان  
 ذلك على الله يسيرا » .

ان الذين جحدوا رسالة محمد ، وكفروا بالله بجحود  
 ذلك ، وظلموا بمقامهم على الكفر ، لم يكن الله ليغفو عنهم .  
 ولا يوفقهم الى طريق من الطرق التى ينالون بها ثواب الله ،  
 ولكنهم يخذلهم عن ذلك حتى يسلكوا طريق جهنم ، وانما  
 كنى بالطريق عن الدين ، ومعنى الكلام لم يكن الله ليوفقهم  
 الى الاسلام ، ولكنه يخذلهم عنه الى طريق جهنم وهو  
 الكفر (٢) .

٣ — وقال في تفسير قوله تعالى :

« ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل  
 ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب » ان الله يضل

(١) التفسير ١٣٤/٣٠ .

(٢) التفسير ٢٢/٦ .

منكم من يشاء فيخذه عن تصديقي ، والايمان بما جئته به من عند ربي ، ويهدي اليه من أتاب ، فرجع الى التوبة من كفره ، فيوفقه لاتباعى وتصديقى على ما جئته به من عند ربه . والضلال والهداية بيد الله ، يوفق من يشاء منكم للايمان ، ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن <sup>(١)</sup> .

٤ — وقال فى تفسير قوله تعالى :

« وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ، ويهدي من يشاء ، وهو العزيز الحكيم » .

وما أرسلنا الى أمة رسولا الا بلسانها ولغتها ، ليفهمهم ما أرسله الله به اليهم من أمره ونهيهِ ، ليثبت حجة الله عليهم ، ثم التوفيق والخذلان بيد الله ، فيخذه عن قبول ما آتاه به رسوله من عنده من شاء منهم ، ويوفق لقبوله من شاء ، ولذلك رفع فيضل ، لأنه أريد به الابتداء لا العطف على ما قبله ، كما قيل : « لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء » وهو العزيز الذى لا يمتنع مما أراحه من ضلال أو هداية من أراد به ذلك ، والحكيم فى توفيقه للايمان من وفقه له ، وهدايته له من هداه اليه ، وفى اضلاله من أضل عنه ، وفى غير ذلك من تدبيره <sup>(٢)</sup> .

٥ — وقال فى تفسير قوله تعالى :

(١) التفسير ٩٧/١٣ .

(٢) التفسير ١٢١/١٣ .



« وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائز ، ولو شاء لهداكم أجمعين » .

وعلى الله بيان طريق الحق لكم ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها .. ولو شاء للطف بكم جميعا بتوفيقه ، فكنتم تهتدون وتلزمون قصد السبيل ، ولا تجورون عنه ، فتتفرقون في سبيل جائرة عن الحق <sup>(١)</sup> .

٦ — وقال في تفسير قوله تعالى :

« قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين » .  
قالوا ربنا غلب علينا ما سبق لنا في علمك وخط لنا في أم الكتاب <sup>(٢)</sup> .

٧ — وقال في تفسير قوله تعالى :

« أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار » ؟

أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به أفأنت تنقذه ؟

أى أفأنت تهدي يا محمد من قد سبق له في علم الله أنه من أهل النار الى الايمان فتنقذه من النار بالايمان ؟  
لست على ذلك بقادر <sup>(٣)</sup> .

٨ — وقال في تفسير قوله تعالى « فانكم وما تعبدون ، ما أأنتم عليه بفاتنين ، الا من هو صال الجحيم » .

(١) التفسير ٥٩/١٤ .

(٢) التفسير ٤٤/١٨ .

(٣) التفسير ١٣٢/٢٣ .

فانكم أيها المشركون بالله ، وما تعبدون من الآلهة  
والأوثان ما أنتم بمضلين أحدا ، الا أحدا سبق في علمي أنه  
من أهل النار (١) .

٩ - وقال في تفسير قوله تعالى : « فسجد الملائكة  
كلهم أجمعين الا ابليس استكبر وكان من الكافرين » لم يسجد  
ابليس تعظما وتكبيرا ، وكان بتكبره على ربه ومعصيته أمره  
ممن كفر في علم الله السابق ، فجحده ربوبيته ، وأنكر عليه  
من الإذعان والطاعة (٢) .

#### ٤ - هل كان متشيعاً ؟

نسب اليه بعض المؤرخين ميلا الى التشيع ، فقال  
صاحب لسان الميزان : كان فيه تشيع يسير ، وموالاته  
لا تضر (٣) .

وقال ياقوت : انه كان يتهم بالتشيع ، لذلك قيل انه  
لما مات دفن ليلا ، خوفا من العامة (٤) .  
وبالغ أحمد بن على السليماني الحافظ ، فأقذع في قوله :  
كان الطبري يضع للروافض (٥) .

(١) التفسير ٦٩/٢٣ .

(٢) انتفسير ١١٨/٢٣ .

(٣) لسان الميزان ١٠٠/٥ .

(٤) معجم الأدباء ٤٠/١٨ .

(٥) لسان الميزان ١٠٠/٥ .

وهذه التهمة يعوزها التدليل ؛ لأنها وهم باطل ، ولعل  
مردّها الى عدة أسباب :

١ — أولها أنه ألف كتابا في فضائل علي بن أبي طالب ،  
ورد على بعض علماء بغداد الذين أنكروا ما روى حول  
غدير خم (١) كما سبق .

٢ — ثانيها أن بعضهم خلط بين اسمه ، واسم عالم آخر  
يمثله ، ولا يخالفه الا في اسم الجد ، هو أبو جعفر محمد  
ابن جرير بن رستم الطبري ، وقد كان هذا رافضيا ، وله  
مؤلفات منها كتاب الرواة عن أهل البيت (٢) .

٣ — وأغلب الظن أنهم ألصقوا به هذه التهمة لأنهم  
نسبوا اليه خطأ كتاب « بشارة المصطفى » وهو يتناول  
منزلة التشيع ، ودرجات الشيعة ، وكرامات الأولياء .

والصواب أنه لعالم شيعي يشبهه في الاسم ، لكنه متأخر  
عنه في الزمن ، هو أبو جعفر محمد بن علي بن مسلم الطبري  
الأملي ، من علماء القرن السادس (٣) .

٤ — وربما كان لهذه التهمة سبب رابع هو أن الطبري

---

(١) موضع بين مكة والمدينة يزعم الشيعة أن النبي عهد فيه  
الى علي بن أبي طالب من بعده ، ودعا الله أن ينصر من ينصره ،  
ويخذل من يخذله ، وهم يتخذون ذلك اليوم عيداً .

(٢) لسان الميزان ١٠٣/٥ .

(٣) الذريعة الى مصنفات الشيعة ١١٧/٣ عن مقدمة تاريخ  
الطبري ص ٢٠ للاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

كان على صلة بأحمد بن عيسى العلوى ، وهو من بلده ، وقد كتب له العلوى هذا يقول :

ألا ان اخوان الثقات قليل

وهل لى الى ذاك القليل سبيل ؟

سل الناس تعرف غثهم من سمينهم

فكل عليه شاهد ودليل

فأجابه أبو جعفر بقوله :

يسىء أميرى الظن فى جهد جاهد

فهل لى بحسن الظن منه سبيل ؟

تأمل أميرى ما ظننت وقلتـه

فان جميل الظن منك جميل (١)

فهم يجدون فى رد الطبرى على الأمير العلوى اخلاصا له ، ورغبة فى أن يحسن به ظنه ، ويبنون على هذا اتهامه بالتشيع .

هـ — وأرجح أن التشيع فرية أراد بعضهم أن يلصقها بالطبرى ، أو التبس الأمر على بعضهم فعزاها اليه .

ذلك أنه ألف كتابا فى فضائل على ، ولكنه ألف كتابا آخر فى فضائل أبى بكر وعمر ، اذ سمع جماعة من طبرستان يبسطون ألسنتهم فى الصحابة ، ويسبون أبى بكر وعمر ، فآلف هذا الكتاب ، ليشيد بفضل الخليفتين ، ويرد على

---

(١) تاريخ بغداد ١٦٦/٢ ومعجم الأدباء ٤٤/١٨

دعاوى المتهجمين عليهما ، وقد وصفهما بأنهما اماما هدى ،  
وأنكر على من لا يصفهما بذلك .

ثم ألف كتابا في فضائل العباس بن عبد المطلب .  
فلو أنه كان متشيعا — كما زعموا — ما ألف هذين  
الكتابين ، وما أشاد بفضائل ثلاثة من كبار الصحابة جرحهم  
الشيعة .

ولو أنه كان رافضيا — كما زعموا — ما قضى بكفر  
الخوارج والشيعة الذين كفروا أصحاب رسول الله ، حتى  
انه كان لا يقبل أخبارهم ، ولا شهادتهم ، ولا يجيز التوارث  
بينهم وبين المسلمين .

لهذا كان ابن حجر محقا في قوله ان اتهام السليمانى  
لأبى جعفر رجم بالظن الكاذب ، لأن الطبرى كان من كبار  
أئمة الاسلام المعتمدين ، ولسنا ندعى عصمته من الخطأ ،  
ولكن لا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى ، وينبغى أن  
يتأنى العالم فيما يصف به عالما آخر ، ولا سيما امام كبير  
كالطبرى (١) .

وكان ياقوت على الصواب في تعليقه على قول أبى بكر  
ابن محمد العباس الخوارزمى — وهو من آمل وكان يزعم  
أن أبا جعفر خاله — :

بآمل مولدى وبنو جرير

فأخوالى ويحكى المرء خاله

(١) لسان الميزان ١٠٠/٥ .

فها أنا رافضى عن تراث

وغيرى رافضى عن كلاله

قال ياقوت : كذب أبو بكر ، فلم يكن أبو جعفر رحمه  
الله رافضياً ، وإنما حسدته الجنبالة ، فرموه بذلك ، فاعتنمها  
الخوازمي ، وكان سبباً بارافضياً مجاهراً بذلك «شجعاً» به (١) .

## ٥ — رأي في قضاء المرأة

كان أبو حنيفة يَجِيزُ قضاء المرأة فيما تصح شهادتها فيه ،  
ولا يجيزه فيما لا تصح شهادتها فيه ، أى تصح في كل  
شئ إلا في الحدود والقصاص . وقال مالك والشافعي وابن  
حنبل لا يجوز أن تتولى المرأة القضاء .  
ثم جاء الطبري فقال ان قضاء المرأة في جميع الأحكام  
جائز (٢) .

ولعل الذين يدعون اليوم الى تولية المرأة القضاء يجدون  
في رأى الطبري ما يعزز دعوتهم .

## ٦ — الصلاة في جوف الكعبة

في رأى الطبري أن صلاة الفرض وصلاة النفل لا تجوز  
في جوف الكعبة (٣) .

(١) معجم البلدان (آمل) . (٢) الأحكام السلطانية ٦١ .

(٣) الطبقات الوسطى للسبكي والعقد المذهب لابن الملقن

( عن مقدمة كتاب اختلاف الفقهاء صفحة ١٦ ) .

## ٧ - مسح الرجلين وغسلهما

ذهب الى أن المراد مسح الرجلين في الوضوء ، معتمدا على ترجيح قراءة الأرجل بالكسر عظفا على الرؤوس في قوله تعالى : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » ، ومعتمدا على أن المسح بالماء غسل في الحقيقة ، فمن مسح رجله فقد غسلها ، ومن غسلها فقد مسحها :  
وقد سبق تفصيل ذلك في منهجه في تفسير القرآن الكريم .

## ٨ - رأي في توارث أهل الكتاب

كان لا يورث نصرايا يعقوبيا من نصراني ملكي ، ولا يورث ملكيا من نسطوري ، ولا يورث يهوديا شمعنيا من سامري ، ولا يهوديا عنانيا من شمعني . وكان الأوزاعي من قبله على هذا الرأي القاضى بأن اختلاف المذهب يمنع التوارث (١)

---

(١) معجم الأدباء ١٨/٨٣ .

## ٩ - عداؤ الحنابلة له

كان الحنابلة في عصر الطبري قد كثر في بغداد عددهم ، وعظم نفوذهم ، واشتدت حملاتهم على مخالفيهم . وكان الطبري كما تبين من أخلاقه جريئاً في الحق لا يماري ، وحر الرأي لا يقلد ولا يحاكي ، فقد كان شافعي المذهب في أول حياته ، وأفتى به في بغداد عشر سنين ، وتلقاه عنه ابن بشار الأحول أستاذ أبي العباس بن سريج <sup>(١)</sup> . ثم انفرد بمذهب مستقل ، واختيارات خاصة به ، جودها واحتج لها <sup>(٢)</sup> .

فلما ألف كتابه ( اختلاف الفقهاء ) أغفل ذكر أحمد ابن حنبل ، على حين أنه ذكر كثيراً من الفقهاء مثل أبي حنيفة ، والشافعي ، ومالك ، والأوزاعي ، وغيرهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم . وقيل انه سئل في ذلك فقال : لم يكن ابن حنبل فقيهاً ، انما كان محدثاً .

وإذا فقد تهيات الأسباب لأن يتحرش به الحنابلة ، فبدأ بعضهم بالتعصب عليه كالجصاص والبياضى وجعفر ابن عرفة .

ثم قصده جماعة منهم وهو في المسجد يوم الجمعة ،

(١) طبقات الشافعية ١٣٧/٢ .

(٢) طبقات المفسرين ٣٠ والأنساب ٣٦٧ والفهرست ٢٣٤ .



وسألوه سؤالين ، أولهما عن امامهم أحمد بن حنبل ، وثانيهما  
عن حديث الجلوس على العرش (١) .

فقال الطبري : أما أحمد بن حنبل فلا يثعد خلفه .  
قالوا : قد ذكره العلماء في الاختلاف .

قال : ما رأيته رثوى عنه ، ولا رأيته له أصحابا يعول  
عليهم .

وأما حديث الجلوس على العرش فمحال ، وأنشد :  
سبحان من ليس له أنيس

ولا له في عرشه جليس

فلما سمعوا ذلك غضبوا ، وأهاجوا عليه العامة ،  
واتهموه بأنه رافضي ، ورموه بمحاربههم ، وقيل إنها كانت ألوفاً .  
قام الطبري وقصد داره ، فلم يكتف خصومه بما  
اقترفوا ، بل جعلوا يرمون الدار بالحجارة ، حتى صارت على  
بابها كالتل .

وحينئذ اضطر رئيس الشرطة الى أن يركب في آلاف  
من جنوده ، ليمنعوا الطبري من العامة ، ووقف على بابه يوماً  
الى الليل ، وأمر برفع الأحجار .

ويقال ان الطبري كان قد كتب على بابه بيت الشعر  
السابق ، فأمر رئيس الشرطة بمحوه .

---

(١) كان الحنابلة يذهبون في معنى قوله تعالى : « ومن  
الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً »  
الى أن الله يقعد على العرش ويقعد النبي معه ، جزاء له على تهجده .

ويقال أيضا ان بعض أصحاب ابن حنبل كتب في مكان  
بيت الشعر هذه الأبيات :

لأحمد منزل لا شك عال  
إذا وافى الى الرحمن وافد  
فيدنيه ويقعده كريما  
على رغم لهم في أنف حاسد  
على عرش يغلفه بطيب  
على الأكباد من باغ وعائد  
له هذا المقام الفرد حقا  
كذلك رواه ليث عن مجاهد (١)

على أن الطبري اذ أغفل ابن حنبل في الفقهاء لم يفعل  
الا ما فعله بعض سابقيه ولاحقه (٢) .

---

(١) تنتهى رواية رأى الجلوس الى مجاهد ( تفسير الطبري  
٩٧/١٥ ) .

(٢) لم يذكره الطحاوى فى اختلاف الفقهاء ، ولا الدبوسى  
فى تأسيس النظر ، ولا النسفى فى منظومته ، ولا العلاء  
السمرقندى فى مختلف الرواية ، ولا الفراهى الحنفى فى  
منظومته ولاغيرهم من الحنفية .

كذلك لم يذكره أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلي  
المالكي الأندلسى فى كتابه الدلائل فى أمهات المسائل ، ولا محمد  
ابن عبد الرحمن السمرقندى السخاوى فى كتابه عمدة الطالب  
لمعرفة المذاهب ، ولا الغزالى فى كتابه الوجيز ، ولا النسفى فى  
كتاب الوافى ، ولا ابن عبد البر المالكي فى كتابه الانتقاء فى فضائل  
الثلاثة الفقهاء أبى حنيفة ومالك والشافعى . ( مقدمة كتاب  
اختلاف الفقهاء صفحة ١٤ ) .

بعد هذه الفتنة خلا الطبرى فى داره ، وقيل انه ألف كتابه المشهور فى الاعتذار اليهم ، وذكر فيه مذهبه واعتقاده ، وجرح من ظنوا فيه غير ذلك ، وأشاد بأحمد بن حنبل ، وذكر مذهبه ، وصوب اعتقاده ، وقرأ الكتاب على الحنابلة ، ولم يزل يذكر ابن حنبل الى أن مات . ثم انه لم يخرج كتابه ( اختلاف الفقهاء ) فلما مات وجدوه مدفونا فى التراب ، فأخرجوا الكتاب ونسخوه (١) .

ويذكر بعض المؤرخين ان الحنابلة كانوا يحولون بين الناس والسماع عليه ، فكان لا يخرج ولا يدخل عليه أحد (٢) .

ويرد السبكي على هذا بأن الحنابلة لم تكن شوكتهم تمكنهم من ذلك ، وبأن مكانة الطبرى كانت أعظم من أن يقدروا على منعه من الظهور ، ويعزو اعتكافه الى تباعده عن الأراذل المتعرضين له ، حتى انه لم يكن يأذن فى لقائه والاجتماع به الا لمن يختارهم ، ويعرف أنهم على السنة ، ويقول انه كان لا يخشى فى الله لومة لائم ، مع عظم ما يلحق به من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد (٣) .

لكن رد السبكي غير مقنع ، لأن الحنابلة قد آذوه فى

---

(١) معجم الأدباء ٥٨/١٨ .

(٢) معجم الأدباء ٤٣/١٨ وتاريخ بغداد ١٦٤/٢ وطبقات

الشافعية ١٣٧/٢ .

(٣) طبقات الشافعية ١٣٧/٢ .

المسجد ، وتعقبوه الى داره ، ولولا صاحب الشرطة لتمادوا في عدوانهم .

والذين يستطيعون أن يفعلوا ذلك ، لا يصعب عليهم أن يحولوا بين الطبرى والراغبين في السماع منه .  
على أن كثيرا من المريدين الراغبين في أن يجلسوا الى الطبرى ليستمعوا له لابد أنهم توقوا عدوان الحنابلة عليهم ، فكفوا عن التردد عليه .

ولست أستبعد ما ذكره ياقوت من أن الطبرى شرح مذهبه ، وأزال ما كان الحنابلة يظنون فيه أو يتهمون به ، ووضح رأيه في الامام أحمد بن حنبل ، فصالحوه وكفوا عنه ، وحينئذ استأنف طلابه التردد على مجالسه .

على أنني أرجع الى ما قاله الطبرى في تفسير الآية الكريمة « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » فأجده يذكر رأى الحنابلة في المرتبة الثانية ، بغير أن يسميهم ، ويرجع الرأى الأول ، ثم يعود الى الرأى الثانى ، فيعلق عليه بأنه ليس محالا . ولا أجد بيت الشعر :

سبحان من ليس له أنيس

ولا له فى عرشه جليس

فهل يرجع هذا الى أنه بعد معاداة الحنابلة له ، رجع عن رأيه ، وذهب الى أن رأيهم غير مستحيل ليرضاهم ؟  
واذا كان لم يعرف فى حياته أنه عدل عن رأى من آرائه

ليجاري أصحاب رأى آخر ، فهل لى أن أفترض أن ما زيد  
على تفسيره للآية مدخول عليه ؟

جاء فى تفسير الآية الكريمة :

اختلف أهل التأويل فى معنى المقام المحمود ، فقال أكثر  
أهل العلم ذلك المقام هو الشفاعة يوم القيامة ، ثم ذكر  
أصحاب هذا الرأى .

وقال آخرون : بل ذلك المقام أن يقعد الله النبى معه على  
عرشه ، ثم ذكر من قالوا ذلك .

وعلق بأنه يفضل الرأى الأول ، وذكر أحاديث عن النبى  
تؤيده ، وآراء عن الصحابة والتابعين .

ثم عاد فتردد اذ قال : هذا هو الصحيح من القول فى  
تأويل المقام المحمود ، لكن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد  
محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه قول غير مدفوع  
صحته لا من جهة خبر ولا نظر ، لأنه لا خبر عن رسول الله ،  
ولا أحد من الصحابة أو التابعين بإحالة ذلك ، ولأن النظر  
لا ينتهى الى خروج النبى عن بشريته ، أو مشابهته لله (١) .

## انخاتمة

أما بعد :

فقد تناولت هذه الدراسة البيئات العلمية التي استقى الطبرى ثقافته منها ، فى فارس ، والعراق ، والشام ، ومصر ، سواء أكان قد درس على علمائها مباشرة أم اتتفع بما خلّفوا من كتب ورسائل .

. ثم تناولت حياته بالقدر الذى أسعفت به المصادر ، ووصفا موجزا لبيئته التى روى فيها ، ورحلاته بين يتابيع الثقافة ، وذكرنا لبعض أساتذته .

وعرضت بعد ذلك الى معالم شخصيته ، وصفاته الجسدية ، وخصائصه النفسية ، وسماته الخلقية ، ومزاياه العقلية ، وأمثلة من حياته ومعاملاته تكشف عن شخصيته العامة ، أعقبها تركيز لألوان ثقافته من دينية وأدبية وتاريخ ، وعلوم أخرى لم يبرع فيها براعته فى هذه ، كالفلسفة والطب والحساب .

واذا كان الطبرى عالما وقف على العلم والتدريس حياته ، تحلق الطلاب حوله ، وكثروا ، عرضت الدراسة لتلاميذه ومدى محاكاتهم لأستاذهم ، وأشارت الى بعض مؤلفاتهم وآثارهم ومشابهتهم لأستاذهم .

ثم تناول البحث مؤلفات الطبرى ، فذكرها كلها ، وأشار الى الباقي منها والمفقود ، واختص بالتحليل المفضل ثلاثة من هذه الكتب وثيقة الصلة بثقافته وشهرته ، وهى كتابه فى التفسير ، وكتابة فى التاريخ ، وكتاب من كتبه فى الفقه .

أما كتابه فى التفسير فقد عرضت الدراسة للمناهج التفسيرية قبله ، والوجوه التى شابهها ، أو خالفها فيها ، ثم تناولت موضوعات كتابه ، والمصادر التى نهل منها ، والمنهج الذى سلكه ، والسمات العامة لهذا المنهج ، وما للطبرى وما عليه ، ثم عرضت لقيمته وتأثيره فى عصره وفيما بعده .

وأما كتابه فى التاريخ فقد مهدت الدراسة له بكلمة عن تطور المنهج التاريخى قبل الطبرى ، ثم ذكرت الموضوعات التى تناولها كتابه ، وأهم الينابيع التى استقى منها معلوماته ، والمنهج الذى سار عليه ، وختمت هذا بكلمة عما يؤخذ عليه ، وبكلمة عن قيمته وصداه فىمن جاءوا بعده من المؤرخين .

وأما ناحيته الفقهية فقد بينتها الدراسة بعامة ، ثم تناولت بالتحليل كتابه ( اختلاف الفقهاء ) فذكرت موضوعه ، وطريقته ، وبعض نماذج منه ، وأنه فى هذا الكتاب مسجل لآراء الفقهاء فى عدة مسائل شرعية اختلفوا فيها .

ثم أتبعته هذا بذكر ألوان من آرائه الفقهية أو المتصلة بالفقه والعقيدة ، وثقت عنه بعض تهمة وجهت اليه وهو منها برىء ، وبينت البواعث التى دفعت الحنابلة الى معاداته .

. ولم أرد في هذه الخاتمة أن أضرب الأمثال أو أتوسع ،  
لأن هذا ان فصل بعضه كان تكريرا ، وان اقتضب شؤيه  
الأفكار وأخل بها .

ولعله قد اتضح من دراسة الطبرى أنه عالم في الطبيعة  
من علماء عصره ، عالم متعدد الثقافات ، حجة في بعضها ،  
عظيم الآثار في كثير من معاصريه ، وكثير من لاحقيه .  
ولعله قد اتضح كذلك أنه كان الى علمه أستاذًا  
يأخذ نفسه بالفضائل التي يجب أن يتصف بها العالم الذي  
وهب العلم حياته ، ووقف علمه وعمره على التأليف ، وعلى  
التعليم ، وكان في نظر تلاميذه مثلهم العالى الذى يحتذونه ،  
ويحاولون أن يرتفعوا الى ما يقرب من مكانه الرفيع .



## المراجع

- ١ - الاتقان في علوم القرآن - السيوطي
- ٢ - الأحكام السلطانية - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب  
البصري البغدادي الماوردي مطبعة الوطن بمصر  
سنة ١٢٩٨ هـ .
- ٣ - اختلاف الفقهاء - الطبري . تحقيق الدكتور فريدريك  
كرن الألماني . مطبعة الموسوعات والترقي بمصر  
سنة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م .
- ٤ - أدب مصر الإسلامية - الدكتور محمد كامل حسين .
- ٥ - أسد الغابة في معرفة الصحابة . ابن الأثير . المطبعة  
الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٠ .
- ٦ - انباه الرواة - القفطي ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل  
إبراهيم .
- ٧ - الأنساب - السمعاني . طبعة ليدن ١٩١٢ .
- ٨ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - السيوطي ،  
مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٦ .
- ٩ - تاريخ آداب اللغة العربية - الأستاذ جرجي زيدان .  
طبعة دار الهلال بتحقيق الدكتور شوقي ضيف .
- ١٠ - تاريخ الأمم والملوك - الطبري (١) المطبعة الحسينية  
المصرية . (٢) مطبعة المعارف بتحقيق الأستاذ محمد  
أبو الفضل إبراهيم .

- ١١ - التاريخ الكبير : - ابن عساكر • مطبعة روضة الشام  
سنه ١٣٢٩ •
- ١٢ - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي • مطبعة السعادة  
بمصر سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م •
- ١٣ - تجارب الأمم - ابن مسكويه •
- ١٤ - جامع البيان فى تفسير القرآن - الطبرى (١) المطبعة  
الأميرية ببولاق ١٣٢٥ هـ (٢) مطبعة الحلبي بنحقيق  
الأستاذين محمود شاكر وأحمد محمد شاكر •
- ١٥ - حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة - السيوطى •  
مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣٢١ •
- ١٦ - دائرة المعارف الاسلاميه • مادة تفسير - بتعليق الأستاذ  
أمين الخولى •
- ١٧ - سقط الزند - المعرى • مطبعة بولاق سنة ١٢٨٦ •
- ١٨ - صلة تاريخ الطبرى - عريب بن سعد القرطبى •  
المطبعة الحسينية المصرية •
- ١٩ - الصلة لتاريخ ابن جرير - عبد الله بن أحمد بن جعفر  
الفرغانى •
- ٢٠ - ضحى الاسلام - الأستاذ أحمد أمين •
- ٢١ - طبقات الشافعية الكبرى - السبكى • المطبعة الحسينية  
المصرية سنة ١٣٢٤ •
- ٢٢ - طبقات القراء - الجزرى •
- ٢٣ - الطبقات الكبرى - ابن سعد • نشره ادورد سخاو •  
مطبعة بريل سنة ١٣٢١ •
- ٢٤ - طبقات المفسرين - السيوطى • طبعه أوروبا •
- ٢٥ - ظهر الاسلام - الأستاذ أحمد أمين •

- ٢٦ - العبر وديوان المبتدأ والخبر - ابن خلدون • مطبعة  
بولاق سنة ١٢٨٤ •
- ٢٧ - علم التاريخ • هرنشو Prof. J.C. Hearnshaw ترجمة  
الأستاذ عبد الحميد العبادى • والفصل الذى كتبته  
العبادى عن التاريخ عند العرب • مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ •
- ٢٨ - العهد القديم •
- ٢٩ - الغنية - الجيلانى •
- ٣٠ - الفهرست - ابن النديم • ليبزج سنة ١٨٧١ •
- ٣١ - فوات الوفيات - ابن شاکر. المطبعة الأميرية سنة ١٢٩٩.
- ٣٢ - فى علم النفس - الأستاذ حامد عبد القادر والأستاذ  
محمد عطية الابراشى •
- ٣٣ - الكامل فى التاريخ - ابن الأنير • مطبعة الحلبي  
سنة ١٣٠٣ •
- ٣٤ - الكشف - الزمخشري •
- ٣٥ - لسان الميزان - ابن حجر العسقلانى • مطبعة الهند  
سنة ١٣٣١ •
- ٣٦ - مذاهب التفسير الاسلامى - جولد تسيهر • ترجمة  
الدكتور عبد الحليم النجار سنة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م •
- ٣٧ - مروج الذهب - المسعودى • المطبعة البهية المصرية  
سنة ١٣٤٦ •
- ٣٨ - معجم الأدباء - ياقوت • مطبعة دار المأمون •
- ٣٩ - معجم البلدان - ياقوت •
- ٤٠ - المغرب فى حلى المغرب - ابن سعيد • الجزء الرابع  
طبعه ليدن سنة ١٨٩٨ •

- ٤١ - مقدمة ابن خلدون - تحقيق الدكتور على عبد الواحد  
 . وافي . مطبعة لجنة البيان العربي .  
 ٤٢ - المنتخب من كتاب ذيل المذيل - الطبري . المطبعة  
 الحسينية المصرية .  
 ٤٣ - موارد تاريخ الطبري - بحب للدكتور جواد علي بمجلة  
 المجمع العلمي العراقي . الجزء الأول سنة ١٩٥٠ والجزء  
 الثاني سنة ١٩٥١ .  
 ٤٤ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - المقرئزي .  
 ٤٥ - الوافي بالوفيات - الصفدي . مخطوط بمكتبة تيمور  
 ٤٦ - الولاة والقضاة - الكندي . طبعة ليبسك سنة ١٩٢٥ .  
 ٤٧ - وفيات الأعيان - ابن خلكان . تحقيق الأستاذ محمد  
 محيي الدين عبد الحميد .  
 ٤٨ - هداية الحيارى من اليهود والنصارى - ابن فيم الجوزية.  
 مطبعة التقدم .

#### ملحوظة :

وقعت كلمة سراويل في آخر صفحة ٦٢ مفصلة فلفت اليها النظر .

## الفهرس

صفحة

المقدمة ..... ٣

### الفصل الاول

عصره العلمى	٧	٢٧ -
ثراء عصره بالثقافة	٧	
الحياة العلمية فى الأقاليم التى استقى منها :		
فى فارس	١٠	
فى العراق	١١	
فى الشام	١٤	
فى مصر	١٥	

### الفصل الثانى

شروق وغروب	٢٨	٣٢ -
آمل	٢٨	
اقليم طبرستان	٢٨	
نسبه	٣٠	
مولده	٣١	
وفاته	٣٢	

### الفصل الثالث

بين ينايع الثقافة	٣٣	٤١ -
نبوغه المبكر	٣٣	

صفحة

دراسته وأساتذته بآمل وطبرستان	.....	.....	.....	٣٤
دراسته وأساتذته بالعراق	.....	.....	.....	٣٥
دراسته وأساتذته بالشام	.....	.....	.....	٣٧
دراسته وأساتذته بمصر	.....	.....	.....	٣٧
عودته الى بغداد	.....	.....	.....	٤٠

### الفصل الرابع

معالم شخصيته	.....	.....	.....	.....	٤٢	٨٢ -
الشخصيه وعناصرها	.....	.....	.....	.....	٤٢	
صفاته الجسدية	.....	.....	.....	.....	٤٣	
صفاته الخلقية والنفسية :	.....	.....	.....	.....	٤٧	
١ - ورعه	.....	.....	.....	.....	٤٧	
٢ - اباؤه	.....	.....	.....	.....	٥٠	
٣ - جراته في الحق	.....	.....	.....	.....	٥٥	
٤ - تواضعه ..	.....	.....	.....	.....	٥٧	
٥ - مضاء عزيمته	.....	.....	.....	.....	٦٠	
٦ - تفاؤله	.....	.....	.....	.....	٦٤	
٧ - ظرفه	.....	.....	.....	.....	٦٧	
صفاته العقلية :	.....	.....	.....	.....	٧٠	
١ - ذكاؤه	.....	.....	.....	.....	٧٠	
٢ - شغفه بالثقافة	.....	.....	.....	.....	٧٠	
٣ - الوان ثقافية	.....	.....	.....	.....	٧٢	
٤ - العلوم الدينية	.....	.....	.....	.....	٧٢	
٥ - العلوم الادبية	.....	.....	.....	.....	٧٥	

٧٧	.....	.....	.....	٦ - التاريخ
٧٧	.....	.....	.....	٧ - علوم أخرى
٧٩	.....	.....	.....	اثر هذه الشخصية :

### الفصل الخامس

٨٧ - ٨٣	.....	.....	.....	.....	تلاميذه
٨٣	.....	.....	.....	.....	كثرة تلاميذه
٨٣	.....	.....	.....	.....	دواعى كثرتهم
٨٤	.....	.....	.....	.....	محاكاتهم لأستاذهم فى التأليف
٨٤	.....	.....	.....	.....	دفاعهم عن مذهبه
٨٤	.....	.....	.....	.....	أسماء بعضهم والمامة بإنتاجهم
٨٧	.....	.....	.....	.....	لماذا لم ينبغ أحدهم نبوغ أستاذه ؟

### الفصل السادس

٩٨ - ٨٨	.....	.....	.....	.....	مؤلفاته
٨٨	.....	.....	.....	.....	العوامل الفعالة فى كثرة إنتاجه
٨٨	.....	.....	.....	.....	غزارة هذا الانتاج
٨٩	.....	.....	.....	.....	أسماء مؤلفاته
٩٠	.....	.....	.....	.....	تعريف ببعضها

### الفصل السابع

١٧٩ - ٩٩	.....	.....	.....	.....	الطبرى المفسر
٩٩	.....	.....	.....	.....	مراحل التفسير قبل الطبرى الى عصره
١٠٤	.....	.....	.....	.....	مرحلة الاجتهاد والرأى
١٠٨	.....	.....	.....	.....	متى ألف كتابه فى التفسير ؟

## موضوعه :

- ١ - قضايا كثيرة فى المقدمة ..... ١٠٩
- معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ١٠٩
- بيان اللغة التى نزل بها القرآن ١٠٩
- أنواع التأويل ..... ١١٣
- ضرورة تفسير القرآن ... ١١٤
- ٢ - تفسير القرآن الكريم . . . ١١٧

## مصادره :

- ١ - المأثور عن النبى والصحابة والتابعين ١١٨
- ٢ - أضاف اليه ثقافة عصره الادبية
- واللغوية ..... ١١٩
- ٣ - القراءات واخيار أرجحها ..... ١١٩
- ٤ - كتب الفقه ..... ١١٩
- ٥ - كتب التاريخ ..... ١١٩
- ٦ - بعض آراء المتكلمين ..... ١١٩
- ٧ - كتب التفسير الموق بها ..... ١٢٠

## منهجه :

- ١ - الاعتماد على المأثور ..... ١٢٠
- ٢ - تجنب التفسير بالرأى ..... ١٢٧
- ٣ - دقة الاسناد وأمانته ..... ١٢٩
- ٤ - الاستعانة بعلمه باللغة . . . ١٣١
- ٥ - الاكثار من الأحاديث النبويه ... ١٣٣
- ٦ - الاستشهاد بالشعر .. ١٣٧
- ٧ - تسجيل القراءات ..... ١٤٧



#### صفحة

- ٨ - العناية بالاعراب ..... ١٥٢  
 ٩ - مناقشة الآراء الفقهية ..... ١٥٤  
 ١٠ - تصويب رأى السلف ..... ١٦٣  
 ١١ - الادلاء برأيه ..... ١٦٧  
 ١٢ - التقليل من الأساطير ..... ١٧٥

#### قيّمته :

- ١ - تسجيله المانور عن النبي والصحابة  
 والتابعين ..... ١٧٧  
 ٢ - مناقشته لبعض ما أثر ..... ١٧٧  
 ٣ - تقدير القدماء له ..... ١٧٨

### الفصل الثامن

- الطبرى المؤرخ ..... ١٨٠ - ٢٣٢  
 تطور المنهج التاريخى الى عصر الطبرى ..... ١٨٠  
 موضوع كتابه فى التاريخ :

- ١ - ما قبل الاسلام منذ الخليفة تم  
 الرسل والامم القديمة الى البعثة النبوية ١٨٤  
 ٢ - الاسلام والمسلمون الى سنة ٣٠٢ ١٨٧

#### أهم مصادره :

- ١ - فى تاريخ الرسل والأنبياء ..... ١٨٨  
 ٢ - فى تاريخ الفرس ..... ١٨٨  
 ٣ - فى تاريخ الروم ..... ١٨٨  
 ٤ - فى تاريخ اليهود ..... ١٨٨  
 ٥ - فى تاريخ العرب قبل الاسلام ..... ١٨٩

#### صفحة:

- ٦ - فى السيرة النبوية ..... ١٨٩
- ٧ - فى حروب الردة والفتوح ..... ١٨٩
- ٨ - فى موقعة الجمل وصفين ..... ١٨٩
- ٩ - فى تاريخ بنى أمية ..... ١٩٠
- ١٠ - فى تاريخ بنى العباس ..... ١٩٠

#### منهجه :

- ١ - التعويل على الروايات ..... ١٩١
- ٢ - الحرص على السند ..... ١٩٤
- ٣ - نظام السنين ..... ١٩٥
- ٤ - الأخبار العامة ..... ١٩٧
- ٥ - تسجيل النصوص الأدبية .... ١٩٨

#### مأخذ عليه :

- ١ - الاكتفاء بالتسجيل دون نقد ..... ٢٠٤
- أمثلة مما كان يعوزه النقد ..... ٢٠٧
- ٢ - ذكر العلماء والرواة ولم يذكر مؤلفاتهم ..... ٢١٦
- ٣ - تداخل الروايات ..... ٢١٧
- ٤ - العناية بالتاريخ السياسى وحده ..... ٢١٩
- ٥ - لم يدون مشاهداته ..... ٢٢٠
- ٦ - تقطيع الحوادث على السنين ..... ٢٢٠
- ٧ - دفاع عنه فى اختصاره تاريخ غير المسلمين ..... ٢٢٠
- ٨ - ذكره بعض خرافات لم ينقدها ..... ٢٢١
- أمثلة لها ..... ٢٢١

موازنة في هذا بينه وبين مؤرخي	
الافرنج	٢٢٥
قيمته :	

١ - أول كتاب في التاريخ العام	٢٢٦
٢ - مصدر أصيل لخالفه	٢٢٦
٣ - سجل لأخبار العرب في الجاهلية	٢٢٦
٤ - سجل للروايات التاريخية عن	
العصور الإسلامية	٢٢٧
٥ - مصدر أصيل في تاريخ الفرس	٢٢٧
٦ - مصدر دقيق في أسماء أباطرة	
الرومان الى نهاية عصر هرقل	٢٢٨
٧ - حافل بالنصوص الأدبية من شعر	
وخطب ورسائل ومحاورات	٢٣٠
٨ - اعتماد المؤرخين عليه وإكمال	
بعضهم له	٢٣١

### الفصل التاسع

الطبرى الفقيه	٢٣٣ - ٢٤١
مراحل الفقه الى عصره	٢٣٣
استقلال الطبرى بمذهب خاص اختاره	٢٣٤
ضياع كتبه التى ألفها فى مذهبه	٢٣٤
موضوع كتابه ( اختلاف الفقهاء )	٢٣٤
طريقته	٢٣٥
نماذج منه :	
١ - بيع الغائب المضمون بالصفة	٢٣٦

صفحة

- ٢ - حكم المسلم يتلف خمرًا لذمي ..... ٢٣٨  
٣ - حكم كفالة الحربى المستأمن ..... ٢٤٠

الفصل العاشر

- ألوان من آرائه ..... ٢٤٢ - ٢٦٣  
١ - سلفيته • أمثله لما خالف فيه المعتزلة ..... ٢٤٢  
٢ - بغضته للبدع ..... ٢٤٦  
٣ - نفى الجبرية عنه ..... ٢٤٧  
٤ - نفى تهمة التشيع عنه ..... ٢٥٢  
٥ - رأيه فى تول المرأة القضاء ..... ٢٥٦  
٦ - رأيه فى الصلاة بجوف الكعبة ..... ٢٥٦  
٧ - رأيه فى مسح الرجلين وعسلهما ..... ٢٥٧  
٨ - رأيه فى توارث أهل الكتاب ..... ٢٥٧  
٩ - رأيه فى الامام أحمد بن حنبل ..... ٢٥٨  
الخاتمة ..... ٢٦٤  
المراجع ..... ٢٦٧







أعلام العرب  
الكتاب القادم

الظاهر بيبرس

للدكتور  
سعيد عبد الفلاح عاشور

يصدر في ٧ فبراير ١٩٦٣

طبعة مصر